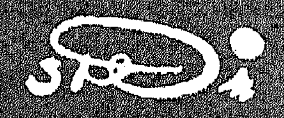
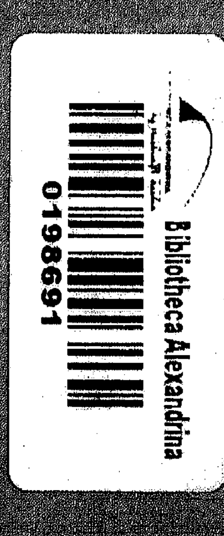
معجزة في آسيا الوسطى







معجزة في آسيا الوسطى





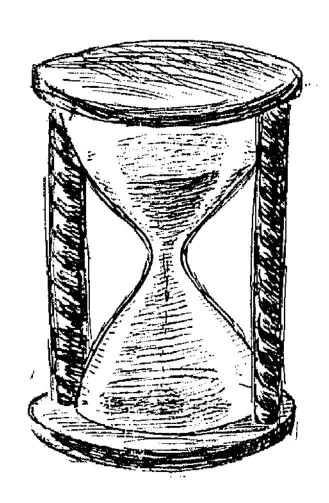






لقد شاهدت المعجــزة بعينى رأسى خلال أسابيع ثلاثة أمضيتها فى طشقند وفى بخارى وسمرقند بجمهورية أوزبيكستان السوفييتية . ومن أجل أن يشاركنى القراء الأعزاء فى الالمام بهذه المعجزة رأيت أن نبــدأ بالتعرف على القصــــة مــن أولهــا .. قصــة الانســــان فى ((أوزبيكستان)) وكيف كان شكــل الحيــاة عليها قبل خمسين سنة مضت . ز .





شئ من التاريخ

قامت الدولة الخوارزميــة على انقاض حكم سلاجقة ايران والعراق ، الا أنه لم يكن يربطها بالدولة العباسية سوى الخطبة للخليفة العباسى وكان أول من استقل بحكمها « علاء الدين خوارزم شاه » (١١٩٩ — ١٢١٩) بعد أن تغلب على مجموعة من الترك الوثنيين كانت بينها وبين المسلمين أحداث وقــد تمكن من هزيمة السلطــان السلجوقى فى ١١٤١ م وسيطر على بلاد ماوراء النهر حتى تمت الهزيمــة أخيراً على يــد « علاء الــدين » ، الذى امتدت مملكته من حدود العراق الى تركستان فشملت بلاد (غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل بما فيها أصفهان والدى وبعض أراضى من الهند ، ثم تجاوز شمــالا الى ماوراء النهــر — جيحون — حيث بخارى وسمرقند . وقد ذكر عنه « ابن الاثير » فى « الكامل » :

(لم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه .)

كما جاء فى كتاب « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » :

(أن جيش علاء الدين بلغ ٤٠٠ ألف محارب .)

الا أن « علاء الدين » هذا وقع فى خطأ مميت ، عندما جاءت الى بلاده رسل موفدة مــن زعيم المغول « جنكيزخــان » ، فأخــذه الغــرور بقوته وبأسه ، مع دافع من الطمع أيضا ، فأمر واليه فى « أوترار » بقتــل هؤلاء الرسل ومصادرة الأموال التى يحملونها . وكأنما أحس بخطئه ، فأراد أن يتعرف على رد الفعــل عند المغول ، فبعث ببعض جواسيســه الى هناك سرا . ويذكر « ابن الاثير » ذلك :

(وعادوا بعد مدة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن

الاحصاء ، وانهم من أصبر خلق الله على القتال ، لا يعرفون الهزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بأيديهم .)

ويعقب « ابن الاثير » على ما حدث بعد ذلك :

(فندم خوارزم شاه على قتل أصحابهم واخذ اموالهم . وحصل عنده فكر زائد .)

ولا حاجة بنا الى الدخول فى التفصيلات ، سوى أن جحافل المغول بقيادة « جنكيزخان » ذاته اجتاحت البلاد ودمرت كل ما صادفته وفتكت بالناس فتكا ذريعا ومبيدا بغير رحمة وذلك فى ١٢١٩ ميلادية .

ومنذ ذلك الزمن البعيد ، وحتى القرن التاسع عشر ، كانت هذه البقعة من آسيا الوسطى مجالا مباحا ومفتوحا لكر الغزاة وفرهم بعد أن أصبحت مطمعا لأمراء الأقاليم المجاورة ، ولهذا كانت تسمى « تفاحة النزاع » ، وانعكس هذا على ظروف الحياة بحيث جعلها تمكث طويلا فى دائرة التخلف والتأخر ، فى الوقت الذى كانت بلدان أوروبا الغربية تسير بخطا واسعة فى طريق النهضة الصناعية بعد اكتشاف البخار وامتداد النشاط التجارى والعلمى بين ربوع العالم .

وكان آخر المطاف أن وقعت « أوزبيكستان » مع سائر دويلات آسيا الوسطى فى قبضة الحكم القيصرى الروسى ، وأطلق عليها اسم « تركستان » .

ومنذ ذلك الحين تبدأ مرحلة جديدة فى حياة الانسان هناك .

حقيقة لم تعد هناك حروب بالصورة الوحشية السابقة ، ولكن أصبحت هذه البلاد وقد تسلط فوق رؤوسها ما هو أشد هولا . فقد أصبحت « تركستان » مجرد مستعمرة لقياصرة روسيا ، وكان يحكم باسم القيصرية حفنة من أغنياء البلاد وكبار الملاك العقاريين والاقطاعيين وطبقة البايات ، وكان المنهج الدائم لهذا النوع من نظم الحكم ، هو العمل على ابقاء هذه البلاد فى أدنى درجات التخلف والفقر والجهالة وانعدام كافة الحقوق لعامة الشعب .

لهذا ، لم يكن غريبا أن تنتشر الأوبئة والأمراض المعدية وتحصد أرواح عشرات الألوف من البشر .

فالنظام الاستعمارى القيصرى لم يظهر أقل اهتمام بتطوير الحياة فى تركستان . فلا تعليم يذكر ولا ثقافة على الاطلاق لعامة الشعب ، وفى نفس الوقت ظلت وسائل الزراعة على حالها البدائى ، وكذلك الصناعة وكافة الخدمات وفى مقدمتها الصحة . . كلها كانت بنودا مستبعدة من برامج وخطط الحكم القيصرى المستبد ، الا بندا واحدا كان يحظى بكل الاهتمام ، هو متابعة الدعم لسياسة السيطرة الادارية عن طريق زيادة قوات الجيش والامن . . ولا غير .

والغريب حقا ، أن هذه الحسابات القيصرية جاءت بنتائج معاكسة للعرض الموضوع لها .

هذا النظام الاجتماعى الفادح والذى يحمل الطابع العدوانى للقومية الروسية القيصرية ، أثار واستفز فى جماهير آسيا الوسطى روح المقاومة ، وأيقظ لديها أهمية وضرورة الالتحام بالحركة الثورية الناهضة فى روسيا والتى كان الحزب الشيوعى يقودها .

وجاء فبراير ١٩١٧ لتندلع نيران ثورة مبكرة أطاحت بالحكم الاستبدادى المطلق وانهت الادارة الاستعمارية للجنرالات والحكام العامين لروسيا القيصرية فى « تركستان » . فبدأت تتأسس هناك مجالس العمال والجنود ، التى ظهرت متأثرة بنفس اتجاهها مجالس الكادحين المسلمين أيضا .

ولكن الحكومة البورجوازية المؤقتة فى روسيا التى كان يرأسها « كيرنسكى » ، كانت عن طريق لجنتها فى تركستان تحاول عرقلة الاتجاه النامى نحو الثورة الاشتراكية ، واستخدمت كل الوسائل للحيلولة دون بقاء التحالف الذى قام بين الكادحين من القوميات المختلفة والمتعددة وبين الطبقة العاملة والفلاحين الروس .

وفى ٢٧ أكتوبر ١٩١٧ وصل الى آسيا الوسطى نبأ انتصار الانتفاضة المسلحة فى « بتروجراد » التى يطلق عليها الآن أسم لينينجراد . وفى اليوم التالى ثار عمال وجنود « طشقند » على مضطهديهم ، وبعد خمسة أيام من المعارك الطاحنة تمكنت الجماهير العاملة فى تركستان بمعاونة من الطبقة العاملة الروسية وباشتراكها الفعال من الاطاحة بسلطة المستغلين المستبدين ، وأصبحت السلطة فى يد قوى الثورة الوليدة .

فى نوفمبر ١٩١٨ أعلن المؤتمر الثالث لمجالس تركستان قيام السلطة السوفيتية فى جميع انحاء البلاد وحدد الحكم مجلس لمفوضى الشعب .

وقد اشتركت القوميات المتعددة وبشكل مباشر فى تأسيس الأجهزة السوفيتية بالمدن والقرى .

وفى ١٩١٨ تأسست جمهورية تركستان الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى ، ضمن جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية .

وفى ١٩٢٠ نجحت الثورات الشعبية فى الاطاحة بأمير « بخارى » وخان « خيوا » .

وفى ١٩٢٣ تأسست جمهورية خوارزم الشعبية السوفييتية .

وفى ١٩٢٤ تأسست جمهورية بخارى الشعبية السوفييتية .

وبهذا أصبحت فى آسيا الوسطى ثلاث جمهوريات اشتراكية سوفييتية .

وكان سكان تركستان يتألفون من الأوزبيك والكازاخ والطاجيك والتركمان والقوغيز . كما كانت بخارى تضم الأوزبيك والطاجيك والتركمان والقاراقالباق . فكأن القومية الواحدة مشطورة الى شطرين يفصل بينهما حدود افتعلها فى الماضى حكم القياصرة المستبد . ولهذا ظهرت الحاجة الى تعديل هذه الحدود على أسس أثنوغرافية وعلمية لتجميع الشمل المتناثر لكل قومية قدر الامكان .

ذلك أن أحدى الميزات التى اكتسبتها شعوب المستعمرات القيصرية فور انتصار ثورة أكتوبر كانت هى تحررها النهائى من أى سيطرة أجنبية : **فقد أطلقت الثورة الاشتراكية الأولى سراح كل الامم والشعوب التى كانت القيصرية تستعمرها ، سواء فى آسيا أو فى أوروبا ، مثل بولندا . حيث**



أصبح الارتباط بالاتحاد السوفييتى ارتباطا اختياريا لا ارغام فيه . ومن هنا ظهرت المتطلبات العاجلة لشعوب آسيا الوسطى التى كانت غارقة فى

المنازعات فيما بينها وكان لابد من اتخاذ موقف صحيح ودقيق للغاية من حاجات ومتطلبات السكان المحليين ، مع الاخذ فى الاعتبار بكافة خصائصهم القومية وظروف حياتهم ومعيشتهم ، استنادا الى أن الاهتمام الأكبر بمصالح مختلف الامم هو الذى يزيل أساس المنازعات ، لأنه يستبدل بفقدان الثقة المتبادل بينها التضامن والتعاون لا سيما بين العمال والفلاحين الذين يتحدثون بلغات مختلفة أيضا .

هذا المنهج من التفكير هو الذى بادر « لينين » بطرحه فى حينه واعتباره توجيها سياسيا يجب الالتزام به ، واتبعه بحيثيات منطقية وعملية مجربة فى نفس الوقت :

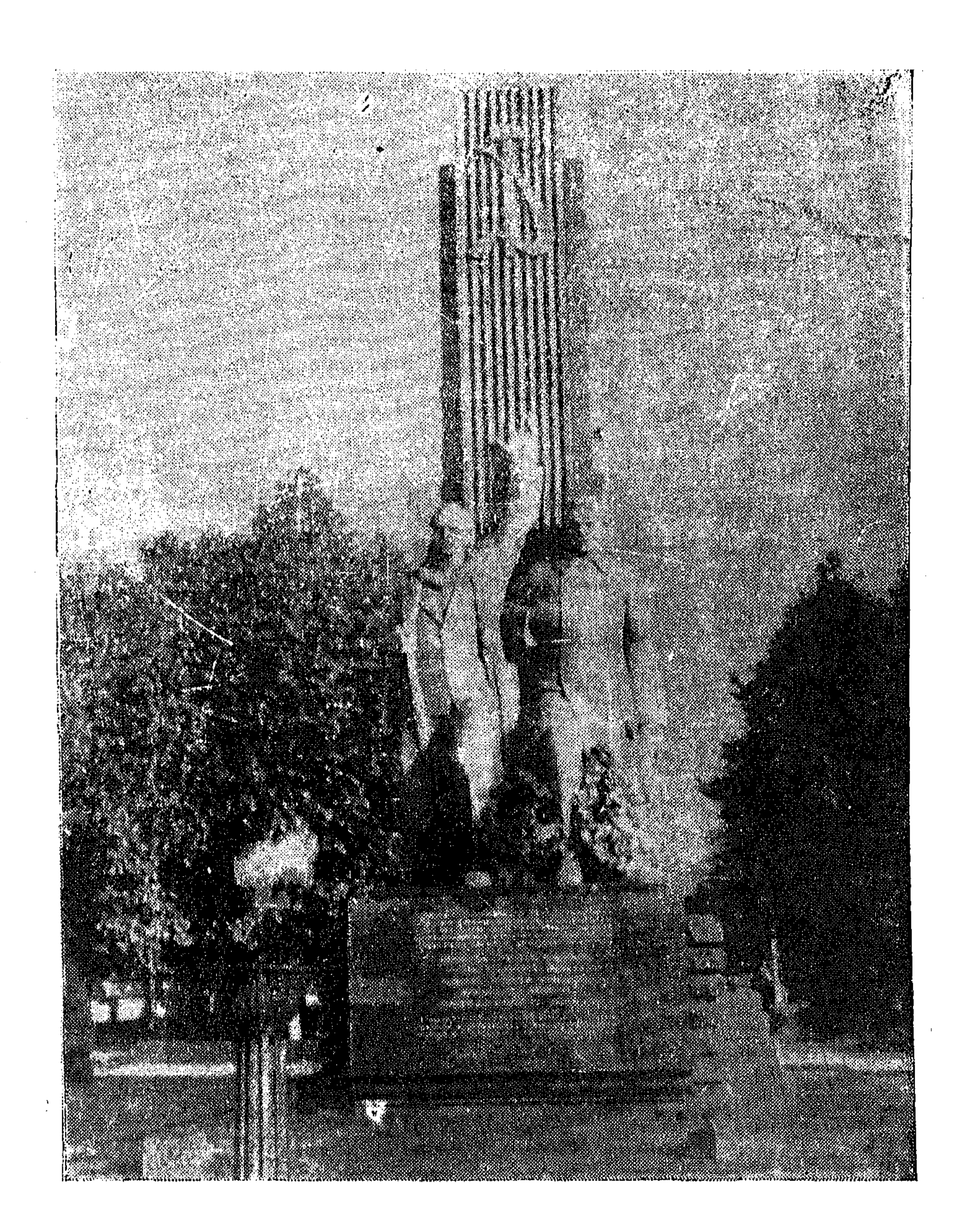
أن هذا التراث المتخلف عن عهود القيصرية لا يمكن أن يتبدد من تلقاء نفسه ، حتى مع توفر الرغبة الشديدة ، فانه لا يمكن القضاء على هذا التراث فى لحظة وبجرة قلم . بل يلزم بذل الكثير من الوقت والصبر والسير على سياسة صحيحة فى المسألة القومية .

وتبعا لهذا ، كانت من المهام الأساسية اعادة تربية الجماهير بروح الأممية بدلا من روح التعصب الأعمى للقوميات الصغيرة والعديدة ، مع التوصل الى المساواة الفعلية بين شعوب البلاد والعمل على استئصال الخلافات القومية وازالة النزاعات وانعدام الثقة . **وقد اعتبرت هذه القضية امتحانا لمقدرة النظام السوفييتى على الانتقال بشعوب المنطقة من حالة التخلف الاقطاعى الى عصر الاشتراكية دون المرور فى المرحلة الرأسمالية ، وهذا لا يتم الا باجتذاب الجماهير الواسعة من الشغيلة للمشاركة فى ادارة شئون الدولة .**

ولكن ، هل وصلت الأوضاع الى هذا التطور بغير ثمن ؟

بالطبع لا . فالقوى المعادية للثورة موجودة ولم تترك عملا يمكن أن تؤديه لضرب هذه الثورة الا وقامت به . فقد وجدت هذه القوى المحلية انصارا لها من الخارج ، حيث كانت الامبريالية فى انجلترا وفرنسا وأمريكا تبحث عن نقط الضعف فى هذا البنيان الثورى الوليد لتنفيذ مخططاتها وضرب الثورة فى مركزها .

ومن أجل هذا دفعت القوى المحلية الرجعية لشق الحملات الحربية فى أكثر من مكان فى وقت واحد . ووصل الوضع الى أن هذه القوى اثارت حروبا حقيقية فى الشمال وفى الشرق وفى الجنوب وفى الغرب أيضا ، وقد عرفت بحرب التدخل واستمرت طيلة ثلاث سنوات ، حدث ماحدث فيها من خراب وازهاق للأرواح العديدة ، ودمرت المصانع والمشروعات العمرانية



– النصب التذكاري لشهداء الحرب الأهلية في ميدان محطة طشقند

التي كانت قائمة ، بل ووصل الأمر الى القيام بتسميم الآبار والماشية . هذا على نطاق الاتحاد السوفييتي كله .

أما على الصعيد المحلي بأسيا الوسطى ، فقد تكونت العصابات الرجعية والتي أطلق عليها اسم « الباسماتش » وقامت هذه العصابات باغتيال القادة الشيوعيين وزعماء العمال وطلائع الفلاحين . وقد أعدمت في

« طشقند » مجموعة من المفوضين الأوزبيكيين بلغ عددهم خمسة عشر مفوضا تم حرقهم في الحال بدون أدنى شفقة أو رحمة .

لكن هذه الحرب الأهلية لم تنته كما كان يرسم الاستعمار والرجعية واندحر في النهاية « الباسماتش » .

وفي ١٩٢٤ كانت الظروف قد تهيأت تماما لتأسيس الجمهوريات القومية السوفييتية .

وفي ٢٧ أكتوبر تأسست جمهورية اوزبيكستان الاشتراكية السوفييتية .

هذا الموجز التاريخي لم أعرف منه الكثير من قبل ، فقد وصلت الى موسكو أولا ومنها كان على أن أواصل الطيران حتى طشقند في نفس اليوم ، ولهذا لم تكن لدى فسحة كافية من الوقت لأتابع بعض القراءات عن البلاد التي سأراها بعد ساعات . ولعل هذا هو الذى أوجد في نفسي شعورا غير واضح شأن المقدم على مغامرة من نوع خاص ، ونحن في طريقنا داخل مبنى المطار ، وكان نفس الشعور هو الذى ثار في نفسي بعد أن اتخذت مكاني في الطائرة وتركت مقعدي يميل الى الوراء زيادة في الاسترخاء واستعدادا للنوم . وفي تلك الأثناء أخذت أرقب من نافذة الطائرة طوابير المسافرين المتناثرة على أرض المطار وكأنها خيوط تتعرض في أشكال تجريدية بحتة وكل خط منها ينتهي عند سلم احدى الطائرات .

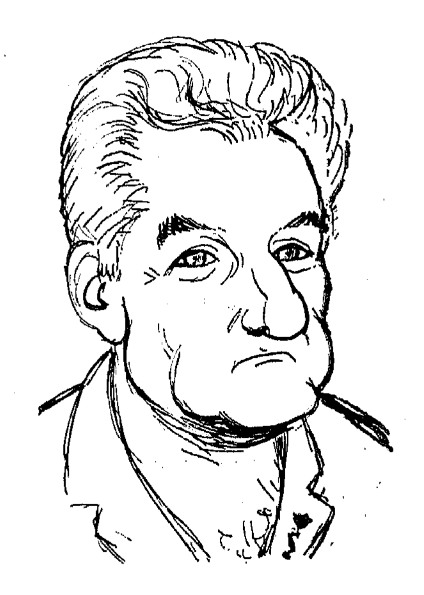
ولكن هذا المنظر لم يغير كثيرا من الشعور القلق الذى لازمني منذ قليل . ورغم انى لا أدعى لنفسي الشجاعة — وبخاصة ازاء الموت — فانى كنت واثقا من أن السبب في حالة القلق لا ترتبط بالخوف من الطيران ، فقد سبقت لى هذه التجربة عدة مرات ، واقتنعت بأن لا داعي للخوف من شيء قبل وقوعه ، حتى لا يموت المرء مرات عديدة قبل أن يموت حقا . وأخيرا — وبعد أن بدأت محركات الطائرة تصدر دويها — تبينت لى العلة وعرفت السبب ، وكم كان بسيطا .

يبدو أني حاولت بدون ارادة أن أستجمع ما قرأته عن أوزبيكستان ، ولكنى لم أوفق نظرا لحالة الالحاح التي سيطرت على وأنا على وشك الانتقال الى أرض جديدة . وقد فتشت داخل ذاكرتي الواعية فلم أعثر الا على بضع أسماء لا تفيد كثيرا مما احتاج .. طشقند .. سمرقند .. بخارى .. خوارزم .. تيمورلنك ، ولا شيء آخر .

انها في شكلها لا تزيد عن كلمات مجردة ، ولكنها في نفس الوقت كانت معروضة في مخيلتي وكأنها مندثرة ومتلفعة بغلالات من الجو الأسطورى .

وما ان وصلت الى هذه النتيجة حتى غلبني النوم .

وعندما فتحت عيني كانت أشعة الشمس تخترق نوافذ الطائرة ، فاخذني العجب . ترى هل مضى علينا في الجو أكثر من سبع ساعات ، فقد



« بوريس » مصاحبي القوقازي
في الرحلة إلى آسـيا الوسطى

غادرنا موسكو بعد منتصف الليل بكل تأكيد ، وهل نمت هذا الوقت الطويل نوما متصلا ؟

وأدرت رأسي نحو « بوريس » — وهو مصاحبي القوقازي في الرحلة — لأسأله عن الوقت الذي نحن فيه ، فابتسم وهو صامت لا يجيب للحظات ، وكأنه قد ادرك ما يدور في خلدي ، وقال بلغة فصحى ركيكة :

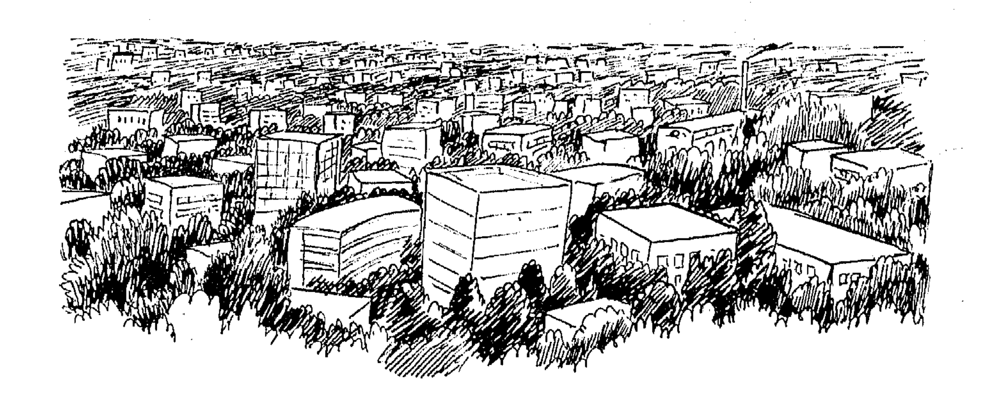
— اسمع يأستاذ . نحن نطير نحو الشرق . وهذا معنـاه أننا نطير في الاتجاه الذي تأتي منه الشمس ، أي أننا نستعجـل الشروق كلمـا توغلنا في هذا الاتجاه . ونحن الآن داخل أجواء أوزبيكستان ونقترب من عاصمتها « طشقند » حيث يجب أن نرجع عقارب ساعـاتنا الى الوراء ثلاث ساعات كاملة ، هي فرق الوقت بينها وبين توقيت موسكو .

وراجعت هذه العملية الحسابيـة في ذهني ثم انتهيت الى نتيجة ، هي أننا في هذه الرحلة قد سرقنا من الزمن ثلاث ساعـات . وابتسمت لشقاوة هذا الخاطر ورحت أطل من النافذة لأرى الهضاب والصحـاري والجبال ومساحات غير منتظمة الأشكـال من الخضرة تغطي مساحـات كبيرة من سطح الارض . ثم بدأت تظهر مساحات مزروعة لها أشكال هندسية أكثر انتظاما . وانطلق المذياع ينقل لنا أعلان المضيفة باقترابنا من هدفنا وتطلب منا ربط الأحزمة استعدادا للهبوط في مطار « طشقند » ، لم تلبث الطائرة بعد ذلك أن دلفت على أرض المطار ثم توقفت .

وبعد أن فتح باب الطائرة رأيت ثلاثة أنواع من الملابس القومية القديمة الطراز بالعمائم والقفاطين والسراويل والأحزمة الجلدية والأحذية التي تغطي الساق من الجلد الأسود الطري . وما كاد المسافرون ينزلون على السلم حتى

تقدموا من أحدهم وأرتفعت تحياتهم « السلام عليكم » وتبادلوا الأحضـان ، واستغرقت بضع لحظات فى تأمل ، وكأن المنظر الذى اراه الآن يشعرنى وكأنى لازلت فى مصر لم اغادرها بعد .

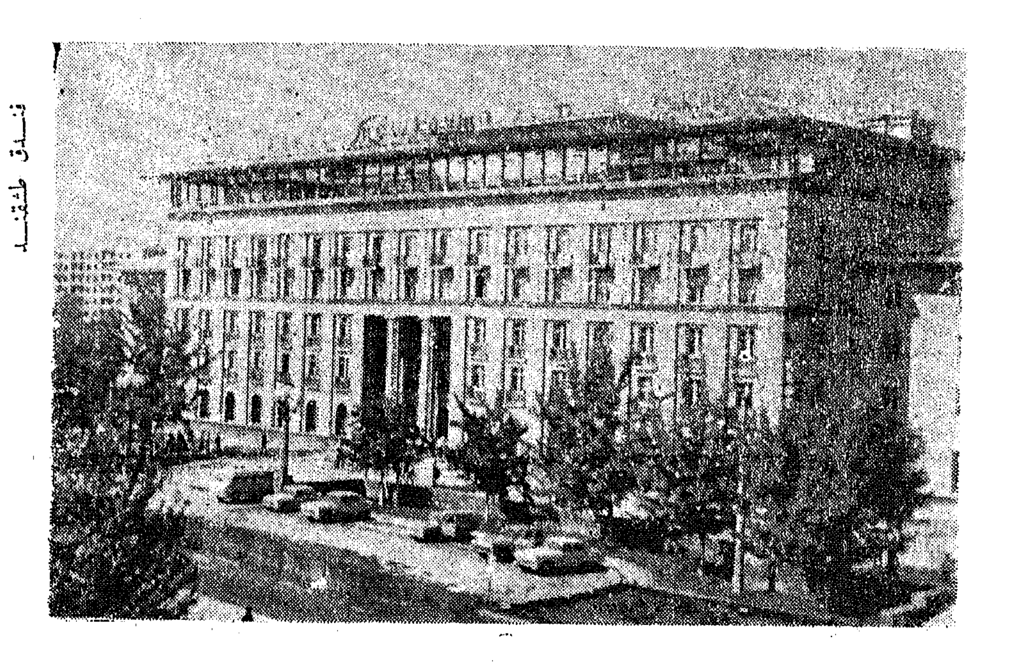
وبعد الاجراءات الادارية المتبعة فى المطار ركبنـا سيارة كـانت أمام أبواب المطار وانطلقت بنا ، ثم لم تلبث أن صعدت طريقا علويا يتفرع الى ثلاثة طرق . وانتهزت هذه الفرصة لألقى نظرة أكثر قربا على الدنيا التى



نحن متجهون اليها ، فشاهدت أمواجا كثيفة من الخضرة كـأنها بلا نهايـة ، ومن بعيد كانت تطل من بينها أطراف مبان واسطح عمارات كأنها غرقى فى هذا البحر من الأشجار .

وعندما دخلت السيـارة فى شوارع « طشقنـد » لا حظت أن المبانى كلها تبدو كما لو كانت حديثة جدا ، ليس من ناحية الطراز فقط ، ولكنها كانت تبدو وكأن عمال البناء والبياض قد فرغوا لتوهم من تشطيب العمل بها . وأينمـا أدرت بصرى التقى بالخضرة ، حول العمـارات الكبيرة ، وفى اركان الحياة هناك تؤلف الحدائق عنصرا أساسيا ، وحتى شرفات المساكن رأيت النباتات المتسلقة تنسج عليها كالستائر . فالشمس وحرارة الطقس فى هذه المنطقة تفرضان على الناس اللجوء الى الظـل ما أمكن ذلك وطالما توجد مساحة للزرع .

ولقد قطعت السيارة بالفعل عـددا كبيرا مـن الكيلو متـرات داخل شوارع طشقند جعلتنى أعجز عن تحديد مسـاحتها ، وأينمـا سرت كانت المبانى والعمارات السكنية ودور المؤسسات تبـدو بنفس الهيئة الناصعة النظيفة المجملة بالزهور والخضرة . ولم أعثر على مبان قديمة الا فى مكانين أو ثلاثة على ما أذكر ، وقد تبين لى أنها بعض مـا بقى قائما بعـد أن هدم الزلزال طشقند سنة ١٩٦٦ .



فنـــدق طشقنـــد

أخيرا ، وصلنا الى فندق ((طشقند)) الذى نزلت فيـه مدة اقامتى بالعاصمة ، وهو من المبانى القديمة التى صمدت للكارثة .

وكانت اجراءات حجز الغرف قد استغرقت وقتا أطول من المعتاد ؛ لأنه كان من المتعذر ايجاد غرفة واحـدة لنا نحن الاثنين ، انـا ومصاحبى « بوريس » . فالضغط السياحى على أشده نظرا لكثرة الوفود السياحية من مختلف أنحاء العالم ، وكان نصيب الأمريكيين كبيرا بينها . لهـذا فقد تركته يباشر مهمته بينما أخذت أتجول فى أرجاء الطابق الأرضى الذى كنا فيه ، لأرى مكاتب عدة للخدمات من بريد وتلغراف وتليفون ، كما وجدت ركنا أقيمت له حواجز يجلس فيها خبير فى اصلاح الساعات . وشد انتباهى القسم المخصص لبيع الهدايا من الانتاج الأوزبيكى . وكانت المعروضات به أنواعا جميلة ورائعة الذوق من المنسوجات الحريرية والطواقى المزركشة بكل الألوان الزاهيـة التى يتخصص فيها الانتـاج القومى باعتبارهـا زيا شعبيا ، الى جانب أدوات الشاى المصنوعة بتصميمات بديعة من الصينى الملون والمزركش . وغير ذلك العديد من الأشياء التى يعتنى السياح بشرائها ، مثل معلقات المفاتيح وحافظات النقود والايقونات والخواتم .. الخ .

وبعد أن رتبنا ملابسنا وحاجياتنا فى دواليب الغرفة واخـذنا حماما دافئا ، تجدد نشاطنا فجأة ، فجلسنا نستعرض البرنامج الـذى سوف نبدأ تنفيذه من الغد . وقد كانت هناك ـ بالطبع ـ خطوط رئيسية لجدول الرحلة ، ولكن بقى أن نرقبها حسب الامكانيات والظروف ، فهـذه الفترة فترة اجازات ، فضلا عن اهمية ترتيب مواعيدها بتوقيت ملائم .

وكانمــا تذكر « بوريس » فجاة شيئـــا قد فاته ، اذ أنه انتصب من غير تمهيد لذلك واتجه نحو التليفون وبعد كلمات قليلة عاد وهو يقول :

ــ لابد وأن ننتظر المرافق الأوزبيكى ، فأنا لا أعرف هذه اللغة .

وقد عرفت فيما بعد ، أن أوزبيكستان تضم أربــع عشرة قومية لكل منها لغتها الخاصة وأن من بينها سبع لغات تتم الدراســة بها فى آن واحد بالمدارس والمعاهد العليا وبالجامعتين .



• **ناريمان حسنوف**

كنت فى الغرفة وحيدا عندما سمعت طرقا على الباب وعندما فتح الباب رأيت شابا قصير القامة صغير الجسم يدخل وتسبقــه ابتسامــة مشرقة وهو يمد يده نحوى ويقول :

ــ السلام عليكم .

وسمعت لغة عربية أقرب الى تلك التى نتعامل بهــا فى مصر . لقد كانت لهجته ــ وقد تأكد لى بعدئذ ــ تكاد تكون عامية مصريــة . وكان « بوريس » يتبعه وهو يميل برأسه الى الأمــام كأنــه يستعد للمقاطعــة مع ابتسامة تحمل معنى المكر الطيب ، فقدمه الى ونفس الابتسامة عالقة على شفتيه كأنه نسيها :

ــ ناريمان حسنوف .

وحاولت أن أخفى ابتسامة مفاجئة عندمــا سمعت اسم « ناريمان » يطلق على مذكر . الا أنه ــ أى ناريمان ــ لم يترك لى فرصة ، لأنه قال وقد اخذت ابتسامته تزداد اتساعــا لتشرق من ورائها أسنان ناصعــة البياض :

ـ هذا الاسم كثيرا ماعرضني لمداعبة زملائي عندما كنا نقوم بزيارتنالعدد من البلاد العربية . ولكن أكثر هذه المداعبات تأثيرا ، كانت عندما خرجنا من جناح الملك السابق « فاروق » بسراى المنتزه بالاسكندرية ، ثم دخلنا جناح الملكة السابقة ، صاح الدليل بأن هذا جناح « ناريمان » . وبدلا من أن ينصرف الجميع الى مشاهدة الجناح ومحتوياته ، تركزت أنظارهم نحوى ، ثم انفجروا فى الضحك . وعندما رجعت الى بيتى ـ هنا فى طشقند ـ وسمعت زوجتى بما حدث ، أخذت هى الأخرى تضحك ، واتضح انها تضحك لسبب آخر ، هو أن هناك من الشعوب ما يقصر هذه التسمية على الجنس اللطيف . ذلك أن مصدر هذه التسمية من ايران حيث تطلق على الجنسين بدون تخصيص لأحدهما .

وعندما واصل « ناريمان » حديثه عن العادات والتقاليد المشتركة بين أوزبيكستان وايران من جانب ، وبين تركيا من جانب آخر بما فى ذلك اللغة ، أدركت أن ناريمان ليس مجرد مترجم ، وهذا ما اتضح بعد ذلك ، بل هو مستشرق ـ مع أنه لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ـ وأنه مولع بالمعارف المختلفة عن الشعوب العربية ، كما عرفت أيضا أن حركة الاستشراق متسعة فى جميع بلدان آسيا الوسطى ، وأن السبب فى ذلك يرجع الى أن الدراسة والتعليم فى المنطقة كانا من قبل الثورة يتمان باللغتين العربية والفارسية وحدهما . وهذا يفسر وجود حرف (القاف) فى الحروف الهجائية الأوزبيكية .

كما عرفت عنه أنه أمضى ثلاث سنوات فى اليمن وزار مصر عدة مرات وكذلك سوريا ، وأنه الآن مهتم باعداد دراسة علمية سيقدمها للمناقشة والحصول على اجازة علمية عليها وموضوعها عن مناهج التربية والتعليم فى البلاد العربية .

والى جانب هذا فهو أب .

وقد تم الاتفاق فى هذا اللقاء على المقابلات الممكنة ـ نظرا لموسم الاجازات ـ مع عدد من المسئولين فى الحكومة وفى الحزب والمعاهد والنقابات والهيئات الدينية والمزارع الجماعية ، وجميعها تغطى كافة الجوانب المهمة فى اعطاء صورة عن مدى التطور الذى تم انجازه وتحقيقه . وسوف استعرض هذه اللقاءات ، لا بالترتيب الزمنى الذى تمت فيه ، ولكن تبعا لترتيب آخر يبدأ بالموضوع الأكثر تأثيرا عن باقى الموضوعات ، وهو الموضوع السياسى ونظام الحكم ومميزاته وخصائصه .

مع الرفيق تيشابابيف



تقوم فى الميدان الجديد المسمى ميدان « لينين » ثلاثة مبان . أحد هذه المبانى ـ وهو أقدمها عمرا ـ دخل التاريخ الحديث ، بعد أن عقد فيه مؤتمر السلام بين الهند وباكستان اثر الصدام العسكرى الذى وقع بين الدولتين والذى انتهى الى توقيع معاهدة الصلح بينهما . وهو المؤتمر الذى ما كاد الرئيس الهندى الراحل « شاسترى » ينتهى من توقيعه ، حتى توفى بأزمة قلبية مفاجئة .

والمبنى الثانى ، وهو شاهق الارتفاع ويصل الى ٢٢ طابقا ، فهو المقر الجديد لمجلس الوزراء الأوزبيكى وهو من الطراز المعمارى الحديث جدا .

والمبنى الثالث ـ وهو أول بند فى برنامج اللقاءات مع المسئولين ـ وهو أيضا من الطراز المعمارى الحديث ، هو مقر المجلس الأعلى للجمهورية .

وعلى المدخل الزجاجى استقبلنا الضابط المكلف بالحراسة ، واشار لنا الى المصعد المؤدى الى حيث موعدنا وكذلك رقم باب الغرفة .

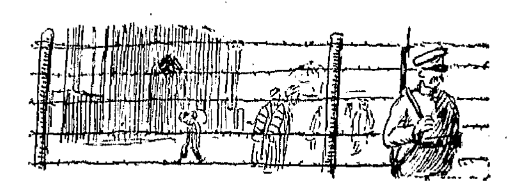
وبعد أن تم التعارف بيننا وبين المسئول وزميله ، جلسنا أمام مائدة اجتماع صفت عليها أوانى الفاكهة والحلوى وبعض زجاجات المياه المعدنية وعلب السجائر . وتأملت مضيفى الطويل القامة بغير اسراف بوجهه المفرود الأسمر الذى تغلب عليه الملامح الآسيوية وأنفه العربى وفكيه البارزين .

وتكفى بضع نظرات نحوه لكى يدرك المرء ثقل المسئولية التى يحملها على كاهله هذا المسئول ـ بل ـ ويستطيع المرء أن يقرأ على ملامحه بكل

الوضوح ، كم كانت طويلة تلك المسيرة التى قطعتهـا « أوزبيكستان » لكى تنتقل من حالة التخلف الى الوضع المنتعش المزدهر الآن .

وقد وجهت أسئلتى اليه قصيرة ومحـددة حول شكـل النظام القائم ومشكلاته .

وقد أفاض فى اجابته بما يغطى المساحة المطلوبة داعما أقواله بعديد من الاصطلاحات والبيانات مرتبة وفق المراحل المتتالية مع عرض مشكلات كل مرحلة فى حينها . وقد رأيت أن أعيد عرض حديثه بترتيب يناسب اضافة المعلومات المكملة لأجزاء الموضوع والتى أستقيتها من مصادر واطلاعات أخرى حصلت عليها فى نفس الرحلة ، وبخاصة ما يتصل منها بالحقائق عن الوضع ابان الحكم القيصرى الاستعمارى .



• مستعمرة قيصرية

ان الحالية مستعمـرة خلال الحكم القيصرى بكل ما
ستعمره) من بشاعة وقسوة ، الى الحد الذى كادت تعتبر أثناءه
ـ منزويا فى جانب الدنيا بعيدا عن اشعاعات النهضـة الصناعية
والعلمية التى بدأت تفيض بالنور والتقدم على رقعة أوروبا الغربيـة كلها . ولم يكن اهتمام القيصر ومن يمثل السلطة فى آسيا الوسطى ــ وهم أغنياء المنطقة وموظفو الحكومة الكبار ــ سوى وضع اليد على خيرات البلاد بصورة منتظمة وبجشع متزايد دون أن يتركوا للجماهير المرهقة الا ما يكفى لسد الحاجة ، دون أدنى تفكير فى تطوير الأوضاع لتحسين الانتاج ذاتـه . لقد كان هذا النظام قائما على أساس أن يأخـذ ولا يعطى . ولم يتركـز اهتمام القيصرية الا بدعم أجهزة القمـع من بوليس وجيش ، كمـا لم يكن لها من سياسة غير البطش بحريات الناس فليس للشعب أى حقوق على الاطلاق . هكذا كان الوضع فى أوزبيكستان أيام كانت جزءا من تركستان تحت السيطرة القيصرية المستبدة .

أما اليوم ، فهى شىء آخر تماما .

فاليوم وبقوة حكم الدستور تغيرت السلطة تغيرا جذريا . ولكى ندرك فى يد من تكون السلطة الحاكمة بالفعل ، فلنستعرض كيفية بنائهـا من القاعدة الى القمة .

ونبدأ بأدنى المستويـات ، وهى اللجـان المحليـة ، وتقوم فى المزارع الجماعية (الكولخوزات والسوفخوزات) وفى المصانع والمعامل والنقابات والمؤسسات العلمية والثقافية والتجارية .. الى آخر ذلك . هذه اللجان تنتخب بطريقة الاقتراع السرى لكل مواطن وصل سنه الى الثامنـة عشرة ، كما أن له حق الترشيح لها . ولا يمنع من هذا الحق ـ الانتخاب والترشيح ـ أى اختلاف فى الجنس أو القومية أو العقيدة الدينية أو المستوى الاجتماعى والثقافى . وانما يحرم منه فقط المجانين والمجرمون .

ويطبق فى أوزبيكستان قانون يعطى حق الانتخاب لأى مواطن سوفييتى من الجمهوريات الأربع عشرة الأخرى فى الاتحاد السوفييتى بشرط تواجده داخل أوزبيكستان يوم الانتخاب ولو كان هذا التواجد بحكم الصدفة أو كان عابرا غير مقيم . ويـدل هـذا النص القـانونى على مدى الترابط القائم بين جمهورية أوزبيكستان وبين الاتحاد السوفييتى الأم ، كما يعبر عن الشعور بالوفاء وعرفان الجميل للمساعدات الأخوية التى قـدمت اليهـا من سائر الجمهوريات الأخرى منذ قيام الثورة الاشتراكية عـام ١٩١٧ حتى أمكنها أن تقف على قدميها . لهذا ، فان عملية الانتخاب تعبر بأقصى درجات الصدق عن ارادة الجماهير الواسعة ، وباعتبار هـذا الانتخاب تكليفـا أكثر منه تكريما . فالصفة النيابية ليست وظيفة فى حد ذاتها أو احترافا ولا تبيح للنائب أن يترك عمله الأساسى الذى تخصص فيـه ضمن واجبـات فروع الانتاج الاقتصادى أو الصناعى أو الزراعى أو غيرها . بل ان هذا الانتخاب يفرض على النائب مزيدا من الحرص على مواصلة الاجتهاد للتفوق فى تخصصه كشرط للاحتفاظ بصفته النيابية .

ونتيجة مباشرة لهذه الوضع فان كل نائب ـ من خلال وضعه العلمى ـ يستمد القدرة على اصدار الأحكام الواقعية من القرارات المطروحة للنقاش ، لأنه كجزء من قوى الانتاج أقدر على ادراك المطالب الحيوية التى يحتاجها الوسط المنتج الذى يعمل فيه .

ثم أن كل نائب ملزم بتقديم كشف حساب الى ناخبيه عن تقدم عمله فى اللجنة المحلية بواقع مرتين كل سنـة على الأقـل ليطمئن الناخبون على سير الحياة . وفى هـذا دليـل على مشاركـة الناخبين الفعليـة التى من خلالها يتابعون حركة النظام .

ومن حق جماهير الناخيبين أن يسحبوا التفويض مـن نائبهم ، ولكن بضوابط تكفل عدم استخدام هذا الحق بطريقة ظالمة أو مخربـة أو معطلة لسير العمل وتطوره . وتبدأ هذه الاجراءات بعقد مؤتمر خاص يضم الناخبين ثم يطرح موضوع وسبب المطالبـة بسحب التفويض . واذا كـان النائب المطلوب سحب التفويض منه فى مستوى أعلى كأن يمثل دائرة كبيرة ـ منطقة مثلا ـ فانه تتم عقد عدة اجتماعات فى أماكن متفرقة ومتعددة بحسب حجم ومستوى

العضوية ، وذلك فى زمن واحد . وهذا المؤتمر تتم الدعوة له حسب جدول كل مستوى فى الكولخوز أو المصنع أو الحى ، ولكل مواعيد ثابتة ومنتظمة للاجتماعات . ثم ترسل نسخة من القرار الى النائب المعنى ونسخة أخرى الى مجلس السوفييت الذى يحول القرار الى لجنة شئون الأعضاء بالمستوى واللجنة التابعين لهما النائب المقصود . وهـذه اللجنـة تجتمـع لتراجع الخطوات التى اتبعت فى صدور القرار من ناحية مطابقته للقواعد القانونية الثابتة والسائدة . وبعد ذلك تقرر موعد تنفيـذه وتؤلف لهـذا لجنة من نفس المنطقة .

ومع هذا فللنائب المقصود ، الحق فى الدفـاع عن نفسـه أمام لجنة شئون الأعضاء ، وعلى صفحـات الجرائـد والمجلات ، ثم بعـد ذلك ، يتم بطريقة علنية اصدار القرار الأخير ، باتبـاع رأى الأغلبية المطلقـة (نصف الاعضاء زائد عضو واحد على الأقل) .

ثم يحدد المجلس المحلى موعد انتخاب البديل .

هذا هو المستوى القاعـدى . ثم تتـدرج المستويـات الى المستوى الأعلى ، وهو اللجنة العليا لعموم الجمهورية ، مرورا بلجان الأحياء والقرى والمدن ، ثم المناطق ثم المحافظات .

والمجلس الأعلى يتم انتخابه بالطريق المباشر ، بواقع نائب لكل ٢٥ ألفا من السكان . وقد انتخب آخر مجلس أعلى — وهو الحالى — فى يونيه ١٩٧١ وتستمر مدته أربع سنوات . ويتألف من ٤٥٠ نائبا من بينهم ٥١ امرأة . كما أن من بين كل ثلاث نواب شابا (يقل عمره عن ٣٠ سنة) وحق الانتخاب لهذا المجلس لكل من وصل الثامنة عشرة من العمر . أما حق الترشيح فيلزم أن يكون سن المرشح لا يقل عن الواحد وعشرين عاما ، نظرا لضرورة توافر الحد الأدنى من التجربة والخبرة فى وضع القوانين ومتطلبات التخطيط . وهذا المجلس يقدم تقريره مرة واحدة فى السنة متضمنا المنجـزات والبرامج الفعلية . ويعقد دورتين كل سنة ، حيث يتم عرض كافة الموضوعات واتخاذ القرارات بشأنها . أما الأمور التى تظهـر بين هـذه الـدورات ، فيتولى البت فيها رئاسة المجلس الأعلى والتى تقدم فى اول دورة انعقـاد للمجلس ما اتخذ بشأنها لابداء الرأى وتأكيد القرار أو تعديله . وكل دورة للمجلس يكون لها رئيس ونائبان وسكرتيران للرئاسة وثلاثة عشر عضو رئاسة ، وهو ما يعرف باسم « مجلس الرئاسة » ويجتمع مرة كل شهر على الاقل .

وفى دورات الرئاسة ، يبدأ بانتخاب اللجان الدائمة النوعية كالصناعـة والزراعية ، وهى ١٦ لجنـة تضم ٣٠٤ من النواب ، وهى تـراقب وتتابع تنفيذ قرارات المجلس الأعلى وتطلع على تقارير الوزراء وادارات المؤسسات حول سير العمل بها ، كما تقدم التوصيات التى تراها ، وتتولى تقرير حصر المواضيع المقترحة للمناقشة فى جدول أعمال الدورات القادمة للمجلس .

وفى أول دورة للمجلس الأعلى ، يتم تكوين الحكومة الجديدة ، بانتخاب رئيس للوزراء الذى يتقدم باقتراح أسماء الوزراء الذين يرشحهم ، وبعد مناقشة المجلس لاقتراحه يتم اتخاذ القرار بالموافقة أو بالتعديل أو بالرفض . ورئيس الوزراء هو المسئول التنفيذى والمسئول أيضا عن توزيع القرارات اثناء سير عمليات التنفيذ ، وله الحق فى تصويب وتحسين أى قرار فى اتجاه القانون . والمجلس الأعلى هو صاحب الحق فى تكوين المحكمة العليا .

واذا تأملنا التكوين الاجمالى للجان المحلية نجد أنها تضم ٨٦٤٤١ نائبا نصفهم من النساء ، وأن نسبة النواب غير الأعضاء بالحزب الشيوعى ٥٤ ٪ وأن نسبة العمال الصناعين والكولخوزيين ٦٨ ٪ ويسود بينهم الاحترام والتقدير الكاملان للعمال البارزين والقادة المعروفين والموظفين المجتهدين .

وتكتمل الصورة بالتعرف على حقوق النائب .

فبالاضافة الى حقه فى استخدام كافة المواصلات فى منطقته بالمجان ، فان له الحق فى الدخول الى أى مؤسسة رسمية بدون اعتراض من أى أحد ، وله أن يطرح أمام الادارات المرتبطة بالعمل فى منطقته كافة الموضوعات التى يرى مناقشتها لتحقيق مصالح جماهيرية أو عامة . وعلى أى موظف كبير أن يستقبله فى أى وقت يحضر ، كما يتحتم على المسئولين الاداريين العمل على حل المسائل المطروحة فى أقرب وقت ممكن . كما أن فى حدود اختصاص النائب أن يشترك فى حل المسائل التى طرحها ، كما أن له الحق فى أخذ أى معلومات ترتبط بدائرة اختصاص المجلس المحلى من وثائق وبيانات ، ولذلك ، فان هؤلاء النواب ينشطون فى حل مشكلات تظهر فور ظهورها .

من هنا يحق للمرء أن يقتنع بأن السلطة صادرة من الشعب وأن الشعب لديه كل الفرص للمشاركة فى تقرير مصيره ، وذلك فى زمن قصير لا يتجاوز نصف القرن بعد أن كان فى هاوية التخلف . **هذه هى صورة من ملامح المعجزة .**

وما كاد الحديث ينتهى ، حتى بدأت روح الضيافة تفرض علينا بعضا من التقاليد السائدة ، وبدأ الحديث يتشعب الى جوانب متعددة ، حتى خطر ببالى أن أتعرف على رأى مرافقى فى الظاهرة التى تلازم وسائل الدعاية الامبريالية بتناولها لوضع الدين فى الاتحاد السوفييتى بين حين وآخر . وقد أثار هذا الخاطر عندى ما قرأته فى احدى الصحف العربية أثناء انتظارى فى مطار بيروت وأنا فى طريقى الى موسكو — فى صيغة الخبر عن تعرض بعض المسئولين فى احدى الجمهوريات السوفييتية للمؤاخذة بدعوى تهاونهم وسماحهم بازدياد عدد المواطنين السوفييت الذين اعتنقوا الاسلام اخيرا . وبمجرد أن عبرت عما يجول فى خاطرى ، ويبدأ « ناريمان » فى الترجمة حتى غمرنى احساس بأنى قد تسرعت بعض الشيء ، وتوهمت أن

سؤالى هذا قد يسبب بعضا من الاحراج ، الا انه لم يكن هناك سبيل لتدارك الأمر . فالكلمة مثل طلقة المدفع أحيانا ، ما تكـاد تغادر الفوهة حتى يصبح من المستحيل ايقافها واعادتها وما كان أمامى سوى الانتظـار . فانتظرت .

وكان الرفيق قد انتهى من ارتشاف القطرات الباقيـة فى كوب المياه المعدنية ، فوضعه أمامه برفق ثم التفت نحوى وهو ينشر على كـل ملامح وجهه ابتسامة مطمئنة ، ونطق عددا من الجمل القصيرة ، وكان يتوقف بعد كل جملة ليتمكن « ناريمان » من الترجمة على مهل ، بعد أن بدا عليه بعض الاجهاد للسرعة التى كان الحديث يدور بها من قبل . ونظرا الى أن هذا الموضوع ذاته قد جرى طرقه فى أكثر من مناسبة بالاضافة الى ما حصلت عليه من اطلاعات اخرى ، فانى أجمل مضمون الرأى بالجمع بين كـل مـا ياتى :

أن السلطة السوفييتية لا شأن لها على الاطلاق بالاعتقاد الدينى .. أى اعتقاد دينى ، ولأى شخص الحق فى اعتناق ما يشاء من المعتقدات ، كما أن له الحق فى الا يعتنق . ولكن هكـذا دابت (العبقـريـات) التى تخطط للدعـاية الامبريالية ــ ليس الآن فحسب ــ بل ومنذ الثورة الاشتراكية ، أى منذ عام ١٩١٧ ، وكأنها لم يعد أمامها ما يمكن الحـديث عنه فى حملاتهـا ضد النظام الاشتراكى السوفييتى سوى هذا النوع الرخيص من التضليل للرأى العام العالمى . ولكن هذه (العبقريات) قد أظهرت قدرا من الغباء لا يمكن لأحد اخفاؤه . فالأيام تمر ، ومع الزمن كان لا بد وأن تفتضح هذه الدعايات المسمومة ، وينكشف أن الهدف من ورائها لا يتجـاوز العمـل على تشكيك جماهير الشعوب ذات العقائد المختلفة فى موقف النظام الاشتراكى السوفييتى من حرية العقيدة . وفى نفس الوقت تؤدى هـذه الحملات دور قنابـل الدخان التى تخفى بها الجيوش تحركاتها . ودليل الغباء الـذى تتمتـع بـه هذه (العبقريات) يثبت يوما بعد يوم ، سواء من المواقف الفعلية التى يتخذها الاتحاد السوفييتى على نطاق العالم كله ، أو بما يلمسه كـل من اتيحت له فرصة زيارة المجتمع السوفييتى والمعاينة الـذاتية والتاكـد من ان الدولة السوفييتية لا تتدخل فى حرية العقيدة أيا كانت . والعجيب حقا أن النظم الامبريالية تتورط يوما بعـد يوم بالافعـال ــ لا بالأقوال ــ وينكشف أنها لا تقيم اعتبارا لأى عقيدة أو جنس أو قومية بقدر ما تقيم اعتبارها واهتمامها بكل حرص على مصالحها الاستغلالية على حساب كافة الشعوب بما فيها شعوبها هى . وهذا كله لم يعد سرا اليوم . فليس فى الدنيا من لم يسمع عن دورها فى الابقاء على سياسة التفرقة والتمييـز العنصرى ، وشواهـد ذلك فى افريقيا بل وفى أمريكا ذاتها . ويكفى أن نتأمل دور الامبريالية فى خلق وتأزيم مشكلة الشرق الاوسط هنا تتعرى هذه السياسة تماما حتى ورقة التين

التى قد تخفى عورتها . انها قضية خاسرة حتما ، اذا ما قارنا بين الأقوال والأفعال .

ومما يؤكد سوء نية هـذه الدعاية ، أنهـا تتجاهـل تجـاهلا تاما كل الانجازات الضخمة التى أمكن للسلطة الاشتراكيـة السوفييتية أن تحققها على أرض أوزبيكستـان . ويكفى أن نضرب مثلا واحـدا مـن الامثلـة التى سمعتها .

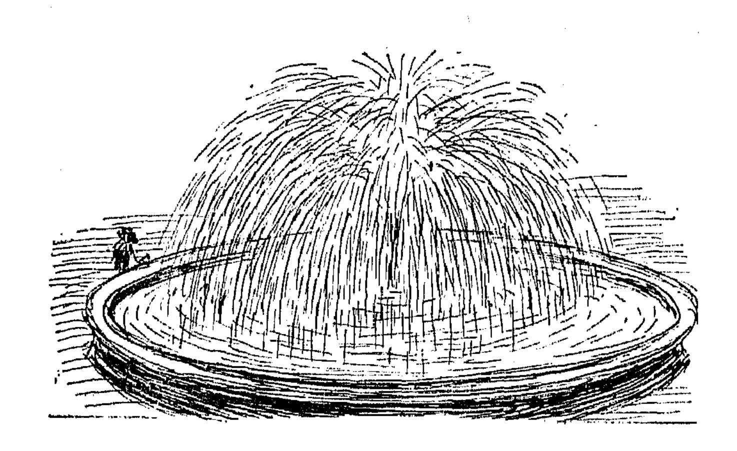
فى بداية القرن الحالى ، قال الخبراء الغربيون أن محو الأمية يحتاج الى أربع وستمائة سنـة كاملـة . وجـاءت الايـام بالثورة وباعلان الجمهوريـة الاشتراكية الأوزبيكية فى ١٩٢٤ ، ولم تأت سنة ١٩٤٠ حتى كانت الأمية قد امحت من كل الجمهورية نهائيا .

وعندما وقفنا نتصافح مودعين قال الرفيق :

أن ترى مرة خير من أن تسمع مائة مرة .

وغادرت المبنى وأنا مشدود لما سمعته عن مكافحة الأمية هنا ، وحتى أجد راحة البال طلبت من « بوريس وناريمان » أن يدخلا تعديلا على البرنامج بلقاء مسئول التربية والتعليم فى أقرب فرصة . وما رجعنا الى الفندق حتى جلس الاثنان وكأنهما فى مباراة شطرنج حاميـة ودارت مناقشـات وتعددت بينهما الاشـارات وهمـا فى نفس الوقت يطالعـان بعض الأوراق التى فيها البرنامج ، وسواء كان الوقت الذى بذلاه فى ذلك طويلا أو قصيرا ، فانى كنت قد تركتهما وخرجت لبعض الوقت ، وعندمـا رجعت وجـدت « ناريمان » يتحدث بالتليفون . وبعد أن انتهى من حديثه قـال وكأنه القائـد الفاتح الظافر :

ــ باكر .. فى الثانية عشرة ونصف ظهرا ، فى مبنى الوزارة .



مع الرفيق مؤمنوف إبراهيم



بعد أن وصلنا الى ميدان لينين وكنا مبكرين عن موعدنا ثلاثين دقيقة ، كان علينا أن ننفقها فى التنزه فاقتربنا من النافورة العجيبة المقامة حديثا على امتداد يزيد عن المائة متر . وهى مصممة على خط مستقيم تنتظم عليه عشرات من فوهات المياه التى تندفع الى أعلى بقوة تدفعها لحوالى عشرة أمتار وهى فى مجموعها تنسج من الماء حصيرة رائعة المنظر ، وتتساقط مياهها فى حوض كبير أمامها . وهذه النافورة التى تستحق لقب « جدار الماء » على حافة مصطبة من الأرض بالمنسوب الذى انشىء عليه الميدان بمبانيه الثلاثة .

واذا اراد أحد من الناس أن يحصل على صورة فوتوغرافية تذكارية له أمام هذا المنظر ، فانه يجد واحدا من المصورين يتخذ مكانه تحت ظل شجرة فى مكان قريب من النافورة . ويظهر أن هذا المصور يمتلك نسناسا صغيرا ، لأنه ظل يحاول انزال النسناس من فوق الأغصان ، ولكنه لم يستمع لنداءات صاحبه ، بينما تجمع عدد من الناس — يرقبون ما يدور بفرح واستمتاع ، وبخاصة عندما تحول الموقف الى مطاردة وجرى على المسافة من النافورة الى آخرها ، وفيها حدثت مراوغات مثيرة للضحك

كان النسناس يجيد تنفيذهـا ، حتى تعـاون الناس على محاصرته ، فاستسلم أخيرا فى حضن المصور الذى عاد به الى مكانه . وقد استغرقت هذه العملية وقتا كافيا وبعدها اتجهنا على الفور الى مدخل بناية الوزارة ، فوجدنا عشرات الموظفات والموظفين يخرجون جماعات من باب المبنى ، وهم يتحدثون عن زلزال وقع من لحظات واستمر خمس دقائق وانه كان مؤثرا فى الأدوار العليا حيث كانت الحجرات تتأرجح بشدة مما أصاب الناس بالذعر فنزلوا مهرولين . ورأيت نـاريمان يتحمس فى الادلاء باستنتاج يستحق الاعتبار ، اذ قال :

ــ لا بد أن النسناس شعر بالزلزال ــ كمـا هو معـروف عن بعض الحيوانات ــ لهذا كان يهرب من صاحبه .

وتقدم منا شاب ، عـرفنا أنه موفـد لاستقبالنا ، حيث صعدنـا معه الدرج الى الدور الثالث ، حيث موعدنا المقرر مـع نائب وزيـر المعارف . وكان الرفيق « مؤمنوف ابراهيم » أراد أن ننتقل من تأثير حادث الزلزال بأسرع ما يمكن ، فذكر لنا أن هذا المبنى تم تشييده على أسس وتصميمات مدروسة ومجربة بنجاح بحيث تقاوم الزلازل . فهو عبارة عن هيكل واحد من الحديد المترابط هندسيا بما يكسبه قدرا كافيا من المرونة والتماسك يمنعانه من الانهيار والسقوط .



على حافة النافورة الضخمة فى ميدان لينين قبل الذهاب إلى لقاء نائب وزير المعارف

وطرحت السؤال الذى كنت فى شوق الى معرفة الاجابة عليه حول كيفية القضاء على الامية ؟

لقد استفدنا من التجربة السابقة ، بتنظيم سرعة الحديث والترجمة بما يسمح لى بتدوين الأرقام والأحصاءات فى الوقت الذى يكون فيه ناريمان يستمع الى الفقرة التالية من الحديث . ورغم أن هذه العملية تمت بقدر كاف من التمهل ، الا انى وجدت المحصلة الأخيرة تحتوى على مديد من البيانات والأرقام والتواريخ الى الحد الذى أخشى معه أن تصبح مربكة عسيرة الهضم . لهذا ، رأيت أن أعيد ترتيب صياغتها من جديد ، بما يسمح لى باضافة المعلومات الأخرى التى عرفتها من مصادر مختلفة حتى يكون العرض وافيا ، وبخاصة أن هذه التجربة الناجحة فى القضاء على الأمية بجمهورية أوزبيكستان تعتبر مثالا رائعا ورائدا فى هذا المجال وهو ما يمكن أن يصبح معينا تستفيد منه شعوب أخرى فى القضاء على الأمية عندها .

وأيضا لنبدأ من الماضى .

• سرقة الأعمى

على الرغم من أن تاريخ الشعب الأوزبيكى كغيره من شعوب آسيا الوسطى يحمل عراقة ثبتت فى التاريخ ، فقد شاءت الظروف أن يتوقف تطوره ويتعطل اجيالا طويلة متوالية . ويكفى أن نستعرض بعض أسماء الذين ظهرت عبقرياتهم العلمية والفكرية وساهموا فى التقدم الانسانى ، وما زالوا يحظون حتى الآن بتقدير العلم فى أرجاء العالم .

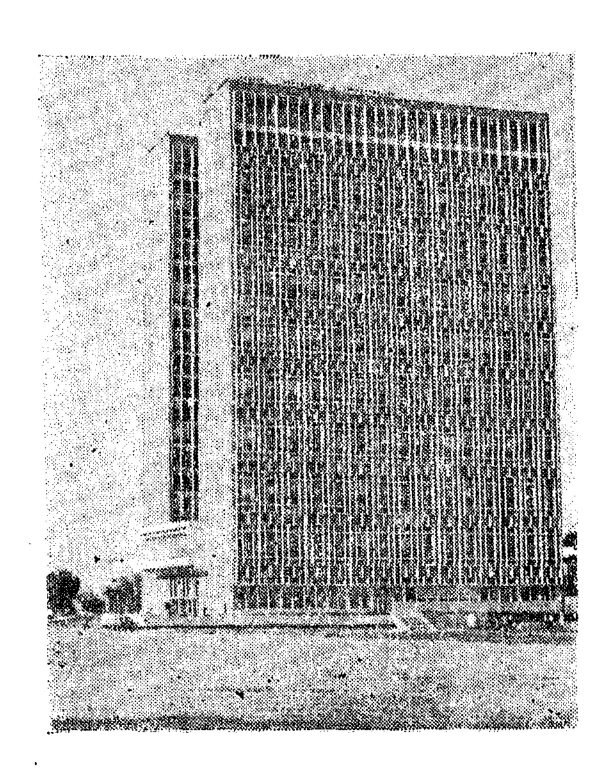
ففى القرن التاسع الميلادى ظهر واحد من اعلام الفلك والرياضة العظام ، هو « الفرغانى » .

وفى القرن العاشر ظهر (محمد الفارابى) العالم الموسوعى الذى أضاف الكثير والغزير الى المعرفة والثقافة والحضارة الانسانية .

وفى القرن الحادى عشر ظهر العالم الكبير « محمد أحمد الخوارزمى » والذى يعرف باسم « أبوريحان البيرونى » الذى اضاف الى تراث الانسانية اكثر من مائة مؤلف فى نواحى المعرفة من الفلك والرياضيات وعلم المعادن والجغرافيا والتاريخ والأدب .

وفى نفس القرن ظهر « ابن سينا » المولود فى بخارى ، والذى بدت عليه سعة الاطلاع والمعرفة وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره — وبخاصة فى ميدان الطب الذى شارك فى التراث الانسانى بما ينيف عن مائتى مؤلف .

وفى القرن الخامس عشر ظهر « أوليغبك » الذى تخصص فى الفلك واقام مرصدا نادر المثال فى ذلك الوقت ، كما انشا مدرسة لدراسة الفلك فى « سمرقند » ووضع من المؤلفات الفلكية حصيلة ضخمة من الدراسات المجربة علميا كان لها أثر مباشر فى دفع المعرفة الفلكية نحو مزيد من التقدم . ويكفى أنه فى هذا العصر المتقدم توصل الى تحديد طول السنة بالايام المضبوطة



— المبنى العجيب (٢٣ طابق) مقر رئاسة الوزراء فى ميدان لينين دليل على الخبرة الهندسية فى مقاومة الزلازل

تماما ولم يختلف الا فيما يقرب من دقيقتين وبضع ثوان وانه فى هذا التحديد كان أسبق من النتيجة الأكثر دقة والتى جاءت بعده بعدة قرون .

وفى نفس القرن ظهر الشاعر الكبير والمفكر الرائد « على شيرنوائى » الذى يعتبر مؤسس الثقافة الأوزبيكية الحديثة .

وقد جاء توقف نمو وتطور الشعب الأوزبيكى منذ فقد استقلاله الوطنى وخضع للسيطرة الاجنبية مرغما ، وكان آخر حظه مع الاستعمار القيصرى الذى سعى لتثبيت سيطرته عن طريق الاخذ بمبدأ : (ان سرقة الاعمى أسهل .)

لهذا ، ولكى يجعل شعوب المنطقة عميانا ، ولكى يبقيها هكذا عمياء قامت سياسته على حرمان الناس من نور الثقافة والتعليم ، ويكفى أن نلقى نظرة على الميزانية التى وضعتها الحكومة القيصرية فى مستهل هذا القرن لتبرز هذه الحقيقة . فقد كانت حصة التعليم الشعبى ٢ ٪ من الميزانية ، وهو ما يعنى أن الفرد الواحد يخصه ٢٢ كوبيك فى السنة — أى عشرة قروش وبضع مليمات مصرية . بينما كانت حصة الجهاز العسكرى والسياسى تمثل أربعة أخماس الميزانية أى ٨٠ ٪ . وحتى عندما وجدت الحكومة القيصرية أنها فى حاجة الى اعداد كوادر للعمل فى جهاز البوليس

وادارات الحكم ، أنشأت مدارس لتعليم القراءة والكتابة والحساب ، ليس الا ، وهذا يعادل مستوى أقل من مستوى التعليم الابتدائى . ومنذ ١٨٨٥ الى ١٩٠٩ كان فى تركستان ٩٨ مدرسة من هذا النوع يتعلم بها ٣٠٠٠ طفل . فضلا عن أن التعليم كان يتم باللغتين العربية والفارسية ، أما اللغة القومية فلا يعترف بها فى برامج التعليم . وعندما بدىء بعد ذلك فى ادخال التعليم باللغة القومية ، كان هذا النوع من التعليم قاصرا على ابناء الاعيان المحليين وحدهم دون أبناء الشعب .

وقد نشرت مجلة « فيستنيك »ومعناها (رسول التربية) فى احد أعدادها عام ١٩٠٦ تقريرا وضعه مجموعة من العلماء والخبراء الغربيين عن الأمية فى تركستان والتى وصلت نسبة الأمية فيها الى ٩٨ ٪ من تعداد السكان ، وأن التخلص من الأمية يحتاج الى ٤٦ قرنا من الزمان . وحتى لا يخطر على ظن احد أن هذا الكلام نوع من التهكم ، فلننظر الى أوضاع أخرى من التعليم فى تركستان وقتها ، وهى أوضاع المدارس الدينية وهى التى كانت تحصل على القسط الأوفر من الاهتمام فى مجال التعليم .

كانت نفقات المدارس الدينية تأتى من الأموال التى يقدمها الأفراد ومن أموال الجمعيات الدينية والهيئات الى جانب الأموال التى يدفعها أهالى المتعلمين . وقد بلغ عدد هذه المدارس فى سنة ١٩١٣ (٧٢٩٠ مدرسة) تضم ٧٣ الف تلميذ . والى جانب هذا ، كانت هناك (مكاتب للتعليم) . ويعتبر المكتب مدرسة مهنية أولية يتعلم الأولاد فيها المبادىء الاولية ويتربون بروح التعاليم الاسلامية . وتعتبر المدرسة بالنسبة للمكتب ، مدرسة ثانوية أو عليا ، ويتركز برنامجها على دراسة علوم الكلام والشريعة الاسلامية . ولم يكن التعليم فى هذه المدارس والمكاتب يجرى باللغة الأم (القومية) ولكن بالعربية والفارسية . لهذا كان الأولاد يحفظون غيبا وعن ظهر قلب بصورة آلية نصوصا دينية ودعوات ومؤلفات بعض الشعراء المتصوفين . أما علوم الحياة والطبيعة وغيرها من سائر المعارف فلم يكن لها وجود فى مناهج التعليم بهذه المدارس والمكاتب . كما كان المتعلمون — عادة — من أبناء ميسورى الحال .

واكتفى بهذا القدر عن الوضع الذى كان عليه التعليم فى تركستان حتى جاءت الثورة الاشتراكية وأعلن قائدها العظيم « لينين » :

(فى الماضى كان عقل الانسان كله ، كل عبقريته ، لا يبدع الا لكى تتمتع طائفة بكل نعم التكنيك والثقافة ، ويحرم الآخرين من الاشياء الضرورية — من التنوير والتطور . والآن تصبح جميع منجزات التكنيك ، ومكاسب الثقافة ملكا لعامة الشعب ، ومنذ الآن لن يوضع عقل الانسان وعبقريته فى خدمة العنف ، فى خدمة الاستثمار .)



هكذا بدأ عهد جديد فى حياة الناس هناك ، فلنستعرض ــ بانتباه ــ كيف تمت المعجزة .

فى ١٩١٨ وبمبادرة مباشرة من ممثلى المثقفين الروس ، انشئت دار للمعلمين فى « طشقند » .

وفى ١٩١٩ وقع « لينين » مرسوما بمحو الأمية جاء فيه :

(أن جميع السكان ما بين سن الثامنة الى سن الخمسين ، ملزمون بأن يتخلصوا من أميتهم .)

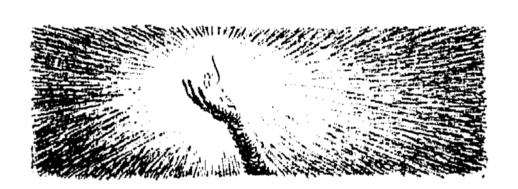
وعلى الفور أعلنت « الحملة الثقافية » فى جميع ارجاء جمهوريات الاتحاد السوفييتى الخمس عشرة . وما كادت سنة ١٩٢٠ تنتهى حتى أنشئت فى الاتحاد « السوفييتى » اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة الأمية وفى نفس الوقت أنشئت لجان مماثلة فى كل الجمهوريات الخمس عشرة ومنها تركستان . وتفرعت هذه اللجنة على مستويات متدرجة حتى عمت شرايين البلاد فى المدن والقرى والمصانع والمعامل والورش وكافة المؤسسات الثقافية والنقابات ، واطلق عليها اسم « اللجان الثلاثية » ووضعت أمامها أربع مهام محددة :

١ ــ تزويد مدارس مكافحة الأمية بالمبنى والاضاءة والدفاتر والاقلام والكتب .

٢ ــ اكتشاف وحصر الأميين .
٣ ــ ايجاد المعلمين .
٤ ــ تعريض الممتنعين والمحرضين عن التعليم للعقوبات الادارية .

وقد وضعت فى يد هذه « اللجان الثلاثية » حقوق وصلاحيات واسعة بما يجعلها ذات قدرة وفعالية . وكانت المسألة الأكثر الحاحا بين هذه المهام الأربع هى مهمة ايجاد المعلمين . لهذا أنشئت فى « طشقند » سنة ١٩٢٠ أول جامعة فى تركستان . وقد بادرت جمهوريات سوفييتية أخرى بمساعداتها الفورية ، فأوفدت عددا كبيرا من الأساتذة والمدرسين من لينينجراد وموسكو وجمعهم قطار خاص الى طشقند . كما جند المدرسين والطلاب بالمؤسسات التعليمية المتخصصة والثانوية والعالية لمكافحة الأمية .

وكان لأعضاء ومنظمات الشبيبة والطلاب دور مع العناصر النشطة بالمنظمات النقابية ، مع مستخدمى المؤسسات المتنوعة ومتطوعى الجبهة



الثقافية ــ وقد أطلق على هؤلاء اسم « جنود الثقافة » . كان لهم دور كبير فى الحملة ، وقد وصل حجم جنود الثقافة ما يؤلف نصف معلمى مدارس حملة محو الأمية .

ومن أجل حماية هذه الحملة من التخبط فى متاهات العمل التلقائى ، أستخدم التفكير العلمى فى وضع خطوطها وتوجيهها ، وانشىء لهذا الغرض « المجلس المركزى العلمى المنهجى » من داخل اللجنة الاستثنائية ، لتقديم المساعدة المنهجية الى مدارس مكافحة الامية . وكانت لهذا المجلس فروع على كل المستويات فى مقار الحملة الثقافية فى القواعد وفى اللجان الثلاثية ، وتتحدد مهمة المجلس المنهجى فى :

أ ــ اعداد الخطط والبرامج التعليمية والارشادات المنهجية وتوزيعها .
ب ــ الاشراف على وضع الكتب المدرسية .
جـ ــ عقد مؤتمرات وندوات بكافة المستويات للمعلمين بغرض تبادل الخبرات .

وفى الأرياف افتتحت دورات خاصة متتالية مدة كل دورة من شهر الى ثلاثة شهور بغرض تعليم القراءة والكتابة فقط للأشخاص العاملين ، بحيث تجرى الدراسة بعد انتهاء ساعات العمل ، ذلك ثلاث أو أربع

مرات فى الاسبوع ، وهى قد تستغرق أسبوعيا ٤ ساعات . واستخدمت فى هذه الدورات عدة طرق :

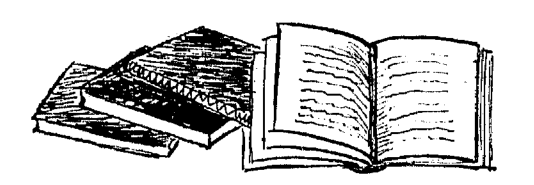
- دراسة فردية ، لشخص واحد ، ويتولى التعليم فيها شخص متعلم .
- دراسة لمجموعة من خمسة أو ستة أشخاص ، ويتولى التعليم فيها معلم .
- ودراسة عامة لصف كامل ، ويتولى التعليم معلم عنده الملم وتجربة بأحدث وسائل التعليم .

ويجب أن نعرف أن التعليم كله يتم بسبع لغات حسب قومية كل طالب وهى الاوزبيكية والقراقلبقية والروسية ، والكازاخية ، والتاجيكية والقرغيزية والتركمانية . كما أن لكل قومية مدارسها وفصولها وكتبها الخاصة .

وقد أنشىء أول معهد للمعلمين فى « سمرقند » عام ١٩٢٧ .

ولكى تضاعف الدولة من عدد المعلمين ، فانها فتحت فى المدن والاحياء دورات خاصة لاعداد المعلمين مدة كل دورة بين شهر وثلاثة شهور وخمسة شهور وقبلت فيها المتعلمين الذى كانوا فى نفس الوقت يوسعون معارفهم فى اللغة والحساب والجغرافيا والعلوم الاجتماعية وطرق التعليم وأساليبه الحديثة .

ونتيجة لحملات التعبئة والتوعية بأهمية التعجيل بالقضاء على الأمية ، استجاب الشعب عن طريق تجمعاته المختلفة بتقديم العون الى ما تبذله الدولة فى هذه الحملة . فاشتركت المشاريع التعاونية والصناعية ، والمنظمات التجارية ، ولجان فقراء الفلاحين واتحاد شغيلة الزراعة (كوشجى) فى القرى ، وجميع المشاريع والمؤسسات الكبيرة فى المدن ، كلها خصصت جانبا كبيرا من ميزانياتها لمكافحة الامية . كما نظمت فى المعامل والمصانع ورديات عمل اضافية فى أيام السبت — وهى أيام عطلة اسبوعية — ينتج فيها العامل والمستخدمون — متطوعين — انتاجا يزيد عن الخطة الموضوعة ويوجه العائد الى صندوق مكافحة الامية . وكذلك خصص الفلاحون المثال ، قدم الفلاحون فى مقاطعة طشقند سنة ١٩٢٩ الى صندوق الحملة (٧٠ ألف روبل) والى جانب هذا ، قدمت كافة النقابات والمنظمات الاجتماعية نصيبا كبيرا . ففى العام الدراسى ١٩٢٩ — ١٩٣٠ خصص الاتحاد النقابى لشغيلة الزراعة والغابات (١٧٠ ألف روبل) وقدمت تعاونية زراع القطن (١٤٥ الف روبل) والتعاونية الزراعية (٥٩ ألف روبل) وذلك كله الى صندوق الحملة . وفى مجال الثقافة ، نظمت حفلات بالمسارح ودور السينما لدعم الحملة بايراداتها .



◆ الكتاب

وكانت ثانى المشكلات أهمية عدم كفاية الكتب المدرسية . وعندما عرفت البساطة التى عولجت بها هذه المشكلة ، جاء الى ذاكرتى ما حدث « لكريستوفر كولمبس » مكتشف أمريكا ، عندما اراد حاسدوه التقليل من شأن اكتشافه ، وذلك خلال الحفل المقام لتكريمه ، فقالوا أنه لم يفعل شيئا معجزا ، لأنه من الممكن لأى شخص أن يترك السفينة تحمله من شاطىء الى الشاطىء المقابل . فقد طلب « كولمبس » أن يحاولوا وضع بيضة دجاجة بحيث تكون واقفة على أحد طرفيها بالطول . فلما عجزوا عن ذلك ، تناول البيضة ونزع قشرتها ثم وضعها ببساطة على قاعدتها الأوسع فوقفت ، ثم قال ـ ما معناه ـ وهذه أيضا بسيطة ، لكن لم يفكر فيها أحدكم .

تذكرت هذه الحادثة الطريفة ، عندما عرفت أنهم استعانوا بالصحافة ضمن حملتهم فكانت الصحافة تخصص ابوابا للأميين ولأنصاف المتعلمين مع مواد اخرى متنوعة ، وكل هذه المواد تطبع بالحروف الكبيرة حتى يمكن تمييزها عن باقى المواد الصحفية . وقد تخصصت فى هذه الحملة خمس صحف هى :

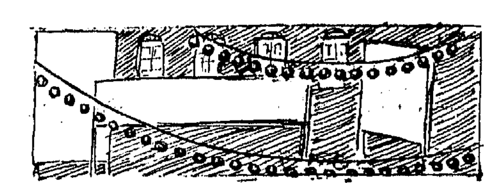
ياش لينينتش وكامبال ديهقان ومدنى انقلاب ومعارف واوتوتوتشى .

وكان المعلمون يجمعون هذه المنشورات بعد فصلها من الجرائد ويستخدمونها بديلا للكتب المدرسية أو تكميلا لها .

ولم يقف دور الصحافة عند هذا الحد فقط ، بل كانت الصحف تنشر تباعا وتحت عناوين « أخبار من الجبهة الثقافية » معلومات مشوقة ومثيرة عن سير الحملة بانجازاتها وبنواقصها فى آن واحد ، مع مقالات وتحقيقات تقدم أحسن الأمثلة عن مشاركة الناس بالعطاء فى هذه الحملة ، كما تفضح وتكشف أيضا القوى التى تعادى الجبهة الثقافية من اتباع وانصار النظام القيصرى .

وكان الكتابان الرئيسيان فى الحملة ، هما كتاب « الألفباء » وكتاب « القرية الجديدة » ولكل منهما أبجدية بحروف متفرقة .

وقد وضعت حوافز للدارسين . ففى مدارس القراءة والكتابة ، كان الطلبة يعفون من الساعتين الأخيرتين من يوم العمل دون مساس بأجورهم ، وكانت توزع عليهم الكتب المدرسية ووسائل التدريس بالمجان . أما النساء فكانت لهن الأولوية فى العيادات الخارجية ، وفى الاستشارات لدى الطبيب ، ولأطفالهن الأولوية فى القبول بدور الحضانة ورياض الاطفال . والذين لم يتمكنوا من انهاء الدراسة لسبب ما ، نظمت لهم مدارس أنصاف المتعلمين نظاما للعودة الى استكمال الدروس ، وكانت تضم ١٩٢٠٠٠ شخص نصف متعلم .



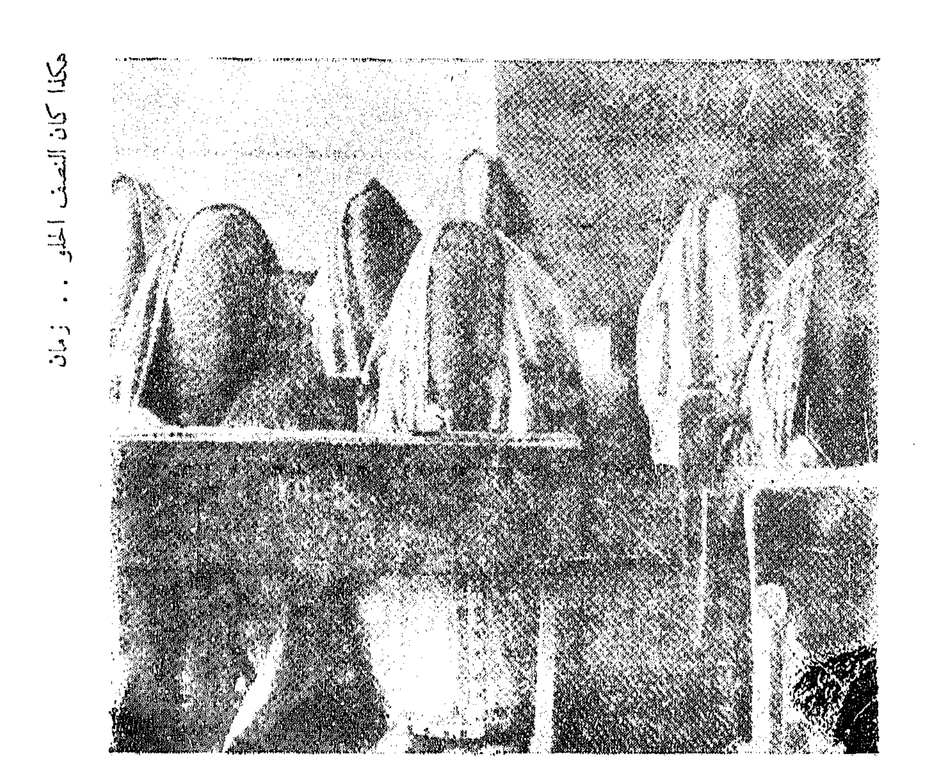
• احتفالات التخرج الشعبية

كانت تقام بعد انتهاء الدراسة فى مدارس محو الامية احتفالات تعقد بصورة علنية فى جو من الزينة على المبانى كما يحدث فى الاعياد . وكانت شعارات الحملة الثقافية تملأ الشوارع فى المدن والقرى ومبانى الأندية والمشروعات المختلفة . اما فى المسارح ودور السينما فكانت قبل رفع الستار وبدء العرض تذاع اخبار قصيرة عن سير الحملة . كما ساعد العاملون فى الفنون بما يلقونه على المسرح مما كان يؤدى الى دعاية واسعة فى سبيل القضاء على الأمية . كما نظمت عروض مسرحية بالمسرح الدرامى الأوزبيكى التابع للدولة والمسمى باسم « حمزة » وبمسارح المقاطعات وفى فرق المنوعات ، وفيها تحريض للقضاء على الأمية والجهل . وفى المدن والمناطق ــ الى جانب هذا ــ جرت اجتماعات ومظاهرات وعقدت مؤتمرات من اجل الحملة الثقافية .

ولكى نضع أمام أعيننا صورة لنمو الحملة الثقافية وما حققته من نجاح ، فلنتأمل قليلا هذه الأرقام :

فى سنة ١٩٢٠ كانت احتياجات الحملة ١٢٠٠ معلم .
وفى سنة ١٩٢٩ كانت احتياجات الحملة ٩٠٠٠ معلم .
وفى سنة ١٩٣١ كانت احتياجات الحملة ١٤٠٠٠ معلم .

وفى نفس السنة ١٩٣١ كانت احتياجات الحملة مع احتياجات المدارس الابتدائية مجتمعة ٢٣٥٠٠ معلم ولا أظننا فى حاجة للتدليل على ما تشير اليه هذه الارقام ، سوى انها تدل على نمو مطرد .



هكذا كان الصف الطلو .. زمان

وفى سنتى (١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ — ١٩٣١) تخرج من الدورات القصيرة ٢٣٠٠٠ معلم اشتغل ٤٠ ٪ منهم فى حملة محو الأمية .

وفى تعداد المتعلمين والمدارس كان يتعلم القراءة والكتابة (٢١٤٤) شخصا فى ٥٧٤ مدرسة سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ .

وفى سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ كان يتعلم القراءة والكتابة ٣٥٩٨٦٦ شخصا فى ١١٢١٧ مدرسة .

وفى سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ كان يتعلم القراءة والكتابة باللغة الاوزبيكية وحدها ٥٠٧٩٤١ شخصا ، وباللغة التاجيكية ٣٣٦٢٩ شخصا وباللغة الكازاخية ١٥٩٨١ شخصاو باللغة القرغيزية ١٥٥٤٣ شخصا وباللغة الاويغورية ٦٥٦١٤ شخصا وباللغة الروسية ١٤٧٢ شخصا وبلغات قومية اخرى ٣٨٦٠٠ شخص .

هكذا مضت عجلة التاريخ تسجل كل يوم انتصارا على التخلف الذى كانت اخطر ظواهره الأمية . ومع الايام اخذت تتطور السرعة والمعدل اللذان تقطعهما هذه الحملة . ففى سنة ١٩٣٠ كان التعليم الالزامى أربع سنوات وفى العام الدراسى ١٩٣٤ — ١٩٣٥ اصبح سبع سنوات .

وفى سنة ١٩٢٦ كانت نسبة المتعلمين ١٠ ٪ من التعداد وفى سنة

فصول محو الأمية

١٩٣٢ ارتفعت الى ٥٠ ٪ وما كادت سنة ١٩٤٠ تأتى حتى كانت الحملة قد وصلت الى منتهى غاياتها ومحيت الأمية تماما .

والآن يوجد فى أوزبيكستان ٩٢٩١ مدرسة يدرس بها ثلاثة ملايين ونصف مليون تلميذ . بالاضافة الى ٣٩ مؤسسة تعليمية عالية يدرس بها ٢٣٣ الفا آخرين . كما يوجد ٤١ معهدا عاليا متخصصا منها ١٦ للتربية والتعليم فقط . وتوجد جامعتان ، وكذلك ٢٨ مدرسة متوسطة متخصصة لتدريب كوادر للتعليم الثانوى والابتدائى ورياض الاطفال . ومجموع المدرسين بالسبع لغات يصل الى ١٨١ ألف مدرس . ويصل مجموع الطلبة فى مختلف المدارس والمعاهد والدورات أربعة ملايين فتى وفتاة ، مع العلم بأن تعداد الجمهورية يصل الى ١٢ مليونا . وهذا يعنى أنهم يمثلون ثلث هذا التعداد .

ونظرا الى هذه التجربة الفريدة فى محو الأمية ، فقد عقد المؤتمر الأسيوى الافريقى فى « طشقند » فى نهاية أبريل وبداية مايو من عام ١٩٦٦ لدراسة هذه التجربة الرائدة والتى يمكن الاسترشاد بها فى بلاد اخرى . وهكذا ، فان جمهورية أوزبيكستان الاشتراكية السوفييتية لم تحقق لنفسها غاية نبيلة فقط ، بل انها أيضا ساهمت بهذه التجربة فى خدمة الانسانية جمعاء .

وليس مستغربا بعد ذلك ، أن هذا البلد الذى كان بالامس — وقبل خمسين سنة فقط — غارقا فى بحور الجهل ، أصبح له اليوم فى رصيد العلماء العالميين الذين تفخر البشرية كلها بهم نسبة مشرفة ، تؤكد أن الامتداد الذى قطعته عهود الاستعمار القيصرى المستبد قد أعيد وصله من جديد ، وأن الأرض التى أخرجت الفرغانى والفارابى والبيرونى وابن سينا وأوليغبك وعلى شيرنوائى ، قادرة على الانجاب من جديد .

ففى مجال العلم الحديث قدمت العالم الكيميائى الاكاديمى « عبدصديقوف » والعالم البيوكيميائى البروفيسور « يالكين توراكولوف » وعالم الهيدرولوجيا الاكاديمى « هانى مافلانوف » ، كما انتخب العالم « صابريونسوف » عضوا بالاكاديمية الالمانية للعلوم الطبيعية ، والعالم « يتشازآهدوف » فى الجمعية الهندية لعلم الحيوان .

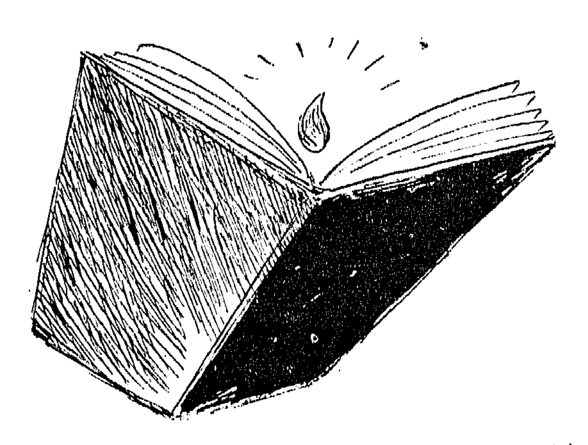
وبقيت فى الموضوع نقطتان هامتان .

الاولى ، أن نظام التعليم فى كل الاتحاد السوفييتى موحد فى مناهج المواد العامة والحساب والجبر والكيمياء والفيزياء ، أما التاريخ والجغرافيا وعلم الطبيعة فترتبط بكل جمهورية على حدة .

والثانية ، أن جميع مراحل التعليم فى الاتحاد السوفييتى كله — وبالتالى أوزبيكستان — بالمجان فعلا .

هكذا تحولت هذه البلاد من حالة الجهل وظلامه لتخرج الى نور المعرفة الملايين من الشعب ، بعد أن جعلت هدفها الأخير هو أن تفرس فى نفوس الجماهير الرغبة الجادة فى التعليم .

وهذه هى صورة أخرى من جوانب المعجزة .





مع الرفيقة رحيمة نزاروه

نائبة وزير الثقافة

أول ما قالته السيدة الرفيقة ، بعد مقدمات اللقاء من استقبال وتعارف ، أنها تشعر بسعادة كبيرة لأنها سوف تتحدث عن تطور الثقافة فى أوزبيكستان . ولهذا دعت للاشتراك فى اللقاء ثلاثة من مسئولى الوزارة ، وهم السادة الرفاق : حبيب رحمانوف ــ مدير قسم المسرح بالوزارة ، وتافور جومايوف ــ نائب مدير ادارة المسرحيات بالوزارة ، وأسكندر ياتشكاريوف ــ عضو مجلس البرامج المسرحية بالوزارة ، وكذلك الأستاذ الشاعر « تراب مترا » ــ مدير الادارة العامة للمؤسسة الموسيقية ، وقدمت لى اسطوانة مسجلا عليها أغنية شعبية وضع هو كلماتها . وكأنما أراد هو أن يزيد من حفاوته بى فكتب اهداء على غلاف الاسطوانة ، ولم يلبث الحوار أن بدأ بعد أن طرحت أسئلتى عن الثقافة ومشكلاتها وما تم بشأنها هناك . وقد تكررت معلومات عدة سبق تحصيلها فى الحديث عن حملة محو الأمية ولهذا رأيت أن اتجاوزها ، وبخاصة ما يتعلق منها بالوضع السيء الذى كانت عليه أحوال جماهير الشعب قبل الثورة .

لقد نشأت الصعوبات عن الظروف السيئة الموروثة ، ولكن سنشير هنا الى الجوانب التى كان علينا أن نخطط ونركز عليها أولا .

فالجماهير كانت فى حالة التخلف تقف خلف حاجز من العزلة النفسية عاشت عليه طويلا حتى اكتسبت قوة العادة شبة الثابتة ، من طول المعاناه والضغط ، بالاضافة الى انتشار كثير من الخرافات والغيبيات الضارة ، ووصل هبوط الفكر الى أدنى الدرجات .

وقد واجهت الثورة هذه الحالة بأن وضعت برامجها بحيث تؤدى الى تحرير النفس الانسانية أولا حتى تنهيأ لاستقبال العلاقات الاجتماعية الجديدة استقبالا ايجابيا مناسبا . ويجب أن نذكر ، أن هذه الصعوبات كان مصدرها الانتقال المفاجىء الذى جاءت به الثورة . وقد كان للفن وقوة تأثيره دور مباشر فى تربية الجماهير بفعالية كبيرة ، وذلك أكد ما قاله الكاتب الاشتراكى الأول فى الاتحاد السوفييتى « مكسيم جوركى » :

(أن الكاتب لابد أن يكون له موقف ــ مع اوضد ــ أى أن يكون ايجابيا .)

لهذا قامت سياسة الحزب الشيوعى والحكومة فى أوزبيكستان ، على أساس توجيه الوعى الى كل فرد ، على أنه صاحب البلد . وقد انعكس هذا فى الدرامات والروايات التى ظهرت بعد الثورة .

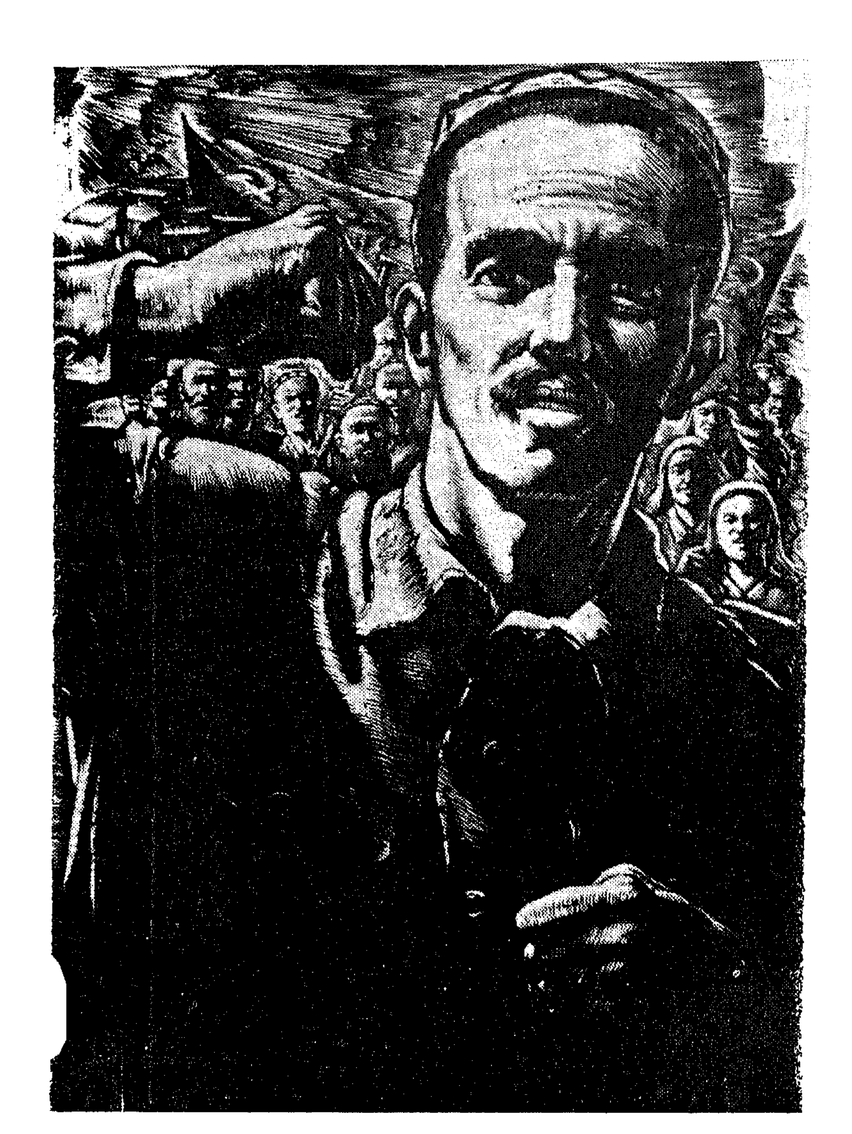
وفى الأدب ، فان تطويره من الحكاية الى الرواية (الرومانسى) تم بطريقة مباشرة بدون المرور بمرحلة القصص القصيرة كما هو مألوف . وقد تم ذلك على يد « عبد الله قادرى » من سنة ١٩٢٥ ، وله مؤلفات هامة عديدة منها « الأيام الماضية » و « أقرب من المحراب » .

وقد تم تأسيس أول معهد للثقافة بغرض اعداد المتخصصين للمؤسسات الثقافية والفنية ، ولتدريب ذوى المواهب من الهواة العاملين بالمصانع والكولخوزات وطلبة المعاهد الأخرى . وخصص قسم لتخرج راقصات الباليه الكلاسيكى ، وقسم آخر لتخرج راقصات الرقص الشعبى الأوزبيكى .

وانشئت مدرسة للفنون التشكيلية ، كما يوجد اتحاد لجمعيات الفرق الموسيقية الكونسيرية ، وعدد من الفرق الموسيقية السيمفونية ، وأيضا فرقة كورال . ومنذ وقت قريب جدا تكونت فرقة موزيكهول باسم « ياللة » وفرقة « سينس » للشباب الموسيقى .

ويقوم التعاون الأخوى بين جمهوريات الاتحاد السوفييتى منذ الثورة ، وهذا التعاون كان له دور فى التأثير على الأدب الأوزبيكى الى جانب تأثير الادب العالمى عليه أيضا . والآن تنشط المسارح هناك لاخراج العديد من المسرحيات العالمية السوفييتية .

وقد وصل المستوى الثقافى الى درجة رفيعة واكتسب صفة العالمية بفضل جهود الفنانين الأوزبيكيين ، مثل « مختار أشرفى » الحائز على جائزة جواهر لال نهرو عن باليه « تعويذة الحب » وكذلك جائزة جمال عبد الناصر عن باليه « الصمود » كما أنه حضر الى مصر فى عام ١٩٦٦ على رأس فرقة



الكاتب الأوزبيكي الكبير « حمزة حكيم زادة نيازى » — حفر على الخشب

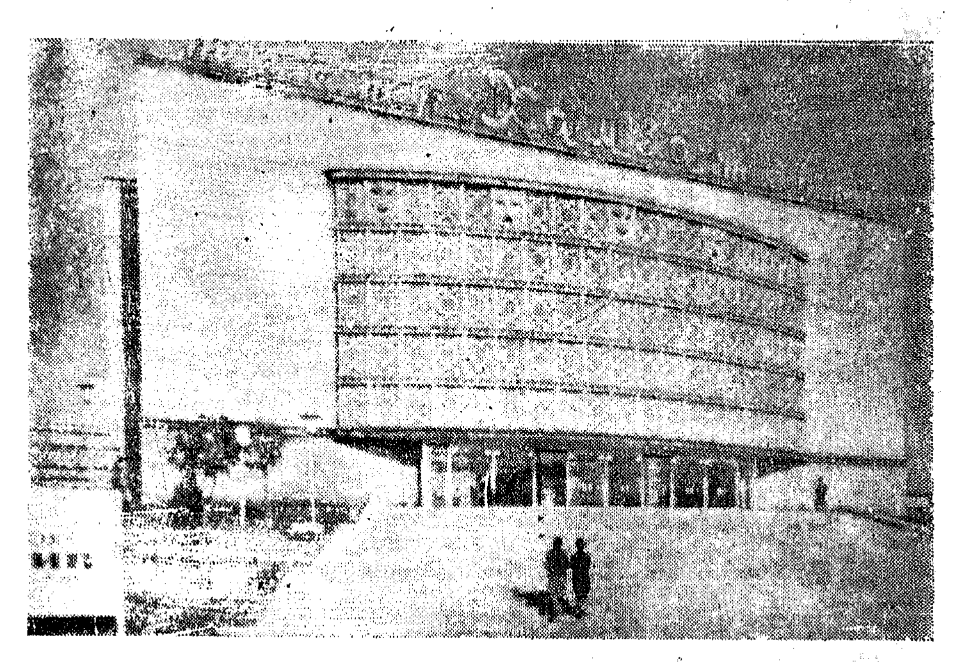
من فنانى مسرح « على شيرنوائى » وقاد أوركسترا القاهرة السيموفونى أثناء عرض الباليه الذى وضعه لنا ، بالاضافة الى عدة مؤلفات موسيقية أخرى .

وكان ظهور المسرح خلال الحرب الأهلية فى « تركستان » التى سبق الحديث عنها ، واسسه الشاعر والكاتب المسرحى « حمـزة حكيم زادة نيازى » .

وتتصـل بالوزارة عـدة معاهـد ومـدارس ومتـاحف ومسارح ومؤسسات موسيقية ، وهى ، معهد للكونسرفاتوار ومعهد آخر للمسرح

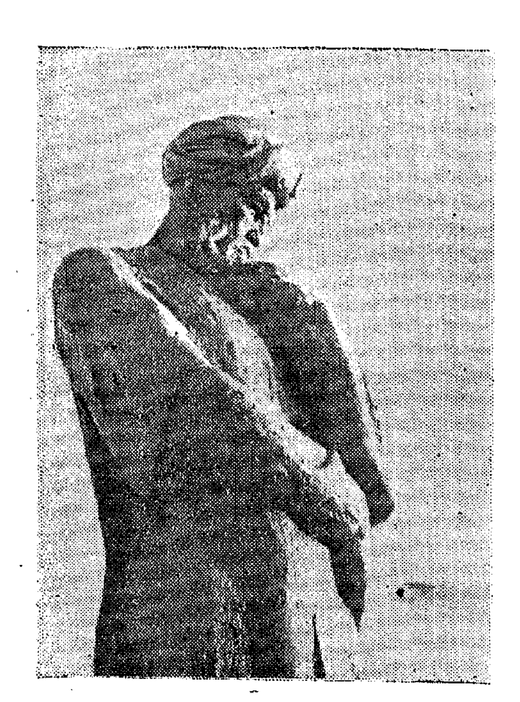
والفنون المسرحية ، و ١٢ مدرسة موسيقية تخصصية ، و ١٩٠ مدرسة ثانوية موسيقية ، و ٤ مؤسسات للفرق الموسيقية (الفيلهارمونيا) ، و ٢٥ دار عرض مسرحى للمحترفين منها ٢ للأوبرا والباليه ، و ٥٠ مسرحا شعبيا خاصا بالاضافة الى ٢٧ متحفا وفروعا فنية وتاريخية ، فضلا عن أن لكل مسرح متحفا خاصا به .

وتوجد ٢٧ فرقة مسرحية رسمية للمحترفين ، كما توجد فرق فنية يصل عددها الى ثلاثة آلاف فرقة يشترك فيها ٦٥٠٠٠ شخص كلهم فى واقع عملهم الأساسى يعملون فى المصانع والكولخوزات — أى أنهم العاملون



مسرح « على شير نوائى » بطشقند

بالصناعة والزراعة — وكذلك من طلبة المعاهد المختلفة . وهذه الفرق لا تتبع الدولة ، وانما هى مرتبطة بمجالات العمل أو التعليم ، وتلقى من الدولة اهتماما كبيرا ، فتنظم بينها مهرجانات تليفزيونية لاختيار أحسن الفرق تحت الشعار الذى أطلقه « لينين » — فن الشعب . ولا يقتصر نشاط هذه الفرق الفنية داخل أوزبيكستان وحدها ، أو فى حدود الجمهوريات الخمس عشرة السوفييتية ، بل ويتعدى هذا النشاط حدود الاتحاد السوفييتى . فقد عملت فى أيطاليا فرقة « كولخوزلينين » من منطقة شخريزابس . وفرقة منطقة « أخوم ببلبابيف » فى أنديجان قدمت حفلات فى تشيكوسلوفاكيا ، وفرقة « دار الثقافة » بمنطقة « تبراى » فى ضواحى



تمثال اولوغ بك فى سمرقند للنحات « م . موسابايف »

طشقند عرضت حفلاتها فى بلغاريا ، وفرقة فرقس ، للغناء والرقص بجمهورية « قره قالبق » وهى تتكون من اربعين فتاة قدمت عروضهــا فى يوغوسلافيا وفرقة الهواة بمدنية « انديجان » عملت فى هنغاريا . أما فــرقة « لازجى » — وسيأتى حديث مفصل عنها — فسوف تقوم بجولة فى أفريقيا فى نوفمبر — ديسمبر من هذا العام ١٩٧٤ وفى برنامجها زيارة مصر .

اما مسرح العرائس ، فقد أنشىء فى طشقند قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد اشترك هذه السنة فى أعياد مايو بموسكو فقــدم عروضا للتمثيليات بعضها للكبار بلغ عددها ١٣ ولمدة شهر ، وجدير بالذكر أن نشير الى أن أول مطبعة أنشئت كانت فى طشقند سنة ١٨٦٨ .

وفى ١٩١٣ كانت تصدر ١٥ نشرة دورية لكل تركستان ، منها جريدتان وثلاث مجلات باللغة الأوزبيكية والجريدة تصدر مرتين أسبوعيا وتطبع كل مرة ٢٠٠٠ نسخة .

وفى نفس السنة (١٩١٣) صدر ٥٦ كتابا طبع منها ١١٨٠٠٠ نسخة من بينها ٣٣ كتابا باللغة الأوزبيكية طبع منها اجماليــا ٧٩ ألف نسخة (فى كل تركستان) .

والآن ، يصدر فى أوزبيكستان ٢٠٠٠ كتاب سنويا واجمالى المطبوع ٣٠ مليون نسخة ، أما مجمــوع ما صــدر فى أوزبكستان خــلال حكم السلطــة السوفييتيــة فيصل الى ٦٤ ألف كتاب طبــع منها ٧٨٩ مليــون

نسخة . أما الصحافة ، فتصدر ١٣٠ مجلة و ٢٢٧ جريدة ، وتصدر بسبع لغات ، ومجموع ما يطبع من هذه المجلات والجرائد فى المرة الواحدة أربعة ملايين نسخة .

وأول محطة اذاعة تم تركيبها سنة ١٩٢١ ، وفى السنة التالية (١٩٢٢) تم تركيب محطة الاذاعات التجريبية ، وفى سنة ١٩٢٧ بدأ تشكيل أول محطة اذاعة واسعة على نطاق الجمهورية الأوزبيكية . وهذه المحطات الثلاث تذيع بست لغات هى الانجليزية والعربية والفارسية والهندية والاوردية والأويغورية .

وتوجد فى الجمهورية ٤٠٠٠ دار عرض سينمائى و ٣٥٠٠ ناد و ٢٤٠٠٠ مكتبة شعبية .

وتقدم الوزارة مساعداتها الى الاجتهادات الشعبية فى مجال السينما . ذلك أنه توجد فى أوزبيكستان ستديوهات للسينما الشعبية ، ويمكن أن تكون فى المصانع أو المشروعات الكبرى الانشائية أو فى كولخوز كبير . فمثلا ، فى سوفخوز لتربية العجول ولزراعة القطن اسمه « ماليك » ومخصص لتجربة الاساليب والآلات الحديثة ، تم تقديم نتائج هذه التجارب الى سائر الانحاء التى قد تستفيد منها ، فأنتج فيلم سينمائى لبعض هذه التجارب منذ بدايتها حتى تمت ، وهذا الانتاج قام به منتجو الأفلام الخاصة هناك .

وتقوم النقابات بتنظيم مسابقات لاختيار أحسن الأفلام ، لترشحها للدخول فى مسابقة — على نطاق الاتحاد السوفييتى — بموسكو حيث بها دار لتوزيع وطباعة هذه الافلام .





فرقة الأغانى والرقص الشعبية الكلاسيكية الخوارزمية

مع فرقة لازجى

كان برنامجنا يتضمن زيارة لفرقة الباليــه والاوبرا ، ولكن هذه الفرق كانت فى فترة العطلــة السنويــة ، ورغم أن « نــاريمان » تحدث طويلا عن المدهشات والروائع التى سوف اتمتع بها فى الباليه والأوبرا ، فقد كان وهو يقدم المعاذير بسبب العطلة يبدو كمن تورط فى خطأ ، أو لعله الأسف على عدم تحقيق ما سبق أن دعانى الى التمتع به . وقال فى ختام اعتذاره ـ كنوع من الترضية والتعويض الجزئى :

(أرجو أن تجد بعض التعويض فى مشاهدة فرقة لازجى) .

وفى العاشرة صباحا ، كنت اسير بجانب « بوريس » فى الشارع الذى يواجه الفندق ، ولم نبعد كثيرا حتى دخل من باب صغير وهو يقول لى :

ـ من هنا .

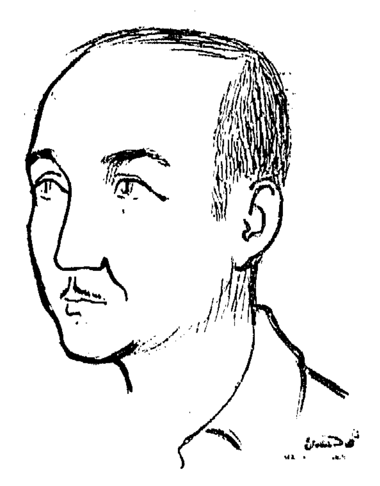
وتبعته الى فناء داخلى ثم دخلنا من باب يصــل الى صالــة كبيرة وعاليــة وارضيتها مــن الخشب . وهناك كان ما يشبه مجموعة مــن خلايــا



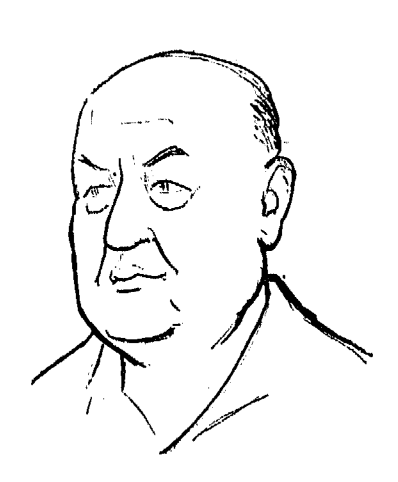
« جوهر خانوم » مديرة الفرقة

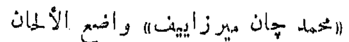
النحل ، دائبة الحركة ، وما لبث أن توقف كل شيء لدى دخولنا ، وتقدمت منا سيدة متوسطة القامة قدمها لى « بوريس » باسم « جوهر خانوم » . واتخذنا مجلسنا داخل الصالة حيث وقفت على جانب منها مجموعة من الراقصات لا يتحركن كأنهن فى انتظار اشارة من احد . وقالت السيدة « جوهر » لبوريس أنها تقترح أن نشاهد عرضا كانوا على وشك تقديمه عند دخولنا .

واشارت بيدها الى جانب فى الصالة تتراكم فيه اجهزة التسجيل والاذاعة فبدات اصوات موسيقية راقصة تتــردد ، وبعــدها بلحظــات ـ



« طورسون غياسوف» مصمم الرقصات



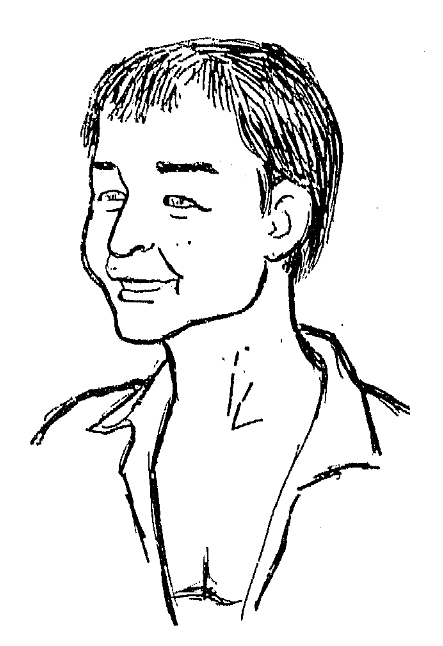


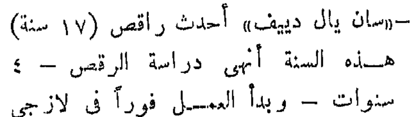
«محمد چان ميرزاييف» واضع الألحان

ويبدو ان ذلك محسوب من قبل ـ اذا الراقصات الساكنات يتحركن فى توافق يكاد يكون تاما الى درجة التطابق . واخذت استعرض الجهد الذى يبذلنه واحدة واحدة ، فوجدت انه مع اتفاق الحركات والتوقيتات من ناحية الزمن والخطوات فان لكل راقصة لازمة خاصة بهـا فى التعبير فلم يكن جميعهن ضاحكات او حالمات التعبير ، بل اتخذت كل واحدة حالة التزمت بها . ووجدت نفسى مأخوذا من جانبين مـن اذنى بموسيقى عـذبة أشعرتنى بالألفة التى ننفعل بها كلما سمعنا لحنا شرقيا ، وتكاد من سحرها وتتداخل مع الاجسام المرنة الشابـة من الراقصـات حتى يكـادا أن يصبحا تدفعنى الى التهور والرقص ، لولا بقية من حياء مع عجز أصيل عن هذه الخبرة . ومن الجانب الآخر كانت انظارى مشدودة وتكاد جفونى تعجز من أن تطرف حتى لا يفوتها اى جانب ولو ضئيلا من هذا الانسجام الحركى والذى يكاد مع الموسيقى أن يؤلفا جسما واحـدا تمتزج فيـه النغمات وتتداخل مع الاجسام المرنة الشابة من الراقصـات حتى يكـادا ان يصبحا شيئا واحدا لا هو نغم وحده ولا هو أجسام انسانية ، بل كائنا ثالثا فيه ارتقاء بالصوت بالمادة الانسانية الى مستوى أسمى ووسط هذا الانسجام الذى عشت فيه ما يقرب من ست دقـائق ، انطلقت السيـدة « جوهر » صارخة وهى تهب واقفة وترفع يدها ، وفورا توقفت الموسيقى وسكنت الاجسام الشابة عن الرقص وقد تحولت الأنظار نحوها . بينما أخذت تلقى بكلمات لم أفهم معناها بلا شك ولكن أدركت أنها كانت تقول رأيها فيما دار



— « جولسادا يعقوبوا »
مغنيـــة مشهـــورة
وراقصـــة شعبيـة





—«سان يال دييف» أحدث راقص (١٧ سنة)
هـذه السنة أنهى دراسة الرقص — ٤
سنوات — وبدأ العمـل فوراً فى لازجى

بين الموسيقى والرقص مما يخالف التصميم الموضوع والالتزام بالأصول .
وابتسم « بوريس » فى شماته لأنى كنت مستغرقا فى متابعة العرض وكأنى نسيت الغرض الذى جئنا من أجله ، وقال وهو يكاد يطير مرحا :

— لا بد من بعض الوقت لاعادة أجهزة التسجيل بحيث تبدأ من الأول ، وأظن من المناسب أن ندخل فى حديثنا مع المسئولين عن الفرقة .

واخيرا استقرت السيدة « جوهر » فى مكانها بعد أن فرغت من القاء توجيهاتها . وقد عرفت من « بوريس » أنها منشئة هذه الفرقة ومديرتها حتى اليوم . ونادت السيدة « جوهر » على بعض من الحاضرين فجاء اثنان . أحدهما طويل ممتلىء الجسم ويظهر عليه التقدم فى السن بعد مرحلة الرجولة ، وفى ملامحه ما يدل على الاهتمام الشديد بشىء ما الى درجة التركيز ، ويكثر من المرور براحة يده على رأسه ليمسحها مما قد يكون تراكم فيها من حبات العرق ، اذ أن الشعيرات القليلة والقصيرة لا تكفى لهذه المهمة ، أو لعلها حركة اعتادها حتى أصبحت لازمة تلقائية .
وعرفت أن اسمه « محمد جان ميرزاييف » وهو الذى يضع الحان الفرقة التى ترقص عليها ، وأنه يستلهم التراث الموسيقى الغنائى الاوزبيكى



— « أوريدن أوريد الله » و « تزيموفوى ميليايورا » راقصتان متخصصتان فى الرقص الشعبى

محافظا على خصائصه القومية بكل حرص . وقد أجابنى على ملحوظة عن وجود تشابه كبير بين روح هذه الأنغام والألحان وبين ما هو معروف بفن الطرب الموسيقى ، فقال أن الذوق الأوزبيكى فى الغناء وألحان الرقص منذ الأجيال العديدة يميل الى اللون التركى القديم والايرانى والأفغانى ، فهذا الاشتراك متوارث من العصور التى كانت مصائر حيـاة هـذه البلاد مشدودة ومتجاذبة فيما بينها . فالذوق العربى فى الغناء والموسيقى كان هو الذوق السائد منذ ظهور الدين الاسلامى وغزو هذه البلاد . فضلا عن أن هذا الأسلوب الفنى قد لاقى استجابة وارتياحا فى نفوس الشعب لما فيه من تطريب حنون مهدىء للأعصاب ويدفع الى السكينة . ويبلغ هذا الملحن من العمر ٦٠ عاما ، وله أكثر من ٣٥٠ لحنا شعبيـا معروفـا ، وسوف تحتفل الحكومة به رسميا فى ٩ سبتمبر القادم .

وتعرفت على « طورسون غياسون » وهو مصمم الرقصـات ، الـذى اخذ يشرح لى الوحدات الحركية التى تقوم عليها كل رقصة ، وكيف أنها تختلف عن بعضها فى نوع الحركات وترتيبها ، وكذلك كيف تختلف الحركات بين راقصة وأخرى دون أن يخل هـذا الاختلاف بالايقـاع المنتظم وبتتابع العرض . وهو شاب يكاد أن يكون قد تجاوز العقد الثالث بسنتين أو ثلاث



– « فلورا باباييفا » أنهت دراستها الفنية من مدرسة طشقند ١٩٦٧ ثم اشتغلت فى مسرح الأوبرا فى « أشقبان »– تركمانيا– وفى يناير من هذه السنة (١٩٧٤) اشتغلت فى فرقة لازجى ، لأن موطنها الإصلى طشقند

على أقصى تقدير . وهو لهذا يعد نموذجا من مئات النماذج التى أتاحت لها الثورة فرصة الدراسة الفنية حتى أمكن اعدادها لهذه المهام الفنية .

وبقى الدور على مديرة الفرقة ، التى صممت قبل الحديث عن نفسها أن تقدم لنا الراقصة الشعبية « زهرة جزيفا » والمتخصصة فى رقص الباليه بالفرقة ، وكذلك المغنية الشابة « مولودة » وهى فتاة جميلة الملامح صغيرة الحجم حتى لتكاد تتصورها تلميذة فى الصف الاول الثانوى على اقصى تقدير ، وهى من الأسماء اللامعة فى الغناء القومى .

واخيرا بدات السيدة « جوهر » تحكى قصتها .

فى ١٩٠٥ كانت مازالت طفلة عندما وجدت نفسها مع أربع أخوات لها يتعرضن لنقمة القيصر نيقولاى الثانى الذى قرر نفى هذه العائلة لان عائلها كان ثائرا ضد القيصرية . وكان قرار النفى قد حدد الجهة التى تقرر



- « آى دين ايجا مبرديفـــا »
أنهت دراسة الرقص فى طشقند ١٩٦٥
اشتـــغلت أولا فى فرقة
« شودلى » والآن فى لازجى
متخصصة فى الرقص الخوارزمى والأفغانى

نفيه اليها ، وهى منطقة « مرغلان » فى وادى « فرغانـة » وهى جـزء من أوزبيكستان اليوم . ولم يكن اختيار هذه المنطقة بالذات مسألة صدفة ، بل كان اختيارا مخططا بدقة وبتأمل . فهذا الوادى كـان يسمى باسماء أخرى مثل « وادى الهلاك » و « وادى المجاعة » لصعوبة ظروف المعيشة فيه ، نظرا لقلة المياه الجارية فيه ولا نعزاله عن طريق العمـران ، فكأنه منفى آخر الدنيا . وهناك سبب آخر أكثر خبثا وراء هذا الاختيار . فقد كان الأب من أصل أرمنى ، وهذا يعنى أنه من طائفة دينية تؤمن بالنصرانية . وهذه المنطقة كلها مسلمون ، من أولها لآخرها . فكأن القيصر اراد بهذا أن يضعه فى بيئة غريبة عنه تماما فلا يستطيع أن يتحرك ويمارس عمله الثورى أولا ، ثم أن ظروف المعيشة تفرض عليـه الاتجـاه الى مشكلات يومية صعبة الحل تستهلك جهده وتستنفد طاقته المعادية لنظام الحكم القيصرى . وهكذا وجدت هذه العائلة نفسها فى هذا الوسط الغـريب ، بلا

- « مولـــــــــودة »
نجم صــــاعد جديد فى
عالم الرقص الشـــــعبى

بيت يؤويها أو ذوى قربى أو حتى معارف تلجأ اليهم ، فكــانت أول عائلة نصرانية تقيم هناك . فماذا وجدت ؟

لقد صدق القول بأن اكثر الناس استعدادا للعطف هم احوجهم الى العطف . فقد كانت ظروف الشعب الأوزبيكى فى ذلك الوقت ــ كما سبق أن شرحت ــ فى ادنى درجات التخلف من فقر وجهل ، وكان الحال السيىء يشمل الغالبية العظمى ، بل ويتضاعف سوءا فى هــذا الوادى الكئيب . والذى حدث كان غاية فى البساطة . فقــد مــد الأوزبيكيون الفقراء لهذه العائلة يد العون والمساعدة ، وكان أول هذا العون منحها بيتا تقيم فيه ، وبدأت تدخل فى عجلة الحياة الرتيبة فى هذا المنفى حتى قــامت الثورة فى سنة ١٩١٧ ونجحت فى الاستيلاء على السلطة بعد الاطاحة بالنظام القيصرى . ولم يمض وقت طويل حتى هبت فى المنطقة موجــة عنيفة من اعمــال القتل والتخريب قامت بها عصابــات الرجعيــة « الباسماتش » التى كــانت تقتل القادة الشيوعيين والنقابيين وتخطف الفتيات من بنات الشعب الفقيرات . وكان نصيب « جوهر خانوم » وكذلك أختها « ليزاخــانوم » هو الخطف . وكان من نتيجة هذه الحرب الأهلية أن وصلت حالة هذه العائلة الى الفقر المدقع . وعندما انتخب أول رئيس للجمهورية « جولداش أخوم بباباىوف » وكان يعمل من قبل فى خدمة الأغنياء ، ولهذا كان يعرف حالة هذه الأسرة ، فشــمل هذه العائلة بعطفه وارسل الأختين « جوهر وليزا » الى بيت مخصص

لرعاية الأطفال حيث وجدتا عناية مناسبة من التعليم وتنمية المواهب الذاتية . وكانت النتيجة أن حققت هذه العائلة نجاحا لكل افرادها على هذا النحو :

« تماراخانوم » وعمرها الآن ٦٨ عاما أصبحت فى وقتها مغنية مشهورة جدا فى جميع أنحاء الاتحاد السوفييتى ، وكانت موهوبة فى الغناء بكل اللغات .

و « أماليا خانوم » وكانت تجيد اللغات الفارسية والأرمنية والروسية الى جانب اللغة الأوزبيكية الفصحى ، واشتغلت بتدريس هذه اللغات ، وتوفيت سنة ١٩٧١ .



— الفرقة الموسيقية المصاحبة للراقصات والراقصين

و « ليزاخانوم » وقد وصلت الى الشهرة كممثلة شعبية محبوبة .

و « فيكتوريا رومى » التى اصبحت استاذة فى العلوم الطبيعية النباتية وتخصصت فى القطن الذى يعتبر المحصول الرئيسى فى أوزبيكستان .

هكذا أصبح حال هذه الأسرة بعد الثورة . وتزوجت « تمارا » مغنيا مشهورا ، فطلبت منه الحكومة تأسيس المسرح الشعبى فى مدينة « قوقند » وكان المسرح وقتها يشمل جميع الفنون المسرحية من تمثيل ورقص وغناء وبدون تخصص . ومن هذه البداية هناك ظهرت أول معلمة للمسرح « ماريا كوزينتسوف » وكانت ابنة لعامل بالسكة الحديد ومن أصل روسى وتجيد اللغة الأوزبيكية ولها المام ودراية بالتقاليد المتوارثة فى المنطقة ، وكانت أول ممثلة أوزبيكية زاملت « حمزة » الشاعر والملحن الأشهر الذى وضع أول الحان واغان سوفيتية تعرف باسم « شورى » .



— « زهرة جذبيفا » راقصة الباليه الأولى بالفرقة درست بالمدرسة ٦ سنوات ، ثم اشتغلت فى مسرح موسيقى ثابت ، ثم فى فرقة لازجى من سنة ١٩٦٥

وتروى « جوهر » بعض ما تبقى من ذكريات عن فترة بيت الرعاية الذى بدات فيه التعليم ، ففى سنتى ١٩٢٣ — ١٩٢٤ كان التعليم باللغة العربية . وجاء مدرسون أتراك لتعليم الغناء التركى ، وفى نفس الوقت كانوا يلقنون الطالبات دعاية عن النظام الجديد فى تركيا وهو الذى تم بقيادة مصطفى كمال (اتاتورك) . ونظرا لوجود تقارب كبير بين شعوب آسيا الوسطى والشعب التركى فى العادات واللغة والتقاليد وجانب من المزاج المشترك ، فقد عمد هؤلاء المدرسون الأتراك الى فرض الأغانى التى تحمل مفاهيم وافكارا تدعو الى تمجيد الفرد والذات على حساب المجموع وتنشر افكارا تضعف من ثقة الجماهير فى الثورة الاشتراكية السوفييتية ، وقد اتضح بعد قليل أن هذا النشاط لم يكن بعيدا عن قوى الثورة المضادة



ـ صانع العود . . يختبر رنينه

التى حطمها الشعب والحزب الشيوعى خلال الحرب الأهلية ، بل كان هؤلاء المدرسون الأتراك كمن طرد من الباب ليحاول الدخول ثانية من الشباك ، وكانت لهم ميول انجليزية واضحة . ولم تأت سنة ١٩٢٦ حتى تم التخلص منهم وطردهم نهائيا من آسيا الوسطى كلها الى غير رجعة ، وكان ذلك بعد ان وضع الحجر الاساسى فى الفنون والمسرحية .

وبدأت « جوهر » كلامها بابتسامة منتصرة وهى تتساءل ، عن :

ـ ماذا كانت نتيجة النفى الى « وادى الهلاك » ؟

وعندما سألتها عن اسم « لازجى » وماذا يعنى ، قالت أنه اسم عام ، ولكن الفرقة لها اسم آخر :

(فرقة الاغانى والرقص الشعبية الكلاسيكية الخوارزمية .)

وأن افراد الفرق ٤٩ شخصا ، منهم ٩٥ ٪ من معهد الرقص و ٥ ٪ من الهواة ، ومن بين الراقصات ثلاث روسيات ، وأن تخصص الفرقة الأساسى فى الرقص الخوارزمى ، وقد وضعت الفرقة أغنية خصيصا لمناسبة الاحتفال بمرور نصف قرن على تأسيس الجمهورية ، واسم الأغنية « الذكرى الذهبية » ، وان الملحن الكبير « محمد جاف ميرازاييف » تنشر موسيقاه ايضا خارج أوزبيكستان فى جميع أرجاء الاتحاد السوفييتى ،

ومنها ما عرف خارج الاتحاد السوفييتى ، كما أنه الذى لحن « سماء انديجان » .

وآخر مرة رأيت فيها فرقة لازجى كانت قبل سفرى للعودة ، وذلك أثناء التقاط صور للفرقة بملابسها الزاهية المزركشة امام مناظر النافورة الهائلة فى ميدان لينين حيث كانت السيدة « جوهر » تحمل مظلتها ذات الألوان الزاهية وهى تنظم حركات المجموعات الراقصة أمام حوض السباحة بينما كان المصور المتخصص لهذه العملية يتحرك بعصبية زائدة . وهذه الصور تلتقط للفرقة استعدادا لعمل المطبوعات والدعاية المطلوبة اعلاميا ، لأن الفرقة سوف تقوم بجولة تقدم فيها عروضها فى مناطق من افريقيا فى حوالى نوفمبر وديسمبر من هذا العام ، وأن مصر تدخل فى برنامجها .

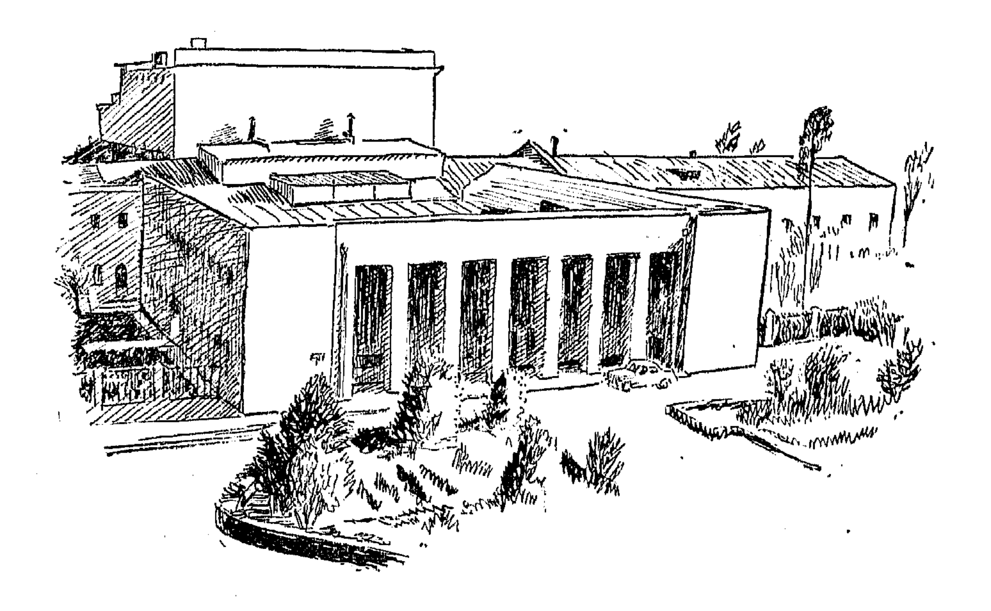
وودعتنى الفرقة بالتحية وشخشخة الدفوف بينما كانت السيده « جوهر خانوم » تلوح بيدها وهى تقول :

الى اللقاء فى القاهرة هذا الشتاء .



— مديرة الفرقة توجه تعليماتها
أثناء التقاط صور الراقصات
أمام نافورة المياه الضخمة

فى إستوديو أوزبيك فيلم

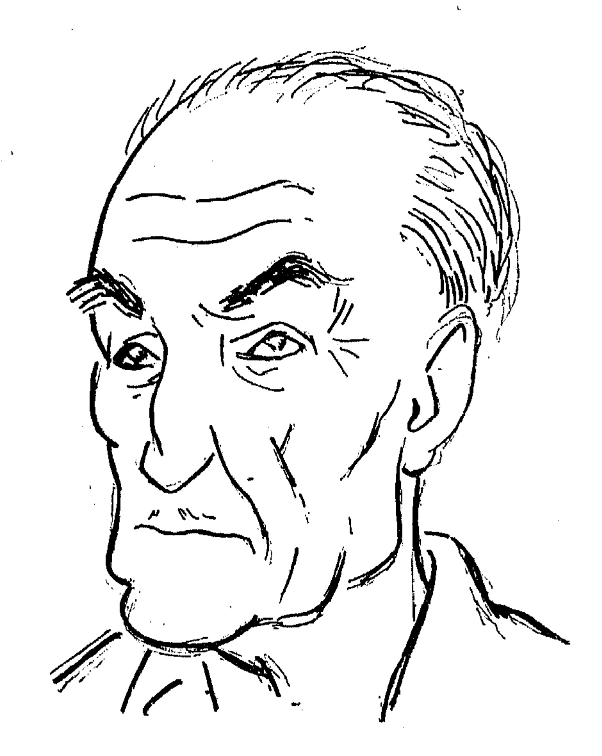


فى استديو « أوزبيك فيلم » التقيت بمديره « أولماس عمر بيكوف » الذى دعا الى هذا اللقاء وهو واحد من مؤسسى السينما الأوزبيكية وهو الممثل الشعبى للاتحاد السوفييتى و « بكامل يار محمد ياتوف » بطل العمل الاشتراكى والحائز على الجائزة الدولية السوفيتية ، و « قيوم عبد الرحمنوف » الكاتب الأول لمدير الاستديو ، و « جورا تيسابا ييف » المسئول الأول عن الاستديو .

ومنذ بدء الحديث ، كانت نظراتى منجذبة الى الممثل الشعبى الكبير « كامل » ولا أكاد ارفعها لأكتب ملحوظة أو لأوجه سؤالا الى مدير الاستديو ، حتى تعود ثانية لتستقر على ملامحه العجوزة الطيبة التعبير . وفى الغالب ترتسم ابتسامة المجرب الخبير على صفحة وجهه كلها وتفصح عن حالة من الاطمئنان والسكينة لعلها هى التى جعلتنى أطيل النظر اليه ، وهو يحكى عن الكيفية التى قامت بها السينما الأوزبيكية .

قبل الثورة لم تكن هناك سينما ولا حتى مسرح . وما أن انتهت الحرب الأهلية سنة ١٩٢٤ حتى أتيح للسلطة السوفييتية أن توجه عنايتها الى أهم الواجبات بعد ذلك وأكثرها خطورة فى تطور الشعوب ، وهى الثقافة .

ومن أحدى المدارس الدينيــة الصغيرة والقــديمة قـامت مظاهرة شعبية بمناسبة افتتاح أول ستديو سينما فى كل آسيــا الوسطى . وكان المشتركون فى المظاهرة هم أنفسهم الذين كانوا بالأمس يقــاتلون دفاعا عن الثورة واقامة السلطة الاشتراكية هناك ، وكان « كامل » من بينهم الذى



— « كامــل ياد محمــد ياتوف »
الممثل الشعبى للاتحاد السوفيتى
بطل العمـــل الاشــتراكى
الحائز على الجائزة الدولية السوفيتية
بطل فيلم « عاصفة على آسيا »
وفيلم « الفرسـان والثـورة »
وفيلم « أمـــير بخارى »

ما كادت كلمة لينين « أن السينما هى أهم الفنون » حتى اتخذها شعــاره لخدمة الشعب ، ومن وقتها اصبحت الافلام بدل البنادق لتبــدأ رحلة التقدم مسيرتها من حالة التخلف الى مرحلة تثقيف الشعب .

كان جيل « كامل » شبابا بغير خبرة ولكن كــان لــديهم ما يقولونه مما عاشوه بأنفسهم أو مما تلقوه عن آبائهم وأجدادهم من مظــالم حكم الطغاة ، وما عانته الشعوب من قسوتها . وكــان لا بــد لهم من يــد تمتــد بهذه الخبرة المنشودة ، فوجدوا فى الخبراء الروس ما يسد هذه الحاجة . ولم يكن هذا شىء بــل كانت هناك عوائق تحتاج الى الازالــة .

فالمرأة كانت محجبة ، وسينما بغير أمرأة كالرقص بقدم واحدة ، وجاء الحل أيضا على يد المرأة الروسية . وكان المسرح وقتذاك يعمد الى اسناد الادوار النسائية للرجال .

والعقبة الثانية كانت فى قلة عدد المشتغلين بالسينما الى درجة الندرة .

وكان أهم الموضوعات وقتئذ ، هو تحرير المرأة ، والنضال من اجل تشكيل الكولخوزات والنظام السوفييتى ، ومقاومة العدو ومضاعفة اليقظة لمناوراته ومؤامراته . وهى موضوعات تتجه نحو دعم النظام الجديد . لذلك ، فنحن لم نكتف بالدور الذى قمنا به لاقامة النظام السوفييتى ، بل مازلنا ملتزمين بمتابعة الحكاية التاريخية ليظل منسوب المعرفة والوعى بالأيام الشاقة التى عانى منها أباؤنا وأجدادنا بالمستوى الكافى ليكون فى مفهوم الشعب دائما من هم الأعداء ومن هم الاصدقاء ولدعم روح الصداقة مع الشعوب السوفييتية من أجل التقدم والسلام .

وعند بداية السينما فى أوزبيكستان لم يكن هناك غير سوق العرض المحلى ، أما الآن فان الفيلم الأوزبيكى يعرض فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتى وأيضا خارجه .

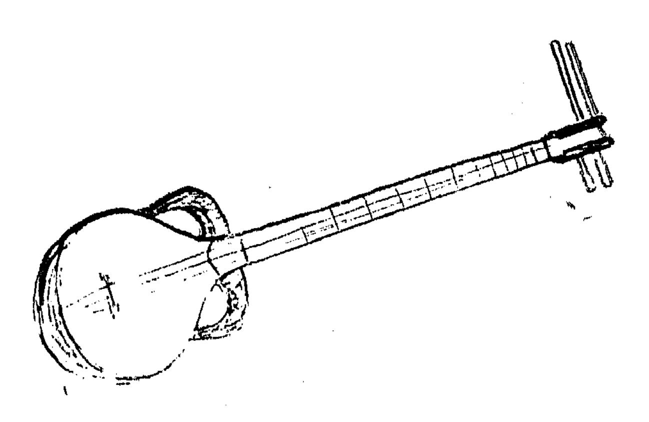
وعند بداية السينما فى أوزبيكستان لم يكن هناك غير سوق العرض يحظى باحترام زملائه من الجيل السينمائى الجديد وتقديرهم له ، لا بوصفه المسئول الفنى للاستديو فقط ، ولكن باعتباره فنانا كبيرا وجزءا من حياة السينما الأوزبيكية . وجدير بالذكر أنه قام ببطولة ثلاثة من اشهر الأفلام السوفييتية وهى عاصفة فوق آسيا والفرسان والثورة وأمير بخارى .

وجاء الدور على المسئول الأول عن السيناريو « جوراتيشابابييف » ليعرض لنا الوضع السينمائى الراهن ، بادئا بمشكلات اعداد القصص للسينما .

حقيقة ان اختيار الموضوع المؤلف من أهم المشكلات ، حتى فى أيامنا هذه . ولكن مع تطور الأدب والفن والخبرة التطبيقية ، لم يعد ذلك مشكلة حادة .

فالتعامل مع أهل الأدب والفن كما هو معروف فى كل أنحاء العالم — عمل صعب ويصل احيانا الى حد أن يصبح شاقا للغاية . ولكننا . بعد تجارب كثيرة — توصلنا الى طرق متعددة لاجتذاب المؤلفين للسينما ، كما أن لدينا الآن معدين متخصصين للسيناريو فى الاستديو ، كما أننا





منذ سنتين أنشأنا ادارة خاصة بالسيناريو ، ويتألف أعضاؤها من المؤلفين الشبان وذوى الاستعداد والمهتمين بالسينما .

والطريق الثالث هو جذب دائرة كبير من الكتاب الى الحقل السينمائى .

ولدينا أساليب مختلفة لهذا الجذب :

أولا نطلب منهم أعداد السيناريو كاملا ، ثم نحاول شراء مؤلفاتهم لاعدادها سينمائيا . ويتولى قسم السيناريو الذى يرأسه دراسة المؤلفات الروائية لاختيار المواضيع المناسبة ، والاجتهاد لتخزين ما يكفى منها لثلاث أو أربع سنوات قادمة باستمرار . ولكن — مع كل هذا — لا يلتزم الاستديو بتحديد مؤلفين له داخل الجمهورية ، بل لديه علاقات بمؤلفى السيناريو فى كل جمهوريات الاتحاد . ففى هذه الأيام يتعاون من المشاهير « ميخالكوف كافشالوفسكى » و « اندريه تاركوفسكى » و « نيكولاى فيجوروفسكى » و « سيرجى فيليبوب » وآخرون . أما الكتاب الأوزبيكيون فمنهم المشاهير مثل « كامل ياشين » و « اسقط مختار » و « رحمت فايزى » و « عادل يعقوبوف » وكذلك « جورا نيشابابيف » نفسه الذى ينفذ الآن فيلما من انتاجه .

ومع كل هذا ، فانهم يعتبرون هذا قليلا بالنسبة — لا لما يحلمون به — ولكن بما فى وسعهم تحقيقه . فالاستديو ينتج عشرة أفلام روائية كبيرة ، خمسة منها للتليفزيون .

والحقيقة الواضحة أن المؤلفين اليوم قليلون بالنسبة لحجم العمل ، والأمل أن يزداد عدد الكتاب ومؤلفاتهم الخاصة للسينما ، وأن يكون لديهم مؤلفون متفرغون لوضع السيناريوهات خصيصا لهم ، والذى لديهم ثمانية منهم الآن .

وبعد أن انتهت كلمة المسئول الأول عن السيناريو فى ستديو أوزبيك

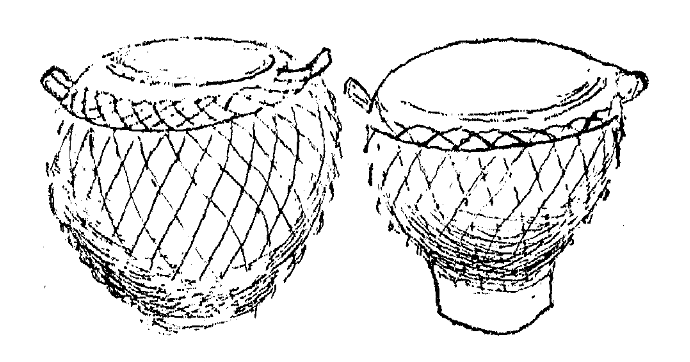
فيلم تناول الحديث مدير الاستديو ، لأن أسئلتى كانت عن نشاط السينما فى نوع آخر من الانتاج .

فعن « الفيلم التسجيلى » عرفت أن له ستديو خاصا يديره واحد من أبرز رجال السينما الوثائقية هو الممثل الشعبى للاتحاد السوفييتى « رمالك فيوموف » .

وكم كنت أود زيارة هذا الاستديو بدافع اهتمامى الشخصى بهذا النوع من الانتاج الذى أرى عن اقتناع ــ أنه اجدر أنواع الانتاج السينمائى بالاهتمام لأنه أقربها واقعية وصدقا وتأثيرا فى آن واحد ، كما أنه صالح لكل مراحل التطور باعتباره مصدرا من مصادر المعرفة التاريخية أيضا ، حيث لا تضعف قيمته بمرور الزمن ، بل تتضاعف .

وكان الاتحاد السوفييتى رائدا فى اكتشاف الطاقة الكامنة فى الفيلم التسجيلى مما جعله يمنح هذا النوع أوسع الفرص لينطلق ويحقق الكثير للتقدم الانسانى ، الى حد الاستفادة به فى تسجيل أحداث الحرب العالمية الثانية والتى وصلت خسائره من المصورين التسجيليين بضع عشرات من امهر الفنانين وذلك لكى يمسكوا بأيديهم احداثا وقعت فى أماكن محددة وفى أوقات محددة ، يستحيل استعادتها مرة أخرى بنفس الواقعية والصدق .

لقد رأيت ــ لأكثر من مرة ــ الفيلم الطويل الذى أنتجه الاتحاد السوفييتى باسم « الحرب العالمية الثانية » ورأيت ما حدث وكأنه يقع حولى وليس امامى على الشاشة المسطحة فقط ، ورأيت من أهوال الحرب وبشاعتها ما سوف يظل مطبوعا فى ذاكرتى ما حييت ، كما رأيت البسالة وكأنى دخلت فى ثيابها وعشت لحظاتها الباهرة التى حددت مصير البشرية فى عصرنا الراهن ولأجيال قادمة .



رأيت كل هذا ــ وكأنى أراه الآن وأنا أدون هذه الكلمات وبخاصة عندما كان المنظر المعروض يميل على أحد جانبيه فجأة بعد أن تفجرت امامه قذائف منها ما أقترب الى مستوى الرؤية بسرعة انطلاق الرصاص ، أن منظرا كهذا يستحيل أن ينساه المشاهد . وعلى الأخص عندما يدرك

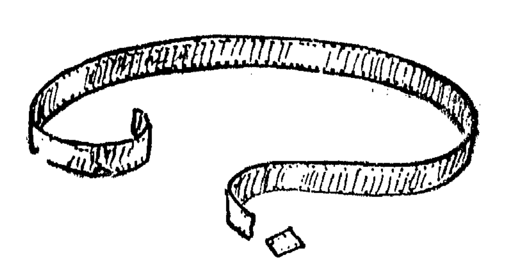
أن المشهد الذى مال فجأة يعنى أن رصاصة أصابت المصور الذى يحمل الكاميرا ، لعله قد مات منها .

لهذا كنت حريصا على زيارة هذا الاستديو لا تعرف على آخر ما وصل اليه تطور الانتاج التسجيلى فى أوزبيكستان الجمهورية الفنية فى هذا المجال .

ولكن ، بسبب العطلة الاسبوعية — وهى يوما السبت والاحد — لم نوفق الى تحديد موعد لهذه الزيارة وسط كومة المواعيد التى كان ضيق الوقت المحدد لبرنامج رحلتى يحول دون التخلى عن احدها . ولهذا ، ومع شديد أسفى ، اضطررت لتأجيل هذه الجولة الى فرصة أخرى .

الا أنه لا يفوتنى ان أسجل هنا اقتراحا كنت أود مناقشته مع مسئولى ستديو الأفلام التسجيلية ، ما دامت الزيارة اليه لم تتم ، وهو :

أن المناظر الجميلة التى رأيت روعتها فى أرجاء طشقند وبخارى وسمرقند ، سواء من الجو أو على الارض ، وروعة الانشاءات العمرانية ، وبحار الاشجار الوارفة ، كلها تستحق التسجيل . وحالة الشعب فى عمله ومتنزهاته ومعاملاته اليومية أيضا تستحق التسجيل كلها . ورؤيتها بعين خارجية تتيح فرصا مزدوجة الفائدة سواء فى اختلاف الذوق والرؤية أو تنوع الاهتمام عن صور التطور الحديث فى أوزبيكستان . لماذا لا توجه الدعوة فى بعض المناسبات الى المصورين القديرين من مختلف انحاء العالم وتنظم لهم جولات بين ربوع البلاد لالتقاط جوانب الانجاز الحضارى الباهر الذى يولد اليوم هناك ، ومن المحتم أن يكون فى هذه المادة صلاحية لانتاج سينمائى تسجيلى مشترك يفيد فى اعلام الشعوب بمثال من بناء الاشتراكية ؟



ان هذا الاقتراح ليس موجها الى ستديو الافلام التسجيلية بجمهورية أوزبيكستان وحدها بل موجه فى الوقت ذاته الى اللجنة الدولية للسينما الأوزبيكية ومسئولها عبد الله يوف وستديو أوزبيك فيلم ومسئوله ماليك فيوموف والى وزارة الثقافة الأوزبيكية ، ووزارة الثقافة بالاتحاد السوفييتى وكافة الجهات التى لها دور ومسئولية فى هذا المجال .



— ديكور لمسرحية المهندس «ج. الكراموف»

وعن أفلام الرسوم المتحركة (الكارتون) ، قيل لى أن هذا النوع من الانتاج رغم انه حديث العهد فى أوبيكستان ، الا أن الاستديو ينتج عددا من أفلام (الكارتون) وأفلام العرائس لا يزيد عن خمس أفلام مدة الواحد ربع ساعة .

كما ينتج سنويا خمسة أفلام أخرى مدة كل فيلم عشر دقائق من مجلة فكاهية سينمائية باسم « ناشتار » ومعناه « المشرط » وتدور موضوعاتها حول انتقاد النواقص الاجتماعية ، وبالأمس خرج أحدث فيلم فى هذه المجلة الفكاهية .

أما عن الممثلين ، فقد كان الوضع فى بدء العمل السينمائى يعانى من نقص الممثلين وبخاصة فى الادوار النسائية . فمشكلة نقص الممثلين تنعكس أول ما تنعكس على المسرح . ولكن الآن يوجد ٢٧ مسرحا فيه ممثلون وراقصون ومطربون ومغنون وسائر فروع التمثيل . ومن هنا فلا يوجد ما يعتبر أزمة ممثلين

والحكومة تساعد على تخصيص ممثلين لهذا الاستديو ، ويتولى هذه المسئولية الرفيق « خد جاييف » . ولدينا ارتباط باثنين وثلاثين ممثلا وممثلة .

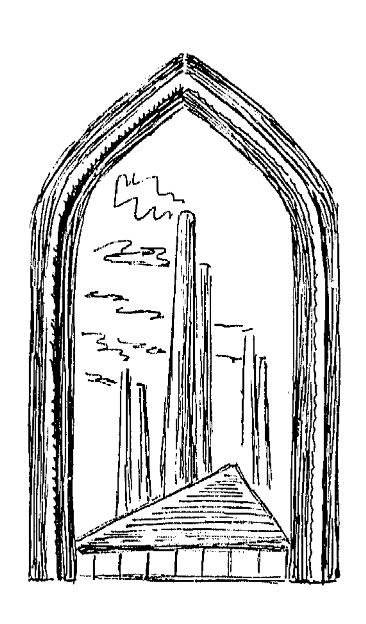
وفى هذه الآونة يبدأ العمل فى فيلم « شيخوف » ويشترك فيه ممثلون أكثرهم من ممثلى الاستديو .

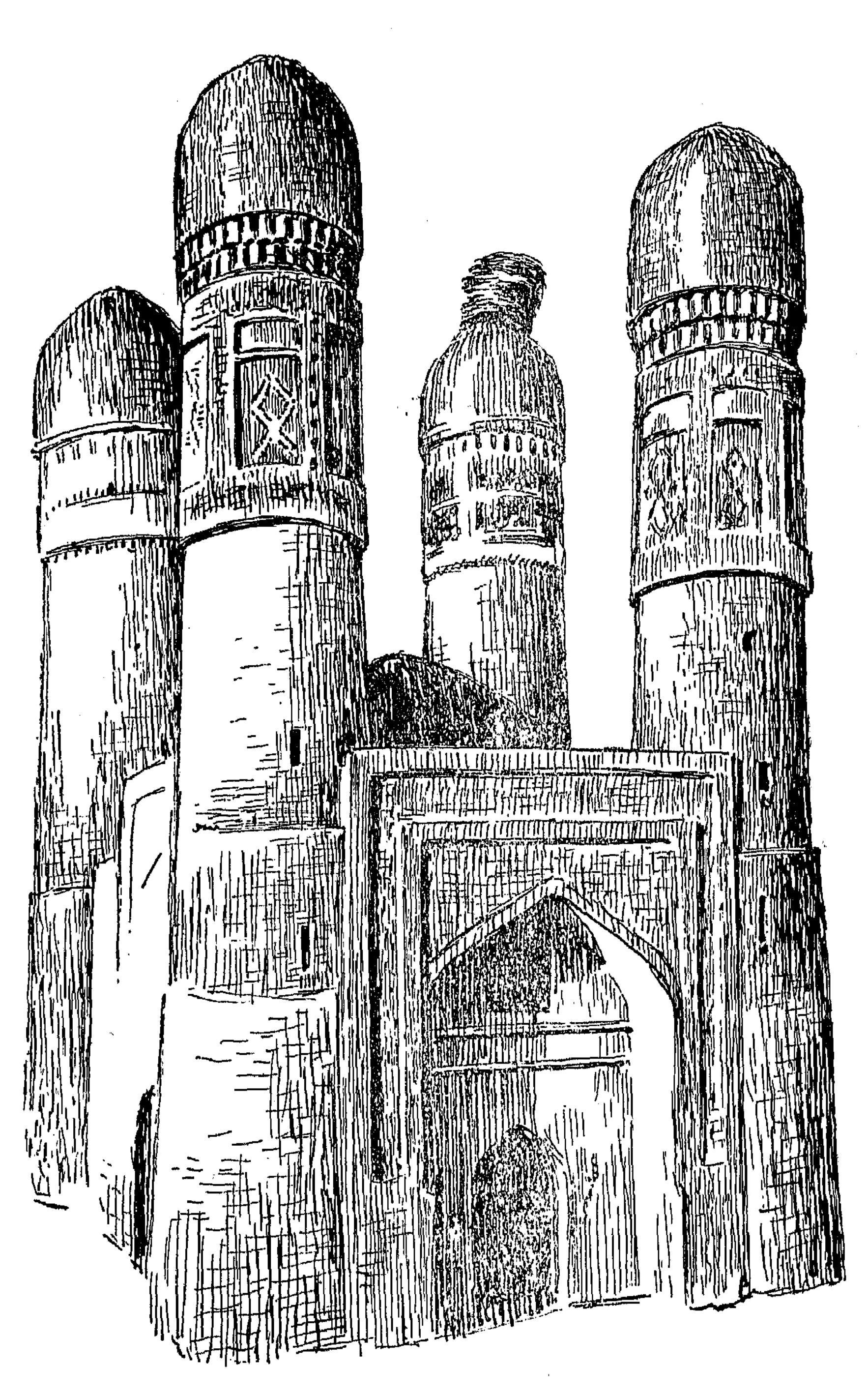
وتوجد مشروعات عديدة لتوسع هذا الاستديو مستقبلا .

وفى الاستديو ثلاثة بلاتوهات منها اثنان كبيران مساحة كل واحد ثلاثون مترا فى خمسة وأربعين مترا والارتفاع المستخدم خمسة عشر مترا . تم بناء ذلك ما بين سنة ١٩٥٨ ــ ١٩٦١ وقبل ذلك كان العمل يجرى فى بيت قديم . والى جانب هذين البلاتوهين يوجد بلاتوه صغير وبالاضافة الى هذا فلدى الاستديو مساحات شاسعة من الأرض المجاورة للتصوير الخارجى .

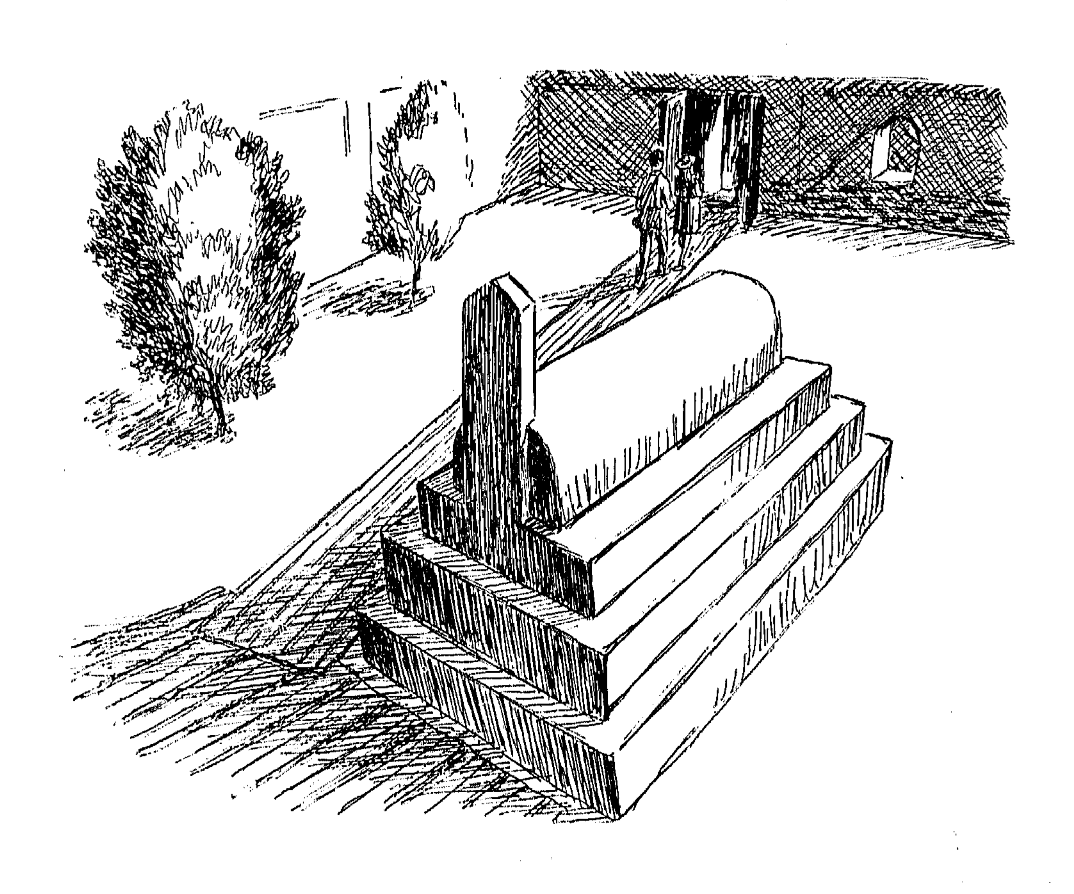
وفى الاستديو استعداد لترجمة الافلام التى تخرجها الاستديوهات السوفييتية والافلام الاجنبية الى اللغة الأوزبيكية وهو ما يهم المشاهد الاوزبيكى أولا ، ويتم ترجمة ما يقرب من ٨٠ فيلما سنويا .

وفى أوزبيكستان عدا أستديو الافلام الوثائقية (التسجيلية) يوجد ستديو طشقند للسينما وستديو أوزبيك تيلى فيلم الذى ينتج نوعا من الافلام الاعلامية اسمها « أوزبيكستان بعيون الاصدقاء » .

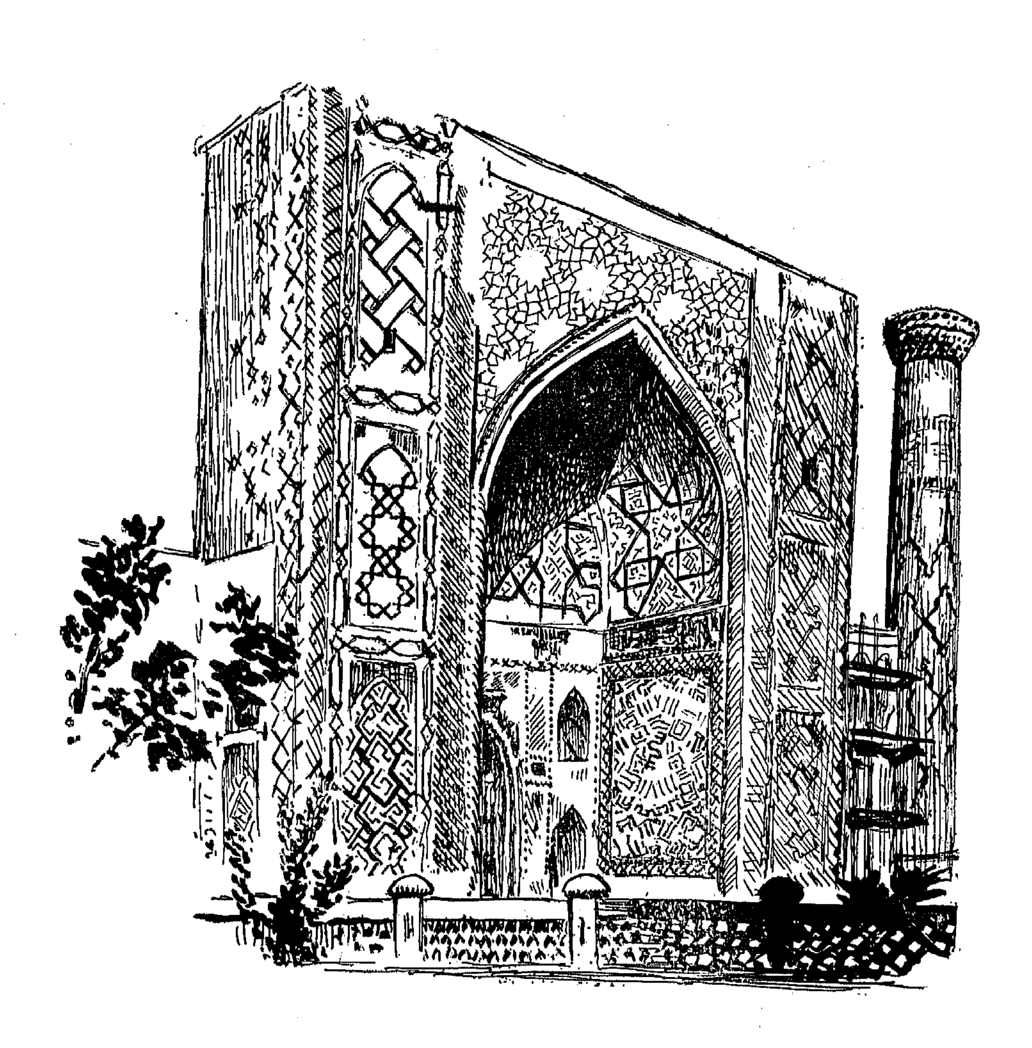




– مسجد قديم فى بخارى



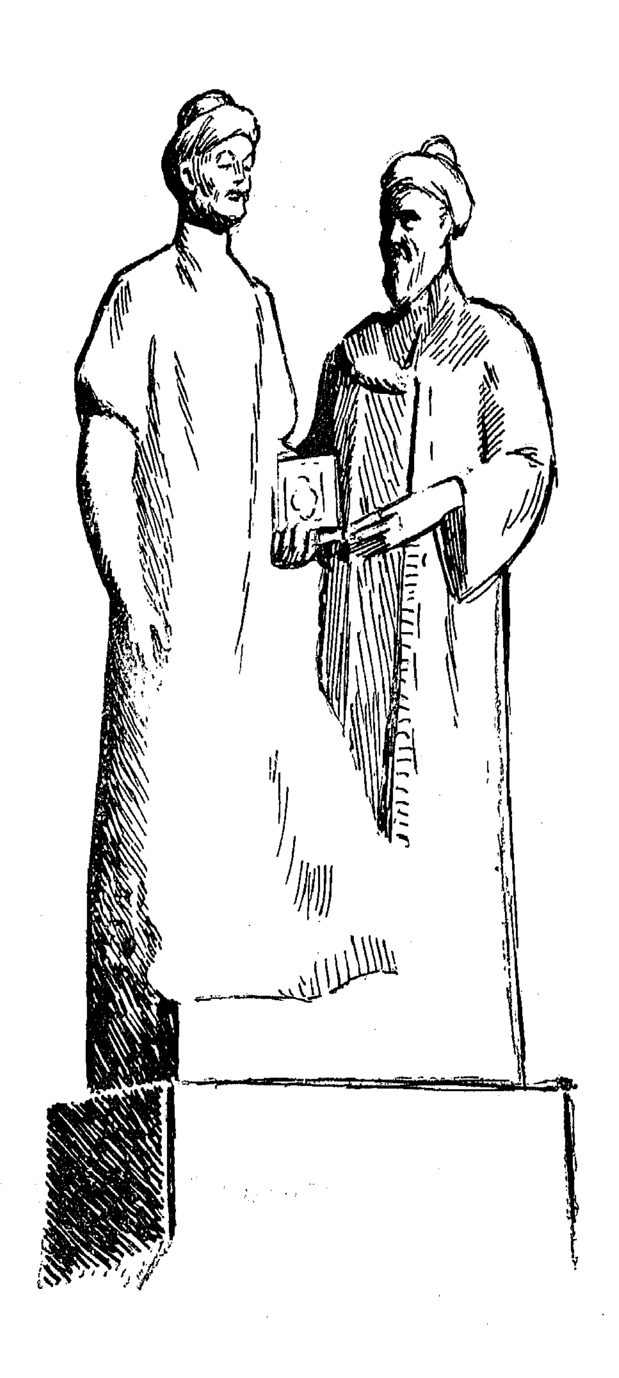
– ضريح الإمام « البخارى »



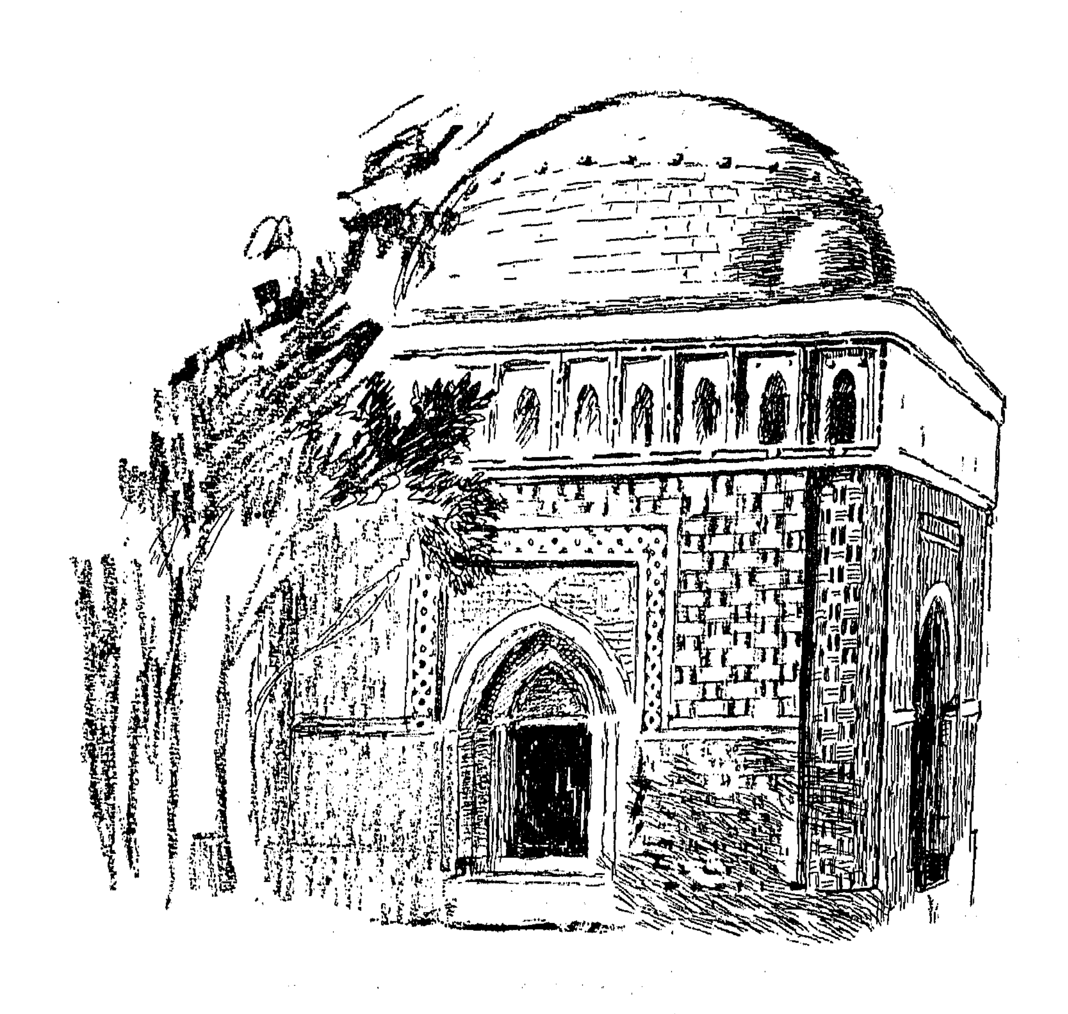
مدرسة أولغ بك في سمرقند



تمثال علی شیر نوائی



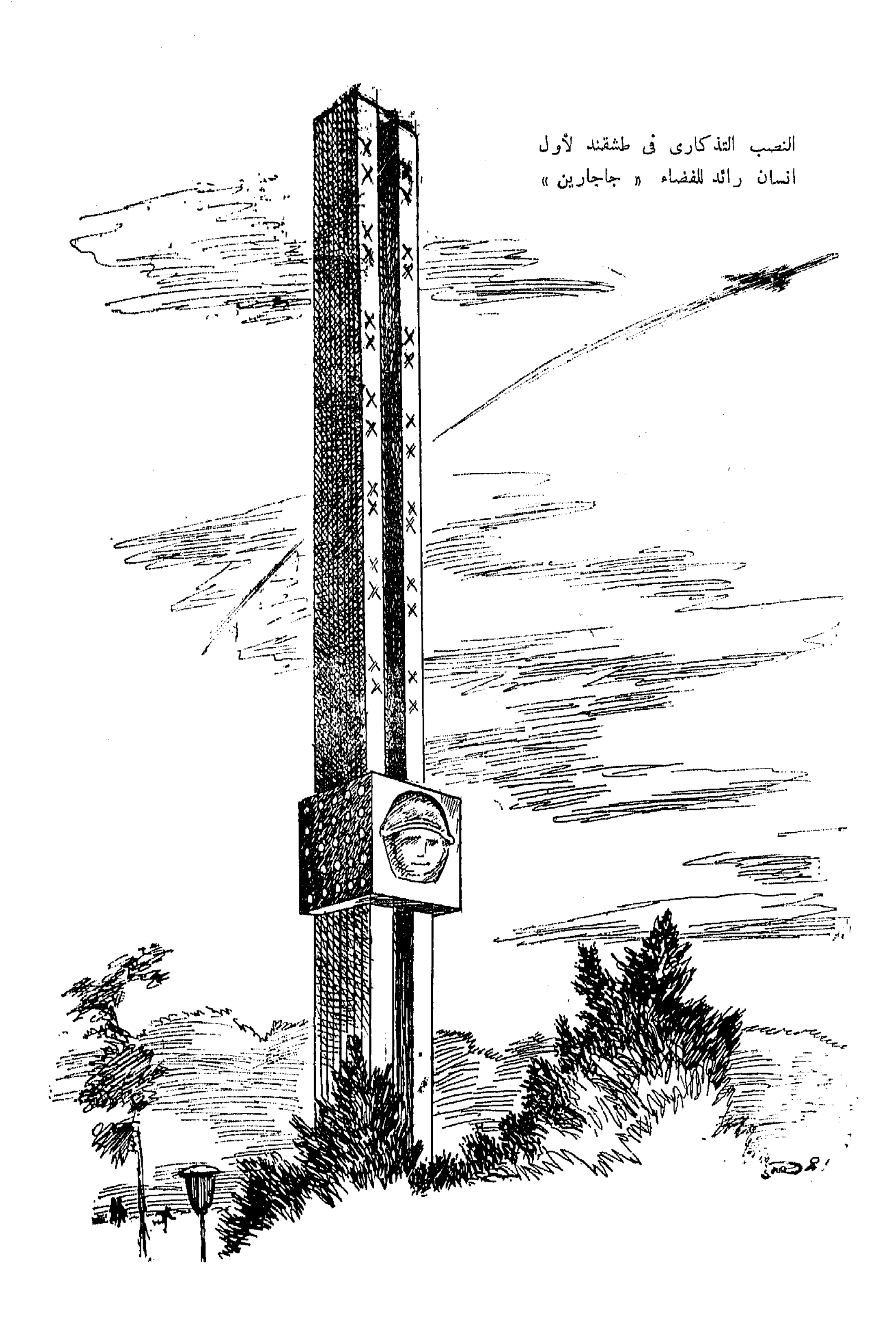
تمثال « شير نوائى وحمزة »



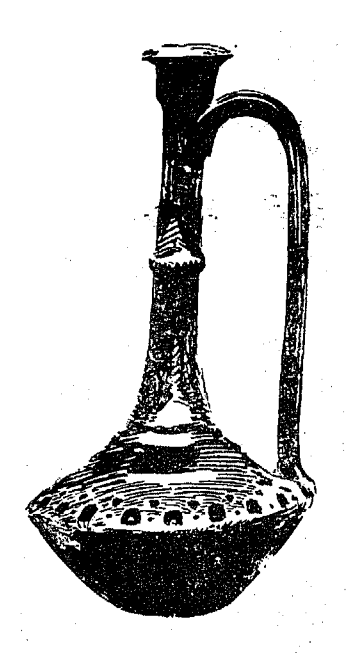
ضريح « اسماعيل ساماني » في سمرقند



تمثال « كارل ماركس » على هيئة شعلة فى حديقة طشقند



النصب التذكارى فى طشقند لأول
انسان رائد للفضاء « جاجارين »



فى معهد الأبحاث العلمية للفنون

بين مجموعة من الحدائق جميلة الهندسة ، حيث أحواض بأكملها خصص كل واحد منها لنوع من الورود والزهور المنسقة كأنها لوحات تشكيلية رسمتها أيدى فنانين عباقرة ، أقيمت عدة مبان حديثة الهندسة ، احد هذه المبانى ـ يتألف من أربعة طوابق ـ هو مقر معهد علمى من أحدث معاهد العالم واعجبها . ذلك أنه ليس مكانا لانتاج الفن ، بل هو متخصص فى القاء النظرة العلمية على كل ما يدخل فى دائرة الفنون وذلك بغرض استخلاص المعارف الفنية التى تساعد فى فهم الفنون القديمة كالآثار وتاريخ الموسيقى وآلاتها واساليب التصوير والنحت والزخرفة والعمارة ، الى جانب المسرح والسينما ... وأجمالا ، الفطرة العلمية فى كل ما يدخل تحت اسم الفنون .

وكان لقائى مع ستة من العلماء المتخصصين فى مختلف فروع الفن .

الأستاذ « ردنيك اسكندر ميخائيلوفتش » نائب المعهد وتخصصه فى علم المسرح ، والاستاذة « دلبارفان سعيدوا » ومتخصصة فى الرسم الأوزبيكى والسوفييتى ، والاستاذ « مدحت بن سعد الدين بولاتوف » متخصص فى الهندسة المعاصرة وهو أحد النقاد والفنانين البارزين وهو



— الحارسة للرسام « ف . فاديف »

واضع تصميم فندق طشقند ، والاستاذ « عمروف عبد الحى رشيدوفيتش » مدير قسم الفنون التشكيلية المعاصرة ، والاستاذ « تورغونوف بخادور عزيز وفيتش » نائب البعثات الاثرية فى الخارج وهو أركيولوجى ومتخصص فى علم الفن ، والاستاذ « اكباروف حميد الله الياشو فتش » وتخصصه فى علم السينما .

وقد كانت لدى عدة اسئلة حول دور المعهد وعن انجازاته الأخيرة ، وبخاصة عندما شد انتباهى كتاب مصور فى طباعة متطورة جدا عن آثار



— العروس الرسام « ج . كوطير مورادوف »

مدينـــة « خيوا » التى أكتشفت أخيرا ــ الى جانب مواضيــع أخرى كنت حريصا على معرفة أى شيء عنها .

وقد أفاض كل مسئول فى الاجابة على مـــا طرحته من أسئلـــة ، كل فى حدود اختصاصه . وبعد ثلاث ساعات كاملة خرجت بمعلومـــات وافية رأيت أن اضغطها فى أضيق الحدود .

فالمعهد ــ الى جوار الاسم المكتوب على رأس هذا الفصل ــ يطلق عليه أسم واحد من أبرز رجال الفن هو « حمزة حكيم زادة نيازى » الذى يعتبر مؤسسا لفروع عدة فى ثقافة أوزبيكستان من المسرحيات والدراما والشعر .

تأسس هذا المعهد سنة ١٩٢٨ وفى البداية كانت الثقافة متخلفة ولهذا كان المعهد مجرد ادارة صغيرة . وجاءت الحرب العالمية الثانية . فأغلق لمدة سنتين ، ثم فتح ثانية سنة ١٩٤٣ وهو مـــا يـــدل على أن الحكومـــة ، رغم صعوبات الحرب وأعبائها الثقيلة ، فانها كانت تهتم بعلوم الفن .

وأول اهتمامات المعهـــد تتجـــه نحو تـــاريخ الفن الأوزبيكى من عمارة وفنون تشكيليـــة ومسرح وموسيقى وسينما وباليـــه وتليفزيون ويعمل به حوالى مائة موظف .

وهذا المعهد من أكبر معاهد الاتحـــاد السوفييتى ولـــه اتصالات مع المنظمات الفنية والثقافية والعلمية بالخارج ويباشر ارســـال بعثـــات أثرية



الشاي جاهز .. للرسام « اينوفاموف »

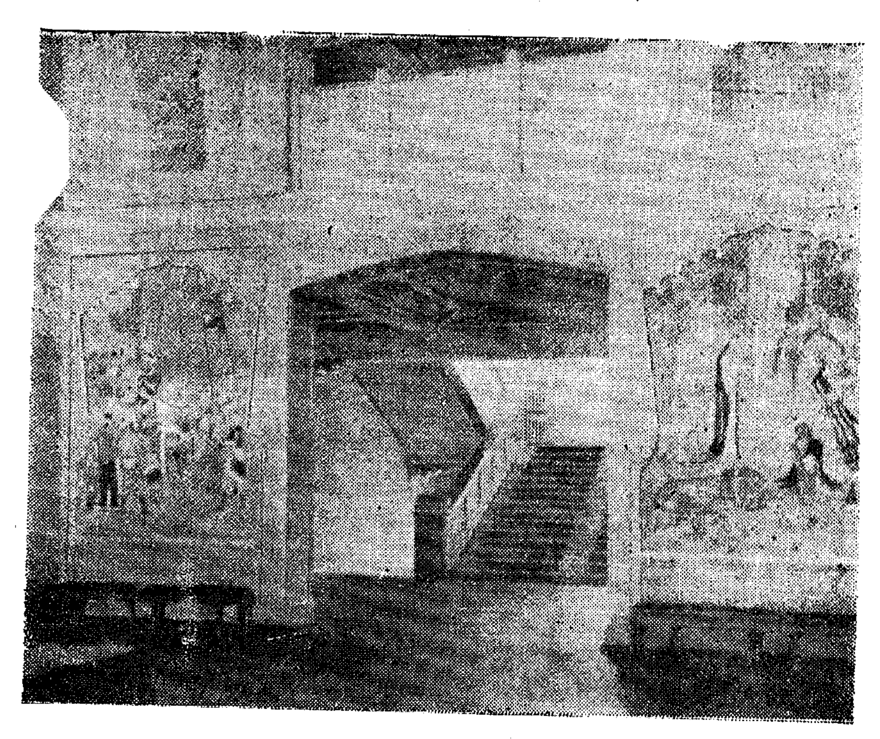
للخارج ويركز على دراسة آثار سمرقند القديمة وبخارى والثقافة التاريخية والحفريات فى أماكن عديدة من أوزبيكستان ، كما أنه يعمل الآن فى افغانستان . والهدف الأخير للمعهد هو اخراج الدراسات عن كل فرع من فروع الفن .

وجميع العاملين بالابحاث ممن سبق تخرجهم من المعاهد العليا ، وبخاصة معاهد طشقند للفن والكونسرفاتوار واقلية غيرهم درسوا فى موسكو ولينينجراد . وبعد ذلك يمضون سنتين فى الدراسة بهذا المعهد ويوضعون فى درجة ترشحهم للدخول فى درجة الدكتوراه . وهذه الدرجة وسط بين الماجستير والدكتوراه ويعمل بالمعهد مجموعة من العلماء البارزين فى مختلف التخصصات .

وعندما سألت عن مصير الدراسات التى يعدها المعهد ، عرفت أنها تطبع الى جانب نشرات تنزل السوق للتداول ، وتتم الطباعة فى القاعدة الاساسية بطشقند فى دار النشر للأدب والفن واسمها « غافور غلام » وهى باسم واحد من ابرز الشعراء والى جانب هذا تطبع أيضا بموسكو ولينينجراد وأماكن اخرى ، وتصدر باللغة الأوزبيكية وكذلك بالروسية التى تصدر بها أكثر الكتب لغرض الدعاية للفن الأوزبيكى فى جمهوريات الاتحاد .

وفى مجال كشف الآثار ، فقد تم اكتشاف هام فى منطقة (رسوخانداريا) بمحافظة سمرقنـد ، حيث وجد هيكـل لصبى صغير (٨ سنوات) وبجواره أدوات عمل ويرجع تاريخ هـذا الكشف الى عصر انسـان (النياندارتال) وهو موجود الآن بمعهد « سمرقند » .

وفى منطقـة « دنياو » كـان التوفيق مـن نصيب الدكتورة « جالينا آناتوليفنا بوبا تشنكوفا » ـ الحائزة على جائزة « حمزة » ومؤلفة « تاريخ الفن الأوزبيكى » ـ وذلك عندمـا بـدأت أولى ضربـات الحفـر فى قصر « خالشايان » اذ وجدت تماثيـل من الطين صغيرة الحجم لا يزيـد أكثرها عن حجم الكف وهى تمثل رؤوس الحكام والجنود والنساء والفرسان فى غرفة ، الاستقبال ، ويوجد تماثيل من هذا النوع للملك وحراسه وضيوفه وترجع بالتاريخ الى ٢٠٠٠ سنة (القرن الاول قبـل الميلاد) ونظـرا لانها مصنوعة من الطين وهو قابل للتفكك بسهولة ، فقد تم الوصول كيمائيا الى نوع من الصمغ الخاص الذى صنع فى هذا المعهد ، وحقنت به التماثيل الى درجة من التشبع جعلتها صلبة لا يسهل تهشيمها . أمـا الآثـار التى وجدت داخل المدينة فهى مصنوعة من الجبس . كما وجدت أيضا قوالب صغيرة من الطين مما تستخدم فى صب التماثيل .



ـ استخدام للرسم الزخرفى داخل المبانى (١٩٤٧)

وقـد شاهدت فى الطابق العلوى من المبنى جناحـا مخصصـا لهذه الاكتشافات الاثرية وقد ألحق بـه معمل صيانـة علمى للمحافظـة عليها وتجهيزها للعرض . وهذا الجناح حديث الانشـاء ، وهو فى نفس الوقت نواة لا بأس بها فى مجال الكشف الاثرى للفنون التشكيلية .

وعندما سألت عن مدى تأثر الفنون التشكيلية هناك بالتيارات الحديثة والتى أبرزها (التجريدية والسوريالية) ، جاءت الاجابة واضحة مؤكدة وفى نفس الوقت كانت منطقية تماما وهى :

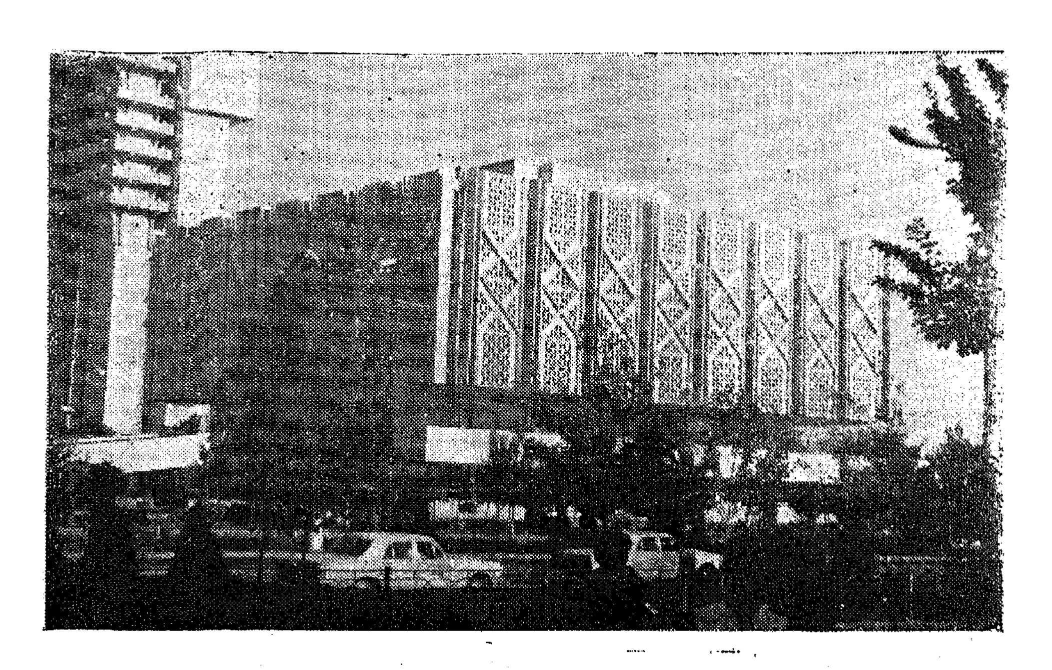
أن هذه الاتجاهـات غير موجودة فى الفنون التشكيليـة التقليدية كالتصوير والنحت والرسم عموما ، ولكن الذى يـزور انشاءات معمارية مثـل متحف « لينين » أو مسرح « على شيرنوائى » فسيرى الاستخـدام القديم للفن ، وكذلك فى المتحف الرسمى للفن ومتحف الفنون التشكيلية حيث الدليل الواضح على الفن الاوزبيكى الاصيل . فالتجريد له استخدام واحد عندنا ، وذلك باعتباره عنصرا تجميليا فى الزخارف المعمارية أساسا .

ويعمل بالمعهد واحـد من أبـرز المتخصصين فى « السيراميك » وهو مرشح لجائزة الدكتوراه واسمه « محيى الدين رحيموف » ـ وهو يعتمد على ما تخرجه الاكتشافات الاثرية فى الحفريـات من الفن القـديم حيث يتولى دراستها فنيا ثم يباشر عمليـة التطوير بمـا يحـافظ على طابعه الاصيل . والمثال على ذلك موجود فى مسرح « شيرنوائى » حيث توجد على جدرانه رسوم على نمط الفن القديم ، ويبدو هذا جليا فى فن « الجرافيك » وكذلك فى فن النحت الحديث بالفندق الجديد الـذى أقيم فى « سمرقند » وأوضح الادلة على الاستخدام الزخرفى للتجريد يمكن مشاهدته فى مدينة « نوائى » بالصحراء .

خطوات الدراسة العلمية الفنية

جميع المتخصصين موزعون حسب الاقسام ، حيث يقوم علمـاء كل قسم بوضع برنامج العمل لعـدة سنوات ، وهم بأنفسهـم يحـددون أهم المواضيع التى لهادور فى تلبية الاحتياجات القائمة . وتتم مناقشة ودراسة هذه البرامج فى المجلس العلمى للمعهد حيث يتولى كل واحـد من العلماء العرض والمناقشة فى موضوع تخصصه .

ويكون المتخصصين العلميين المبتدئين مستشار من العلماء ذوى الخبرة . وعندما ينهى أحد الاقسام عمله تتم مناقشة هـذا العمـل داخـل القسم - كنوع من المراجعة ، ثم يقدم الى المجلس العلمى لترشيحه بالقبول حيث يقرر المجلس الاعلى ويوصى باخراجه فى مطبوع معتمـد مـن المجلس



ـ فرع متحف لينين فى « طشقند »

الى دار النشر التى تعمل وفق برامج وأولويات ، كما يتابع المجلس تنفيذه فى الموعد الذى يرى ضرورته .

الحوافز والمكافآت الانتاجية

أولا هناك لكل واحد من العلمين بالمعهد مرتب على حسب درجته العلمية ، يعتمد عليه فى العمل . واذا أتم دراسته قبل الموعد المقرر تقدم له مبالغ معينة بصفة مكافأة له ويقررها مدير المعهد .

وبعض العلماء يقدمون دراسات عظيمة القيمة ، ولهذا فان النظام تشجيعا للاجتهاد العلمى أنشأ عدة جوائز على مستوى الاتحاد السوفييتى كله ، مثل جائزة « لينين » و « الجائزة الدولية للاتحاد السوفييتى » وجائزة الجمهورية باسم « حمزة » .

وفى المعهد اثنان من العلماء الذين أصدروا كتاب « تاريخ الفن الاوزبيكى » وقد حصلا على أول جائزة للعمل العلمى بأوزبيكستان ومدير المعهد « واحد زهيدوف » حائز على جائزة « حمزة » هذه .

هذا الى جانب جوائز الاتحادات المختلفة ـ الرسامين والادباء والسينمائيين ـ بصفة دورية كل سنة ، وكذلك الجوائز الدولية مثل جائزة جواهر لال نهرو الدولية التى حصل عليها الفنان العظيم « مختار اشرفى » عن باليه « تعويذة الحب » وأيضا حصل على جائزة جمال عبد الناصر الدولية عن الباليه الذى وضعه لمصر .

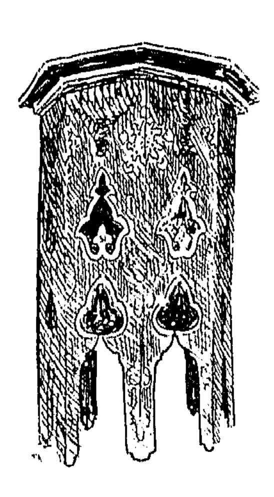
وفى الجوائز الأدبية ، منح لقب شرف للبارزين فى الفن والادب ، مثل ممثل الشعب أو نحات الشعب ، وكثير من العاملين بالمعهد حائزون على القاب الشرف هذه .

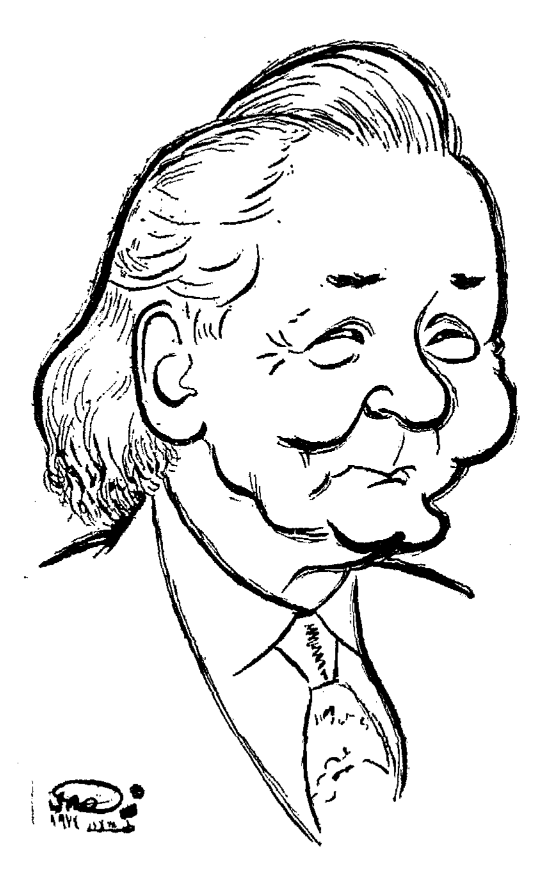
الاتجاه المعمارى الجديد

تنسجم دراسة المعمار الحديث فى جميع مدن الجمهورية مع التاريخ المعمارى القديم . وفى الفترة منذ قيام الثورة تراكمت معلومات ضخمة عن تاريخ الفن المعمارى الاوزبيكى ، كما توجد عمارات من القرن التاسع الى القرن التاسع عشر وهى كلها مسجلة علميا وتحت رعاية وحماية الحكومة ، كما توجد عشرات من المؤلفات عن هذه الطرز المعمارية . وقد بدأت هذه الدراسة العلمية فى هذا المعهد .

لقد كان مشاعا بين الناس أن بلدان آسيا الوسطى والاسلامية لم يكن فيها علم للعمارة ، وحتى اذا وجد عمل فنى عظيم ، كان يقال انه جاء نتيجة وجود افراد جاءوا من الخارج ولهم خبرة معمارية . ولكننا وجدنا من المعلومات المدونة باللغتين العربية الفارسية ما يدحضن هذا القول ، ويدل على وجود سابق لعلم الفن المعمارى فى بلدان الشرق الاسلامى وهذا يثبت لاول مرة فى التاريخ . ويتم جمع هذه المعلومات فى كتاب تحت الطبع الآن فى موسكو وقد يصدر فى السنة القادمة ، كما ننتظر صدور كتاب فاخر باللغة العربية عن « طشقند » وتعميرها وهو باسم « نهوض طشقند » .

وآخير ، فان العلماء يلقون عناية من الحكومة ومن الحزب الشيوعى حتى يتمكنوا من مواصلة النشاط والعمل .





مع الموسيقار العالمى مختار أشرفى

ـ الحائز على الجائزة العالميـة « جواهر لال نهرو » عن باليه «تعويذة الحب» وجائزة «جمال عبد الناصر» العالمية ـ ١٩٧٣ ـ عن الباليه المصرى « الصمود »

عندما يقابل المرء انسانا للمرة الاولى ، يتولد لديه انطبـاع خاطف كومضة البرق ، ويكون لهذا الانطباع أثر مباشر فى شكل العلاقة بينهما بعد ذلك .

وهو ما حدث بالضبط ـ عندما دخلت مبنى كونسرفاتوار طشقند ، واجتزت عتبة باب مكتب مختار أشرفى ورايتـه وهو يتقـدم فى منتصف الغرفة وهو باسط يديه مستقبلا ومرحبا . وحتى قبل أن تلتقى كفى بكفه بالتحية ، كان هذا الانطباع قد أحدث فى نفسى أثرا قويا جارفا ، يجذبنى الى هذه الشخصية الحلوة بمعنى الكلمة . ففى الحـال استحضرت ذاكرتى القاءين كان لهما أثر حاسم فى حياتى ، عندما التقيت بالأستاذين العظيمين بيرم التونسى والشيخ زكريـا أحمـد . نفس الصفـاء والوضوح والطيبة والصدق والسمو الانسانى كلها كانت تتمثـل فى شخصيتى بيرم وزكريا . وفجاة وجدتنى أمام مثيـل لهما ، هو الاستاذ مختـار أشرفى . ولا أظنى

قادرا على تسجيل كل مشاعرى فى هذا اللقاء وما أعقبه كما يستحق .

وعندما احتوتنا المقاعد أمام مائدة الاجتماع ، والتفت الى الأستاذ « مختار » انتظارا لأسئلتى ، كاد الارتباك يستولى على . لولا أن تناولت أقرب سؤال فى جدول الموضوعات وهو الخاص برأيه فى الانتاج الموسيقى المصرى وبخاصة وأن له تجربة عملية عندما كان فى زيارته للقاهرة والف « باليه » خصيصا لمصر حصل به على جائزة جمال عبد الناصر الدولية . وقد استرسل بعد طرح سؤالى فى حديث استوعب كل ما كنت قد حضرت من أسئلة .

أولا ، نقول أن الفن العربى هو الفن القديم . فالصلة الثقافية العربية لها الأثر الكبير على باقى الشعوب الأخرى . وفى نفس الوقت فانه استوعب عديدا من الثقافات والفنون الاخرى فى آسيا الوسطى وايران ، كان لها دور فى مدى تأثيره عليها بعد ذلك .

وابتداء من القرن السابع وخلال الفتوحات الكبرى بعد الغزو الاسلامى كان التأثير المتبادل قد بدأ يزداد ، حتى أن العديد من انجازات الثقافة والفن والعلوم فى منطقة آسيا الوسطى عرفت من خلال العرب ، مثل ابن سينا ، لا عن طريق الأوروبيين . فمثل ابن سينا والبيرونى لا يصح ربط ــ نسبتهما الى بلد محدد لانهما كانا للانسانية جمعاء . وكذلك كان الحال فى الموسيقى .

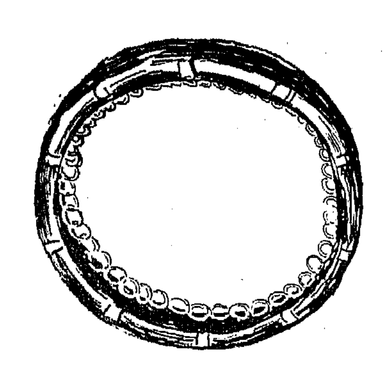
وعندنا يعتبر شاش مقام بخارى . ولكن أسماء هذه المقامات أصلها عربى ومعناها يأتى من العربى . وتوجد فى مصطلحات ــ آسيا الوسطى ــ كثير من المصطلحات اللغوية العربية ، فالتأثير المتبادل قائم بين آسيا الوسطى وبين العرب .

منذ أشهر بعيدة زرت مصر مرتين ، وتجولت مع اصدقائى المصريين . وبمعرفة الصحافة والجهات الرسمية ، وكان لى الشرف أن أكون أول موسيقار يضع باليها مصريا . وقد وجدت هناك تشابها بين الموسيقى فى بلدينا . ولذلك ، عندما يستمع المواطن الأوزبيكى الى اللحن العربى ، ومع المامه وادراكه لمعانى الكلمات ، فانه يستمع اليه كأنه أغنيته هو .

وماذا تقول عن الموسيقى المصرية المعاصرة ؟

أولا ، بعد انتصار الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ أنجز الشعب المصرى الكثير جدا فى مجال الموسيقى .

فعلى مقربة من الأهرام ، وبمبادرة وفكر المرحوم جمال عبد الناصر انشئت مجموعة عظيمة من المدارس والمعاهد الفنية الموسيقية ، مثل فرقة الكونسر فاتوار ومدرسة الباليه العليا والمعهد المسرحى ومعهد السينما ومعهد الموسيقى القومية ، ولو أن الاخير انشىء فى زمن آخر واتحدت كلها فى اكاديمية الفنون وهذا الاهتمام والعناية بالفن الثقافى فى مصر لا يوجد لهما



مثيل فى اى بلد عربى آخر . بل نستطيع القول ، أن بعض بلدان العالم الغربى لا يوجد لديها مثل هذه المؤسسات الفنية المصرية . فعندنا مثلا لا يوجد معهد عال للباليه ، بل يوجد عندنا المعاهد المتوسطة فقط . وبالطبع فان هذه المؤسسات والمعاهد أنشئت حديثا . فمعهد الباليه لم يمض عليه أكثر من ١٥ سنة ومع هذا فقد انجز الكثير . فخلال هذه الفترة أنجز المعهد العالى للباليه ، دون كيشوت ، وجيزيل ، بخشى سراى ، ودون جوان ، وفرانشيسكو داريمنى ، وغيرها . وقد تخرج من هذا المعهد (الباليه) فنانون لهم اسم لامع ، ليس فى مصر فقط ، بل وفى الاتحاد السوفييتى كذلك ، أمثال عبد المنعم كامل وماجده صالح وغيرهما ، كما أنهم معروفون فى طشقند التى سبق أن قدموا بها حفلات وحققوا نجاحا كبيرا ، كما أن من الواجب أن ننظر بعين التقدير والاعتبار الى ما بذلته السيدة عنايات عزمى رئيسة المعهد فى دعم التقارب الثقافى بين مصر والاتحاد السوفييتى ، والذى تحقق بتنظيمها للعمل المشترك بين فنانى بلدينا ، وهو الشىء الذى لمسته بنفسى .

وليس من قبيل الصدفة أن تحصل على الجائزة الدولية « جواهر لال نهرو » وأنى انتهز هذه الفرصة وأرجو أن تنقلوا تحياتى وتهانى وتمنياتى لها بالصحة ومزيد التوفيق .

أما كونسر فاتوار القاهرة ، فهى مؤسسة ــ نسبيا ــ ناشئة ومع ذلك فان خريجيها اشتركوا بنجاح فى عدة مسابقات دولية فى باريس ، وفى موسكو باسم « مسابقة تشايكوفسكى » ولهذا الأمر أهمية كبيرة وهناك كثير من المعاهد المشهورة والكبيرة لا تستطيع أرسال خريجيها الى المسابقات ولهذا يكون هناك أهمية كبيرة لاشتراك المعهد (الكونسر فاتوار) بالقاهرة فى مثل هذه المسابقات بعد أن برهنت على قدرتها ونجاحها العلمى .

ولعدة شهور ، اشتغلت مع أوركسترا القاهرة الهارمونية ، وتقدمت فى تلك الفترة عدة حفلات سيمفونية من مؤلفاتى ومن مؤلفات غيرى من

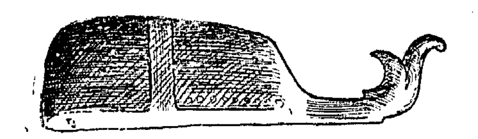
المصريين ، والكلاسيكيين . وبواسطة هذا الاوركسترا حققت وضع موسيقى باليه « دون كيشوت » و « فرانشيشكو داريمنى » و « بخيته » و « الصمود » فى سنة ١٩٧١ ، وقد ادخلت تعديلا عليه بعد ٣٠ يناير ١٩٧٤ وعرض فى قاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة ، وذلك باضافة جزء فى نهايته تسجيلا للحادث التاريخى بالعبور المصرى فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

أنا لا أقول هذا تقويما للأوركسترا السيمفونى المصرى ، فقد عملت معه واعرف امكانياته وقدراته ، وكم كنت سعيدا بهذا العمل نظرا لوجود كفاءات موسيقية مشهورة اتيحت لها الفرص فى دورة التدريب على قيادة الاوركسترا .

وانى الآن اذكر قاعة سيد درويش الرائعة ، واود ان اقول انه لا توجد كثير مثلها فى بعض عواصم العالم . وقد زرت طهران وزرت هناك مسرح الأوبرا المسمى « روداكى » وهناك قاعة كبرى ، ولكن ليست مثل قاعة سيد درويش ، وقل نفس الشىء على الهند ، بالرغم من أن تعداد ايران خمسون مليون نسمة ، فهى ومثلها باكستان او بنجلاديش ليس لدى أحداها مسرح أوبرا ، وكذلك اندونيسيا . ومن البلاد العربية لا توجد فى سوريا ولا لبنان دار للأوبرا . فأوبرا القاهرة التى بلغت من العمر ١٠٠ سنة هى اول دار أوبرا عربية وقد أفتتحت بأوبرا « عايده » التى الفها فردى خصيصا للمناسبة . وكان المفروض الاحتفال عام ١٩٧١ باليوبيل الذهبى لولا حرق المسرح . وقد أصدر الرئيس « أنور السادات » قراره فى اليوم التالى لاعادة بناء مسرح أوبرا جديد ، وانى لمتأكد ان الشعب المصرى يستطيع بناء دار جديدة . وكل ما يدعو للأسف أن من بين ما حرق فى الحادث المخطوط الأصلى لأوبرا عايده الذى ضاع الى الابد ويستحيل استعادة كتابته أو الحصول على بديل له .

لهذا ، فانه ــ ولفترة مؤقته ــ لا يوجد فى مصر مسرح للأوبرا ، ولو أن الحكومة قد قررت اعطاء بديل فى قاعة جامعة القاهرة ، وهو ما يدل على اهتمام الحكومة بالفن .

لقد كان لدى مصر متخصصون فى مسرح الاوبرا بالقاهرة درسوا فى فى معاهد فى الخارج ، مثل أبو بكر خيرت وعزيز شوان وحسن رشيد الذى درس فى ايطاليا ومنذ ثمانى سنوات تقريبا الف انطونيو وكليوباترا ثم توفى ، وقد عزفت مقدمة هذه الاوبرا بمعرفتى وقيادتى (مختار أشرفى) وقد احضرت معى هذه المقدمة الافتتاحية فى برنامج الفيلها رمونية الأوزبيكية وسوف تعزف فى أكتوبر ١٩٧٤ مع مؤلفات أخرى لموسيقيين مصريين معاصرين . وهذه الاوبرا مؤلفة تاليفا جيدا ولكنها تحمل لونا من الاسلوب الايطالى . وللاسف حتى اليوم لا توجد امكانية هذه الاوبرا



فى مصر ، مع انه يوجد مغنو أوبرا من خريجى معهد القاهـرة القـادرين على اداء التعبير الصالح والمناسب ، وأذكر من بينهم ، من ذوى الصوت البريتونى « جابر البلتاجى » وكان من الممكن الافتخار به فى أى مسرح أوبـرا . وهناك السيدة الشرقاوية ذات الصوت السوبرانو وغيرهما ، وللأسف لا توجد لديهم فرصة عرض قدراتهم الفنية العظيمة فى مسرح الأوبـرا . مـع وجود مثل هؤلاء المشاهير الفنانين كان من الممكن تحقيق تقدم أكثر فى فن مسرح الاوبرا . ومن وجهة نظرى ، أرجو أن تسمح لى بعرض بعض النواقص .

أرى أن من اخطر النواقص عدم وجود توحيد للفرق والادارات . أن أى مسرح أوبرا فى العالم يتكون من أوركسترا ومـن كورال ومن مجموعة مغنين أفراد وراقصى باليه ومستخدمين . وهذا يكون وحدة واحدة . أما فى القاهرة فكل هذه العناصر موجودة ولكنها موزعة ومتفرقة .

أوركسترا الفيلهارمونى فى وزارة الثقافـة لها ادارة خـاصة ، ولكن مغنى الاوبرا الفرديين لديهم الكونسر فاتوار . وفرقة الباليه لديهـا المعهد العالى للباليـه . وأصحـاب الديكور والمستخـدمون والملابس والخدمات لديهم المعهد العالى للباليه . وبدون جمعهم فى مركز واحـد لا يمكن ايجاد الباليه ، وهو رأيى الشخصى الذى بنيته على الخبرة الطويلة .

هؤلاء المسئولون لديهم خبرة وتجارب وتدريب عملى كثير ولكن بدون اتحادهم لا يمكن الوصول الى أى نجاح فى مسرح الاوبرا .

وأنى اقدر بشكل كبير فن الفولكلور ، وفى القاهرة توجد هيئة لذلك ، ومع أن هؤلاء المتخصصين متواضعون فأنهم يقومون بأعمـال جبـارة حيث يقومون بجمع الفن الشعبى الثمين المنتشر بين أفراد الشعب ، وهذا واحد من أفضال ثورة يوليو ١٩٥٢ . فعندما يضع الشعب يـده على حضارته وثقافته يصبح قادرا على تحقيق الانجازات العظيمة ، وهى ظاهرة رائعة .

كما أن هناك مجموعة من المؤلفين الموسيقيين ذوى مهارة من مستوى عال . وفى رأيى انهم فى نشاطهم يقومون بالتوزيع الموسيقى ، ودون أن أقدر على ذكـر الاسمـاء الان ، ففى السنوات الخمس عشرة الاخيرة تطور الفن الموسيقى الخفيف تطورا ملحوظا .

وهناك الفرق الموسيقية الرائعة ذات الاسلوب المحلى الخاص الذى لا يشبه الاسلوب الاوروبى ، وهذا شىء ثمين حقا لأن هذه الفرق فى أساليبها لا تتبع الاساليب القومية التقليدية . وهذه الفـرق عادة تـدور حول مغن أو مغنية .

(والتفت الاستاذ « اشرفي » ليلقي بدعاية عابرة ، حول أن هذه المعلومات تصلح لان تكون محاضرة بالقسم الشرقي هناك في طشقند ، ثم تابع بعد ذلك) .

ولو أن هناك بعض الفرق التي تعزف الالحان الحديثة ولكن بعد مزجها بذوق اللحن القومي الشعبي .

ومن خلال وجودي في مصر ، تأكدت شخصيا من العناية الكبيرة التي تبديها وزارة الثقافة للموسيقى ، وأستطيع القول أنه في أقرب وقت سوف يحتل الفن الموسيقي بالقاهرة مكانا مرموقا في العالم .

وبعد أن انتهى الاستاذ « مختار اشرفي » من حديثه ، أخذت أتهيأ للانصراف ، حينما دعاني لأن أدون كلمة في مجلد الكونسر فاتوار ، وما كدت انتهي من ذلك حتى أخذني من يدي وهو يقول لنا — مع بوريس وناريمان — أنه كان يود لو دعانا لتناول الغداء معه لولا أن زوجته متغيبة وانه يرجىء الدعوة لفرصة قريبة ، والى ذلك الحين ، فلنتناول « عيش وملح » هنا . وخرجنا الى الشارع حيث يوجد على الجانب المواجه لمبنى الكونسر فاتوار مطعم وبوفيه من الطراز الحديث وهناك وجدت مائدة لستة أشخاص على جانب من الصالة وقد امتلأت بالأكل والشراب والفواكه . وقال لي الاستاذ « أشرفي » هذا المطعم اسمه « لذة » .

ولاحظت أن معنا على المائدة آخرين ، عرفت بعد ذلك أن من بينهم « أحمد عمر يلوف » وكيل الكونسر فاتوار ، وهو في نفس الوقت عازف على « الشانج » وهي آلة مثل القانون ولكن يتم العزف عليها بالطرق .

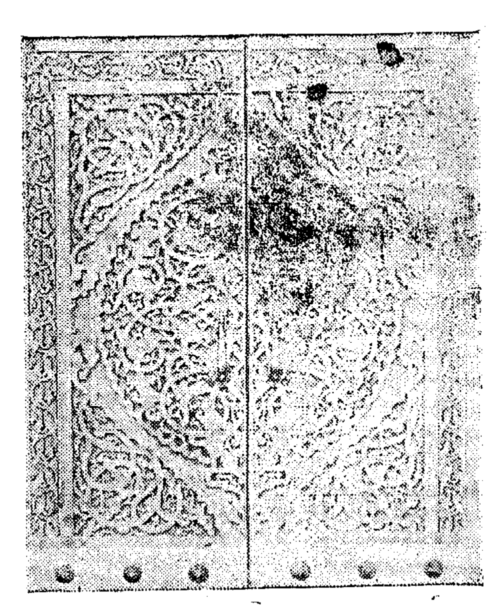
والثاني « صعبي زكيروف » وهو عميد كلية العازفين ومن أمهر عازفي البيانو .

وعندما بدأت الوليمة ، أمسك كل واحد بكأسه لشرب أول نخب . وأذكر أنه كان « في صحة العلاقات الثقافية بين بلدينا » فتناولت كوبا وملأتها من زجاجة المياه المعدنية وكذلك فعل الاستاذ « أشرفي » . وبذل الجميع محاولات عدة لكي اشرب من أجود خمورهم فاعتذرت لاني حريص على أن تظل العلاقات بيني وبين أمعائي علاقات سلمية ، ونظرا لاصراري فانهم وافقوا على مضض ، وكذلك فعل الاستاذ « أشرفي » نظرا لانه مريض بالقلب ومحظور عليه شراب أي نوع من الخمور مهما كانت خفيفة الاثر . وانتهز مضيفي فرصة توقف الحديث والانشغال في الاكل فروى لي ما حدث في أيام الخلافة في بغداد عندما ضبط أحد السكارى وحبسوه . فانه بعد أن افاق من السكر ، أبدى تعجبه من معاقبته على تناول الخمر بينما القاضي يسمح بالشراب في مجلسه كما يشرب هو أيضا . فجاء الجواب من احد العقلاء في هذه الجملة :

نفذ أوامر القاضي ولا تفعل مثله .

وانه — الاستاذ أشرفي — يأخذ بهذه المقولة ، فالطبيب نهاه عن شراب الخمر رغم أنه يشربها .

فى متحف الفنون التشكيلية الشعبية



— باب خشبى بالزخرفة البارزة
الفنان « أ. جايداروف »

هو قصر كبير كان يملكه السفير الروسى « بولوتسوف » . ثم وهبه لغرض اقامة متحف للفن الشعبى . وما تكاد تجتاز البوابة الكبيرة المصنوعة من الحديد المشغول ، حتى تجد حديقة بديعة التنسيق فى نهايتها سلاملك رخامى لبناء قديم الطراز يعلن عن عراقة معمارية من الاسلوب العربى المفعم بالزخارف والنقوش بمادة الفسيفساء والموزاييك المجمل بالالوان والاعمدة الخشبية المشغولة بالزخارف المحفورة ، واينما تلفت تلتقى عيناك بالاشكال الزخرفية البديعة حتى السقف الخشبى . والشىء الملفت للنظر فى هذه الزخارف أن وحداتها تتغير فى تكوينها الواحدة عن الاخرى بالرغم من أن التكوين العام لها يجعلها متوازنة وتكاد أن تتماثل مع بعضها . فحائط الواجهة — حيث نافذة من الحديد المشغول بالرسوم والاشكال — نرى على يمين النافذة وعن شمالها وحدات متساوية فى المساحة ، ولكنها معالجة فى كل منها بطريقة مختلفة غير متكررة مما يكسبها غنى أكثر .

ومن السلاملك دخلت الى قاعة واسعة للضيوف الزائرين ، وهى من طراز عربى منتشر فى « فرغانة » ويستخدم فى زخارفها رفوف داخل الحوائط مصنوعة من « الجوانش » وهو نوع من الجبس . وفى هذه القاعة ما يصل الى ۲۰۰۰ وحدة زخرفية مختلفة عن بعضها ، وفيها أيضا محراب جميل النقش وللقاعة بابان ، على اسم « دنيا مثال » أى تشبها بالدنيا . باب للميلاد وباب للموت ، أو الدخول والخروج .

والقاعة التالية كانت مخصصة لتعريف الزوار بالفنانين الذين سبقوا —

فى الماضى القريب — ووضعوا الاسس والتقاليد الفنية القومية ونماذج من انتاجهم الذى تخصصوا فيه . وما يجدر الاشارة اليه ، هو أنه فى القاعة نفسها أربع لوحات لاربع شخصيات من الفنانين الاساتذة فى هذا المضمار الفنى الشعبى ، رسمها نفس الفنانين لبعضهم البعض . اثنان من هؤلاء الاساتذة متخصصان فى تشغيل الجبس ومن رواده الجدد « شيرين مرادوف » و « تاشيولات أرسلان كولوف » وبالمناسبة اسم « أرسلان » معناه بالعربية « أسد » ، واثنان احدهما حفار لزخرفة الخشب وحفره هو « عطايا لفانوف » والرابع متخصص فى تكوين الخشب بالزخارف التى تشبه المنمنمات الدقيقة هو « تاج تاها تجايف » .

ومررنا بعد ذلك بقاعة السيراميك القديم ، وهو مصدر غنى للدراسات الفنية المختلفة من جوانب متعددة ، فمنها يمكن التعرف على كثير من المعرفة التاريخية ، ومنها تستكشف العلاقات الثقافية مع مختلف الحضارات المعاصرة لها ، كما تعرف عن طريقها النقط المشتركة بين الذوق القومى وسائر الاذواق الفنية للشعوب التى تعاملت معها والتأثير المتبادل بينها ، هذا الى جانب الطرق المهيئة والتكنيكيه التى استعملت لانتاجها ، ويدخل فى هذا الباب الجانب الكيميائى واستخدام المواد الدابغة فى حرق الطين . وفى هذه القاعة تعرض انواع من الاطباق البديعة التصميم والتكوين ومن مجرد تتبع الاماكن التى اكتشفت بها والازمنة التى صنعت فيها ، يستطيع المرء معرفة خطوات التطور الذى سارت فيها هذه البلاد مع الزمن .

فالاطباق المبططه التى من منطقة « لاجان » والاخرى العميقة من منطقة « باديا » تعطى للمشاهد مؤشرا واضحا فى هذه الناحية . أما أطباق بخارى فان الوانها المتعددة والأكثر اشراقا تشير الى مدى التطور الذى تحقق فى هذه المدينة فى تلك الفترة من الزمن ، وكذلك العمل الذى يسمى « شخرى سابز » — ومعناها المدينة الخضراء — يؤكد كيف وصلت بخارى الى درجة كبيرة من التطور .

أما السيراميك الذى وجد فى « سمرقند » فيؤكد أنه أقدمها عمرا ومن اشهر المتخصصين فى السيراميك الحديث الآن هو الاستاذ « ريحموف »

ومررت فى قاعات عديدة زينت حوائطها بانواع من السجاد البديع فى تصميمه والوانه ، ويعتبر هذاالنوع من الانتاج الشعبى فى الاتحاد السوفيتى من التراث الفنى الذى لا يسمح باخراجه من البلاد ، وهو صناعة يدوية . والى جانب هذه السجاجيد الرائعة نوع من الانتاج القومى من النسيج اليدوى والمطرز يدوياوتمتاز به هذهالبلاد ، وهى الشيلان (جمع شال) بألوان زاهية متعددة الأذواق وان كانت كلها تشترك فى طابع واحد قومى . وفى قاعة اخرى تعرض داخل فاترينات مجموعة بديعة من الطواقى التى تشتهر بها



تمثال منحوت من الخشب
تشتهر المنطقة باستخـدام
الخشب المنحوت والمزخرف
فى إقامة الأعمـدة الطويلة
فى المبـانى وفى السقوف

أوزبيكستان . وهى مربعة تماما وتملؤها الزخارف الملونة وكلها صناعة يدوية ولهذا تكون قيمتها أعلى . وكانت آخـر قاعـة بالـدور الأرضى تحتوى على فاترينات بها تماثيل صغيرة أثرية مصنوعـة من الجبس والطين وجـد من بينها تمثال « نصر الدين خوجة » الذى اشتهر فى بلادنا باسم جحا .

وفى الدور العلوى وجدت قاعـة كبيرة للآلات الموسيقيـة المختلفة واكثرها عددا هو « البزق » الى جانب أنواع مـن آلـة « القـانون » وهو شبيه « بالعود » ، وآلات النفخ أهمها « الناى » و « الدفوف » .

والى جانب هذا توجد مجموعة من القفاطين التى كـان يلبسها الاغنياء والحكام وكلها مشغولة بالقصب والذهب والجواهـر المختلفـة والسيوف الثمينة المرصعة بالجواهر .

وهبطنا بعد انتهاء الجولة ، وكان الجو شديد الحرارة . وفى الحديقة ، وتحت شجرة « أم الشعور » كانت عدة مقاعد بسيطة ومريحة فى انتظارنا ، وهنـاك تعرفت بمديـرة المتحف الرفيقـة « سـالمة محمود و فنـا عبـد الرزاقوا » وقد أخذت منها بعض المعلومات عن هذا المتحف .

ففى الذكرى العاشرة لتأسيس جمهوريـة أوزبيكستـان ، أى سنة ١٩٣٧ تم تنظيم واقامة معرض للاعمال الفنيـة الشعبيـة ، ثم رئى انشاء متحف للفنون التشكيلية ، واعتبار هذه المعروضات نواة للبداية . ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا المتحف مخصصا للانتاج الشعبى وحده .

سألتنى السيدة « سالمة » عن الفنون الشعبية المثيلة عندنا وهل لها متحف خاص ؟ وقد بدا عليها الجزع عندما قلت له أن مثل هذا المتحف غير موجود عندنا ، ولم يستمر هذا الجـزع طويلا ، بعـد أن عـرفت أن لدينا انواعا من الفنون التشكيلية الشعبية موزعـة بين متحف الفـن الاسلامى ومتحف الفن القبطى وبعض المراكز المتخصصة ، وزال جزعها ليحل نوع من التعبير عن رغبة علمية أصيلة وقـالت ، أرجو أن يجمعهـا قـريبا متحف



شنجيز أحمروف يستعرض رسومه

واحد ، فالشعب الذى أنتج الفن القبطى هو أيضا الذى أنتج الفن الاسلامى وهو الذى سيظل ينتج ، وتجميع هـذه الفنون فى موضع واحد يزيـد من قيمتها لأنه يعلن عن ثراء شعبكم المتواصل وقدرته على التعبير المبدع عن ذاته .

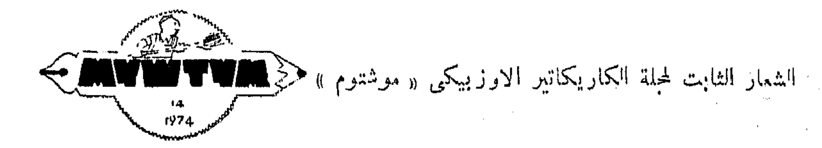
وقد بدا عليها الاهتمام الشديد عندمـا وصفت لهـا بعض ما يضمه المتحف الاسلامى من الانتاج الفخارى لفوهات أوانى شرب المـاء « القلل » وهى عبارة عن دائرة باتساع حلق الاناء « القلة » وبها ثقوب تسمح بمـرور الماء منها وتتحكم فى تدفقه . وفى المتحف مجموعة من هذا السدادات تصـل الى المئات ، وكل واحدة منها مزخرفة بشكـل مختلف عن غيرهـا ، وكلها زخارف بديعة التصميم تدل على موهبة زخرفية أصيلة .

وقد لاحظت أن الحرارة الشديدة التى كنت أعانى منها منذ قليل قد خفت وأصبح الجو أكثـر احتمـالا ، ولعـل السبب فى هـذا هو الشجرة الكبيرة التى تظللنا والمياه التى تنساب حـولنا من أعمـدة رخـامية تصب فى أحواض صغيرة فى قمة عامود وتنساب منها الى أحواض الزهور والورود .

وعلى الباب الخارجى ودعتنا السيدة « سالـة » وهى توصينى بابلاغ سلامها الى الذين التقت بهم عند زيارتهم للاتحـاد السوفييتى وصممت على أن ادون أسماءهم حتى لا أنسى ، وظلت تـكرر هـذه الاسمـاء ونحن نأخذ طريقنا مبتعدين :

رسام شعب أوزبكستان / شنخيز أخمروف

من أبرز خبراء الرسم فى أوزبكستان – ولد سنة ١٩١٢ – وهو يعمل فى أوزبكستان منذ ١٩٢٧ – بدأ إنتاجه الفنى باشتراكه فى معارض الفنون فى سمرقند وطشقند ومن خلال عمله فى عدة دور للنشر . تعلم فى موسكو فى الفترة من ٣٥ – ١٩٤٢ بمعهد الفنون بموسكو (معهد سوريكوف) . حصل على الدبلوم ثم واصل دراسته العليا وفى عام ١٩٤٩ حصل على الدكتوراه فى الفنون . حصل على الجائزة الأولى للإتحاد السوفيتى بعد أن قام برسم اللوحات الحائطية بمسرح الأوبرا والباليه بطشقند وهو متخصص فى رسم الشخصيات portrait . وقد قام برسم عديد من اللوحات الحائطية المشهورة المعروفة فى عديد من المدن السوفيتية والتى تستخدم فى تزيين عديد من المبانى العامة، الفنادق والمسارح وأنفاق المترو بموسكو . رسم لوحتان عن حياة الشاعر الشرقى المعروف ألبشير ناڤولى . وهو الآن رئيس قسم الرسم بمعهد طشقند البوليتكنيكى ، ويرأس قسم اللوحات الحائطية بمعهد الفنون المسرحية بطشقند .



الشعار الثابت لمجلة الكاريكاتير الاوزبيكى « موشتوم »

ـ دى ماماتى انا بس .

ـ دى ماماتك انت .

مواضيع النقد الاجتماعى تحتل مكاناً بارزاً فى الكاريكاتير الاوزبيكى ، وفى كثير من الأفكار تعبير فلسفى للحياة . وفى هذا الرسم تعبير عن وضع الأم . . حيث يتصارع الأطفال عليها وهم صغار . . وعندما يكبرون تنعكس الآية

فى مجلة الكاريكاتيرموشتوم

كنت متحمسا لمقابلة الزملاء فى مجال الكاريكاتير ، لهـذا تعمـدت أن نذهب قبل موعدنا بساعة تقريبا . وأمام المبنى الـذى يضم وزارة الثقافـة توجد عدة محال تجارية صغيرة فأخذنا نتفرج على معروضاتهـا ــ كنوع من اضاعة الوقت حتى يحين الموعد ــ ولكن الداء غلاب ، ففى أحـدى المكتبات الشعبية لم أستطع مقاومة الاغـراء بشراء مجموعتين اللفنـانين الشعبيين وتاريخ حياتهم ، وكذلك مجلـد بالالوان النافـرة عن آثـار « خيوا » . وفى الموعد المحدد كنا نصعـد الـدرج الى الـدور العلوى حيث وجدنـا اثنين فى انتظارنا أمام أحد الأبواب . وعلى مائدة اجتمـاع حافلة بالفاكهـة وزجاجات المياه المعدنية تعرفت بالفنانين الحاضرين .

« ابـراهيم رحيموف » رئيس التحرير ، و « خـاليقوف » الرسام الأول و « شاكروف » رئيس قسم الرسم ، و « قونسكـار بيلوف » نائب المحرر ، و « عبـاس محيى الدينوف » رئيس قسم الحكايـات النقدية ، و

« قطب خان نصيروا » عضو هيئـة التحرير ، و « ظاخيدجـان عبيدوف » الشاعر عضو هيئة التحرير .

وكان استقبالهم طيبا « لزميل فى الفن » على حد تعبيرهم . ثم بعدها عرفت قصة المجلة وهى كما حكاها لى الفنانون .

بدأت تصدر منذ ٥١ سنة ـ أى قبل اعلان الجمهورية بسنة ـ وتعتبر



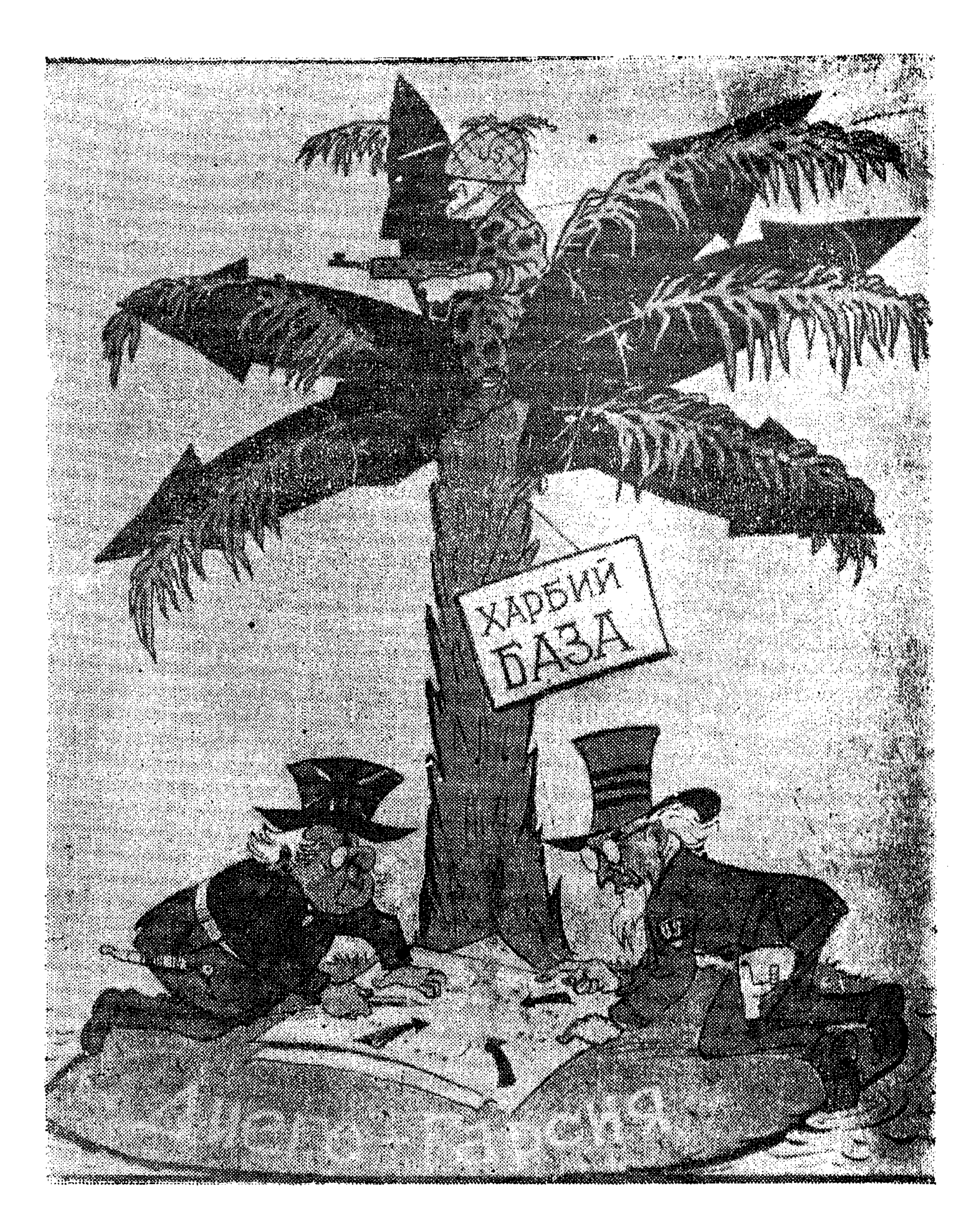
رئيس قسم الرسـم بالمجلة
ملامح تسيل لعاب ريشة الكاريكاتير

من أقدم المجلات فى الاتحاد السوفييتى ، كما أنها المجلة الثانيـة للكاريكاتير بعد « الكروكوديل » ـ وقد حـازت « موشتوم » على شهـادة الشرف من المجلس الاعلى للجمهورية فى السنة الماضية بمناسبة مرور خمسين سنـة على اصدارها ، وكوفىء أكثر العاملين بالمجلـة فى نفس المناسبـة بلقب « خادم الثقافة » .

كانت تصدر فى أول الأمر ـ ملحقا للجريدة المحلية « قزل أوزبيكستان » ـ وقزل يعنى أحمر ـ ثم بعد ذلك استقلت بـذاتها ، وهى تصـدر نصف شهرية وتطبع كل شهر ٦٠٠ الف نسخة .

ليس فى المجلة أكثـر من ١٨ موظفـا ، مـن بينهم ١٢ بارتباط كامل ومباشر ، ومن بينهم من خرج من صفوف العمال والفلاحين والمثقفين بالاضافة الى أن للمجلة مراسلين فى الأرياف .

وقد اشترك فى تأسيس « موشتوم » عدد من الكلاسيكيين المشاهير مثل



عن الموقف فى قبرص

« حمزة حكيم زاده نيـازى » و « عبـد الله قـادرى » و « غـازى يونس » وغيرهم . كما أن أبرز الشعراء والكتاب الأوزبيكيين يساهمون فى تحريرها ، ومنهم غفور غلام ـ وهو شاعر شعبى معاصر .

وسألت عن اسم المجلة « موشتوم » ، فالمعتاد فى اختيار اسماء المجلات الكاريكاتيرية فى مختلف انحاء العالم ومنذ ظهورها ، أن كل اسم يحمل معنى معينا . وكانت الاجابة ، أن هذا الاسم معناه « القبضة » قبضة اليد طبعا .

وعن ظاهرة استخدام الشعر فى مجلات الكاريكاتير ، فالشعر المرح ، والناقد باللغة العامية (الزجل) يجد مجالا صالحا له فى حيز صحافة الكاريكاتير . وذلك أن الارتباط بين الكاريكاتير والزجل موجود فى الهدف المشترك وفى أسلوب التعبير . وهدف الاثنين هو نقد الظواهر الاجتماعية التى تناقض التطور الذى يعمل الجميع من أجله ، والتعبير عن هذا النقد بأساليب السخرية والمزاح اللذين يحرصان على التغيير الموضوعى ويعبئان الرأى العام فى طريقه .

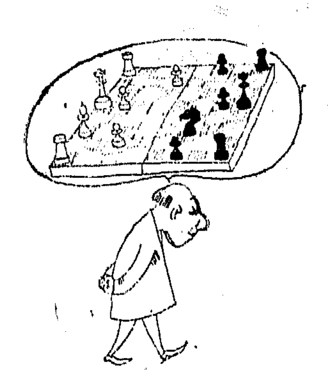
وتناولت فى ختام هذا اللقاء موضوع مكتبة الكاريكاتير ، وقد أظهروا اهتماما شديدا عندما ذكرت لهم أن نقابة الصحفيين بالقاهرة قد اخذت قرارا بانشاء هذه المكتبة بها ، وقد اقترحوا على أن أسعى لاقامة اى شكل ممكن من اشكال التعاون وتبادل الخبرة الفنية بين بلدينا .

وعندما تهيأنا للانصراف ، قدم الى رئيس التحرير هدية تذكارية لهذه الزيارة ، وهى طاقية وطنية مزركشة مع بضع أعداد من مجلتهم موشتوم .

وعندما أصبحنا خارج المبنى ، وقبل أن نبتعد ، كان وراءنا صياح فتوقفنا لنرى فتاة من المجلة تجرى نحونا وهى تقدم صحبة من الزهور الجميلة . ويعتبر أهداء الزهور رمزا للتقدير والمودة .

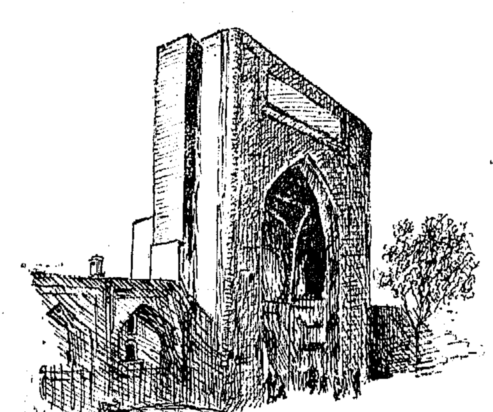






بدون تعليق

مع فضيلة الشيخ اسماعيل مخدوم



واجهة من الطراز الاسلامى الأوزبيكى ، عالية الارتفاع عريضة المساحة تتوسطها بوابة ضخمة ، هناك كان موعدنا مع رجال الدين الاسلامى فى المنطقة .

وكان يقف على الباب بضع اشخاص بالملابس الأفرنكية وبالملابس التى تميز رجال الدين المسلمين ، واستقبلونا بعد التحية بالترحيب المعهود ثم دخلنا الى قاعة مليئة بدواليب حفظ الكتب حيث تغطى ثلاثة أرباع القاعة . وهناك التقيت بفضيلة الشيخ « اسماعيل مخدوم ساتيوف » نائب المفتى .

هذا المكان هو الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان وهذه الادارة هى التى تشرف على شئون المسلمين فى خمس من جمهوريات الاتحاد السوفييتى وهى :

تركمانيا واوزبيكستان وقيرغيزنا وكازاخستان وطاجستان . منها ثلاث جمهوريات تحتفل هذا العام بعيد تأسيسها الخمسينى .

وتأملت ملامح فضيلته مليا ، فوجدت الشبه العجيب بينه وبين بعض رجال الدين الذين عرفتهم . نفس الهدوء والامتلاء بالرضى الارادى مع تقدير بثقل المسئولية التى تراها مرتسمة على وجوه كل من يباشرون رعاية وخدمة الناس والسعى فى مصالحهم ، وكنت بين حين وآخر أجرى بالقلم على دفتر الرسم الصغير الذى احمله ، بينما يواصل فضيلته الحديث .

قبل الثورة كانت هذه المنطقة كلها ــ التى تعرف باسم آسيا الوسطى ــ مستعمرة قيصرية بكامل المعنى ، اذ كان القيصر ومن يستعملهم فى حكم البلاد ينظرون الى هذه المنطقة على أنها ملك خالص للقيصر بغير شريك . ولم تكن القيصرية تبدى ادنى اهتمام برفع رفاهية هذه الشعوب بغير استثناء .



المفتى «ضياء الدين باباخانوف» رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوســطى وكازاخستان

وكانت اربع من هذه الجمهوريات تتكلم باللهجة التركية ، ولها تاريخ عريق وعتيد فى سجل الحضارة الانسانية كما هو معروف .

اما كيف جاء الاسلام هنا ، ففى سنــة ٣٤ هجريــة (٦٥٥ م) وفى عهد عثمان ، كان أول دخول الاسلام فى تركمانيا . ثم اخذت مبادئه تتسع تدريجيا أيام كان سعيد بن عثمان حــاكما على خــراسان (٥٢ هـ ــ ٦٧٣ م) أى بعد ثمانى عشرة سنة ، وبعدها بدأ انتشاره يزداد سرعة منذ عهد قتيبة بن مسلم (٦١ هـ ــ ٧٢١ م) الى أن وصل حتى حدود الصين .

واتسعت الابتسامة على وجه فضيلة الشيخ عندما تساءلت عن أثر هذه الادارة فى الرقعة العريضة الهائلــة التى تشمــل كل الاتحــاد السوفييتى . ولبثت هذه الابتسامة الطيبة بضع لحظات قبل أن يجيب .

أن المسلمين اربع أدارات لشئونهم موزعة فى انحاء الاتحاد السوفييتى ، وهذه الادارة احداها .

وتطرق الحديث ــ وكان لا بد أن يتطــرق ــ الى العلاقــة بين طوائف المسلمين وبين نظام الحكم السوفييتى ، فقال فضيلته .



— فضيلة الشيخ « اسماعيل مخدوم ســـــاتيوف » نائب المفتى

أن دستور النظام السوفييتى منـــذ وضـــع حتى الآن لم يتغير فى هذه المسألة . وهو يقضى بفصل الدين عن الحكم ، وترك لأصحابه حرية التصرف الكاملـــة فى شئونـــه ويصرفون أحوالهم كيف يشاءون — ولهـــذا فـــالمسلمون يؤسســون ادارتهم الدينية بالانتخاب ، وتوجد الآن للادارات الأربع أجهزة منتدبة من بين مندوبى المسلمين . وهذه الادارة تضم عشرة أعضاء منتخبين لمدة خمس سنوات ، ومن بينهم رئيس منتخب هو فضيلة المفتى « ضياء الدين باباخوف » ويعاونه فى ادارة النشاط نائب ومساعد وبـــاقى الأعضاء الذين يتحمل كل واحد منهم مهمة محددة ، فى مساحة الجمهوريات الخمس .

هذا هو المستوى المركزى للادارة .

ويوجد فى آسيا الوسطى نحو مائتى مسجد وجامع كبير ، وكل واحد منها يعتبر مركزا لجمعية دينية فى دائرتها ، يتم انتخـــاب أعضائهـــا مباشرة

من قبل جماهير المسلمين وبواسطتها تشرف الادارة الدينية على الحركة الاسلامية .

وتتألف ميزانيات الادارة الدينية ومراكزها من تبرعات المسلمين ، بنفس الاسلوب الذى جرى عليه قديما بالتعاون بين المسلمين هنا ، والذى مازال معمولا به حتى الان حيث يتبرعون من حين لاخر بالاموال لخزينة الادارة الدينية المركزية أو للمساجد . واذا احتاج المسلمون الى مواد البناء ، فالحكومة تبيع لهم ما يحتاجون منها .

وهذه المراكز يقوم بينها تعاون وثيق وتضامن فى أمور الدين ويتم اختيار الائمة والخطباء لهذه المراكز بطريقة ذاتية فى كل دائرة .

كما أن هذه المراكز تتولى اعداد موظفى مدارسها فى بخارى ، كما أن فى طشقند مدرسة عليا تخرج منها الكثيرون الذين يعملون الآن فى الخدمة كأئمة وخطباء فى المساجد .

ويدخل فى اختصاص الادارة الدينية والمراكز تنظيم الاحتفالات بالمواسم الدينية وشئون الاحوال الشخصية من نكاح وطلاق وميراث وصلوات جماعية وكذلك الاعياد والجمعة ، ويسير هذا النشاط على نظام واضح تماما .

أما حرية الدين والعقيدة ، فمنصوص عليها فى القانون الاساسى للحكومة ، الذى يضمن — بكل دقة — المساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن عقائدهم .

ويتضمن نشاط الادارة الدينية اصدار نشرات دورية ودروسا دينية بانتظام . وقد طبع القرآن ثلاث مرات فى ١٩٥٧ وفى ١٩٦١ وفى ١٩٧١ ووزعته الادارة بين المسلمين فى مختلف المراكز الدينية .

والادارة تصدر مجلة هى « المسلمون فى الشرق السوفييتى » باعتبارها لسان حال المسلمين ، وهى تعكس صورة من واقع حياتهم الراهنة . ويرأس تحريرها الاستاذ « عبد الغنى عبد الله » وهو خريج الجامع الازهر بالقاهرة . والمجلة تطبع بأربع لغات هى الاوزبيكية بالحروف العربية والعربية والانجليزية والفرنسية .

وفى موسم الحج تتولى الادارة الدينية المعاونة فى الاجراءات الرسمية المطلوبة وكافة التجهيزات حتى يتم السفر .

واستطرد فضيلته الى جوانب أخرى فى نشاط الادارة الدينية بقوله أن الادارة تساهم فى الشئون الاجتماعية مثل توطيد أواصر الصداقة مع البلدان الاسلامية وتباشر فى المؤتمرات المختلفة دعم السلام وتوثيق العلاقات الطيبة مع المسلمين وغير المسلمين ، مثل تبادل الزيارات والوسائل والافكار .



— المسلمون فى احتفال بالعيد أقيم فى الإدارة الدينية

ونتيجة لهـذا المنهج توسعت العلاقـات بينهم وبين كـل بلاد العالم وبخاصة حيث يوجد بها مسلمون وتستقبل المنطقة كـل عام وفودا عديدة وتوجه الادارة الدينية الدعوات وتجيب كذلك على ما يصل منها من البلاد الاسلامية . وقد تم اقامة ثلاثة مؤتمرات اسلامية فى طشقند .

وتابع فضيلته الحديث عن الخطوة المقبلة .

الآن نستعد للقيام بالاحتفال بمرور ١٢٠٠ سنة على مولد « البخارى » وقد وجهنا الدعوة الى ما يقرب من خمسين بلدا من البلاد الاسلامية ، كما سيشترك فى الاحتفال أكثر من مائتين من علماء الاتحاد السوفييتى .

اظن فى هذا ما يكفى للتأكد من أننا نمارس فعلا حرية العقيدة والنشاط الواسع .

وسألت عن رأيه فى المسألة التى تثار بين حين وآخر عن رأى الاسلام فى الرسم والنحت ، وكأن هذا الموضوع كان محـل تفكيره منـذ لحظات ، لانه اجاب على الفور :

كان ذلك فى ظروف بداية ظهور الاسلام ، خشية من خطر الارتداد الى عبادة الاوثان التى كان العرب لا يزالون يعيشون فى جوها بحكم العادة على اقـل تقديـر . ولكن ، ما دام هـذا الخطـر قـد زال الى الابد فلا داعى للاستمرار .

لقد شاهدت عددا من المتاحف المسيحيـة والكنـائس ورأيت فيها رسوما بديعة عن المسيحيين القدماء ، وشاهدت كيف تقدم هـذه الاعمـال الفنية الرائعة خدمات عالية للبشرية وللمثل العليا يعجـز القلم عن أدائها بنفس التأثير ، وبخاصة بين الذين لا يعرفون القـراءة والكتابـة فضلا عن



— صلاة « الغائب » ويطلقون عليها اسم « أمهـــازة بيرام »
وفيه تكرم ذكرى الراحلين بأداء صلاة الجمعة فى المسجد ويرتبط
بمناسبات احتفالات الزفاف عادة فى مدينـــة « أنديجان »

الذين لا يعرفون اللغة المدونة . ولعلى أكون معبرا أكثـــر اذا أشرت الى ما تضـمنه كتاب الاستـــاذ على عثمـــان حـــول دور الفنون فى كتابـــه « الـــدين الاسلامى والتطور » فقد قرأت فيه احاطة تامة بالموضوع .

وبينما كنا نغادر الحجرة ، قال فضيلة الشيخ لقد تسلمت أعدادا وصلت الى من مجلة « روز اليوسف » وهى التى نشرت بها عدة مقالات للشيخ « الفحام » شيخ الاسلام المصرى عند زيارته لطشقنـــد فى سبتمبر ١٩٧١ .

وأمام المدخل الـكبير أشـــار البعض الى مبنى يواجهنـــا حيث توجد مكتبة اسلامية هامة وهى ملحقة بجامع أثرى أقيم سنـــة ١٥٣٢ بناه أمير طشقند وقتها « براق خان » ثم تغير اسمه الى « نوروز أحمد خان » بعد ذلك . كما أن الامير « براق » هذا بنى سنة ١٥٤٢ ضريحا على قبر الامام « أبى بكر القفال » وهو عالم كبير من علمـــاء الشـــافعيـــة توفى (٩٥٠ م — ٣٦٥ هـ) .

وذهبنا الى هناك .

ورأيت — بعد اجتياز البوابـــة الكبيرة وسط سور مرتفـــع — أرضا واسعة اقيم فيها الجامـــع الكبير وامامـــه بناء آخـــر أصغر يضم « مكتبة



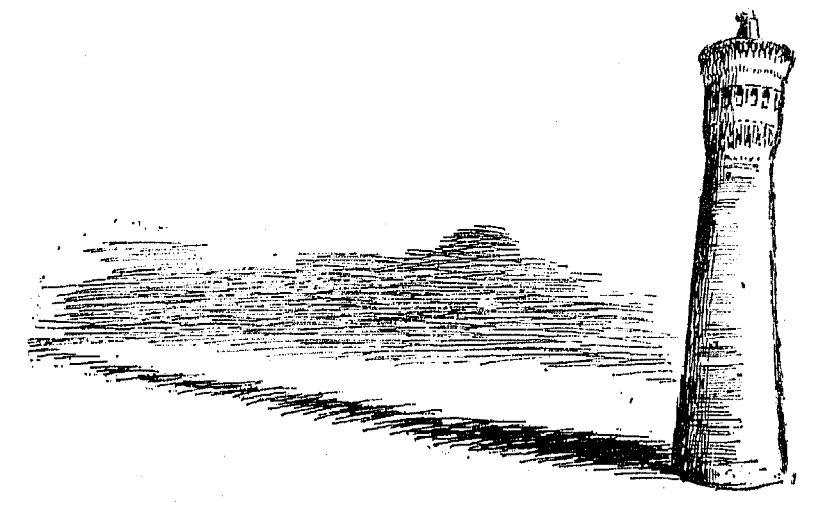
— مدير مكتبة الإدارة الدينية في طشقند « تورات يوتوسوف » يفحص مع أحد المسلمين نسخة « المصحف العثماني » المشهور

الجامع » وبعد خطوات داخل هذا المبنى الصغير ، أحسست كأنى انتقل الى الماضى ، فكل شىء يوحى بالقدم ، من سجاد الأرض الى نقوش السقف الخشبى مرورا بما بينهما من دواليب ومقاعد ومناضد . ودخلت قاعة كبيرة تغطى جميع جدرانها بدواليب ورفوف مكتظة بألوف من المجلدات المنسقة والمرتبة على أساس علمى وتضم هذه المكتبة ٢٥٠٠٠ مجلد منها ٢٠٠٠ مجلد مخطوط ومقام فى جانب منها فاترينة خشبية مغطاة بالزجاج تعرض داخلها عشرات من المخطوطات القديمة ، وكل مخطوط منها له تاريخ . ونظرت الى أعلى فوجدت شرفة تدور مع الجدران الاربعة وتعتبر طابقا

ثانيا للمكتبة يؤدى اليها درج خشبى فى جانب من القاعة ، حيث احتشدت بالدواليب التى تضم آلافا أخرى من الكتب . وفى وسط هذه القاعة وضعت منضدة مبسوط عليها مجلد كبير ، وهام فى نفس الوقت ، هو مصحف عثمان الذى قامت حوله ازمة شديدة فى عهد القيصرية . وهذا المصحف يرجع تاريخه الى الف سنة مضت ، وقد نقله القيصر من هنا قبل مائة عام الى بطرسبرج (لينينجراد الآن) حيث احتفظ به فى مكتبة بطرسبرج الملكية هناك . وثار المسلمون فى آسيا الوسطى مطالبين بهذا المصحف ، وبالطبع لم يكترث القيصر لهذه المطالبة معتمدا على قدرته فى قهر الشعوب التى يسيطر عليها استعماره . وجاءت الثورة سنة ١٩١٧ وعلى الفور أصدر لينين قراره باعادة المصحف الى أهله ، وقد كان .

وشاهدت مطبوعا حديثا ، وعلمت من أمين المكتبة انه مطبوع فى سنة ١٩٧٠ وأن طباعة الكتب والمراجع التاريخية النفيسة ــ عمل مستمر ــ وهذا الكتاب اسمه « كتاب الأدب المفرد » وهو يجمع الاحاديث النبوية بنظام الأبواب مثل باب بر الأم ، وبر الأب ، وبر الوالدين وان ظلما ، وباب اثم قاطع الرحم ، وباب من كره أن يتمنى موت البنات ، وهو من مؤلفات الامام البخارى . وعندما ابديت اعجابى به ، قدمه الى امين المكتبة هدية للمناسبة . كما قدم الى كتيبا مطبوعا عن « تاريخ المصحف العثمانى فى طشقند » من تأليف الشيخ أسماعيل مخدوم نائب المفتى .

وبعد أن ودعنا أمين المكتبة انصرفنا ، وكنت أود وأنا اخرج أن القى نظرة على المكان قبل مغادرته فاستدرت وأنا أمشى لأرى أمين المكتبة وقد عاد الى جلسته الأولى داخل الباب وقد انكفأ على كتاب امامه يطالعه باستغراق .





فى اتحاد نقابات العمال

– « نعيمـــــا محمدوفـــــــا »
سكرتيرة اتحـــاد نقابات العمال الاوزبيكية

اذا بحثت عن مركز الثقل بين التنظيمات المختلفة فى أوزبيكستان ، فسوف تجد أن هذا الاتحاد هو صـــاحب النفوذ الأول ، فهو يضـم ــ طبقا لآخر احصاء ــ ما يقرب من ثلاثة ملايين عامل ، وهو جزء من الاتحـــاد العام لنقابات العمال السوفييتية .

وليس مـــن شك فى أن وجـــود صناعـــة يعنى بالضرورة وجـــود عمال مدربين ونظام فعال يتيح لهم كل الامكانيات بالارتفاع بمستوى الانتاج ويوفر لهم كافة الضمانات والحوافز .

وفى لقاء مع السيدة « نعيما محمدوفا » سكرتيرة الاتحـــاد ، امكننى الحصول على صورة تحيط بوضع العمال وبالدور الــذى يلعبــه الاتحاد فى خطة التنمية .

فهو يضم جميع فروع النقابات بالجمهوريـــة . ويعتبـــر المؤتمر العام السلطة العليا فى الاتحاد ، وقد عقد آخر مؤتمر منـــذ أربـــع سنوات ، وهو يضم مندوبين لفروع النقابات على أساس عدد النقابيين بواقع مندوب واحد عن كل اربعة آلاف نقابى . وفى المؤتمر ينتخب مجلس رئاسة يضم ١٥ عضوا يختار منهم رئيس وثلاثة سكرتيرين منهم سكرتير من العمـــال غير المتفرغين للعمـــل النقابى ويبـــاشر عملـــه الاســـاسى فى الاتحـــاد ويعتبر نائبا للرئيس ، والباقون متفرغون للعمل النقابى . ويضم لمجلس الرئاسة ثلاثة عمال ووزير شئون الخدمات العامة ووزير الشئون الاجتماعيـــة ونـــائب ادارة تخطيط الدولة .

والاتحاد مثل كل الاتحادات السوفييتية يقوم على أساس التقسيم الى لجان مناطق أو ولايات ، ولجان فرعية . والملايين الثلاثة من العمال منظمون فى ثلاثين ألف وحدة نقابية . والاتحاد يعمل بموجب ميثاق موحد لجميع الاتحادات السوفييتية وتتم مراجعته فى كل مؤتمر ، كما حدث فى آخر مؤتمر ١٩٧٢ عندما أدخلت عليه بعض التغييرات فى التنظيم الداخلى مثل مهام المناطق .

وبموجب هذا الميثاق تباشر النقابات ــ باعتبارها منظمات اجتماعية ودولية ــ مراقبة تنفيذ جميع التخطيطات فى حياة الجمهورية ، مع مواصلة التعاون التام مع المنظمات الدولية .

ولضمان سير التعاون يوجد بين أعضاء المؤتمر وزراء ورجال دولة ، وهؤلاء عليهم متابعةومراقبة التنفيذ ، وهذا هونفس الوضع من أعلى مستوى الى مستوى القاعدة النقابية فىالمصانع والمعامل . كمايعمل رجال النقابة فى المؤسسات الحكومية ، مثل مجلس السوفييت الاعلى . ويدخل رؤساء اللجان الفرعية المحلية فى مجلس ادارة اتحاد النقابات الاوزبيكية .

ورؤساء المنظمات النقابية بالمصانع يدخلون فى ادارات هذه المصانع .

أن أى مشكلة بالمصنع لا يمكن حلها بغير موافقة ثلاث جهات . ادارة المصنع ، والنقابة ، والحزب الذى يشترك فى عملية الانتاج ابتداء من التخطيط الى آخر مراحل التنفيذ فى المصانع .

ويشترك رئيس النقابة فى وضع الاتفاقات بين الادارة والنقابة .

وتباشر النقابات الاشتراك فى تنظيم المسابقات الاشتراكية وفى دراسة وتوزيع الخبرات المتطورة . وتساهم النقابة ماديا وأدبيا فى تشجيع أعضائها بطرق فعالة سواء فى تحديد الرواتب أو الحوافز المختلفة . لهذا فان الدور الذى تؤديه النقابات دور كبير فى تشجيع واحتضان الابداعات التى يساهم بها العمال فى تطوير عملهم .

هذا بالنسبة لمساهمة النقابات فى أعمال الدولة والانتاج .

والمهمة الثانية للنقابة ، هى رعاية العمل ووقاية العمال ، ولهذا يوجد مفتشون فنيون يتولون مهام حكومية ولكن يعملون حسب خطة النقابة ، ابتداء من مشاريع المؤسسات حتى الانتهاء من الانتاج ، وفى سلطتهم اغلاق أى مؤسسة انتاجية ــ عندما يكون هناك مبرر مثل وجود خلاف على قواعد العمل وكذلك تقرير عقاب مادى على أى مؤسسة ، كما يدخل فى سلطتهم تقديم قرار الى السلطة العليا بعدم اقتناعهم بكفاءة رئيس أى مؤسسة انتاجية .

والمهمة الثالثة ، هى حماية صحة وراحة العمال وعائلاتهم . ولهذا الغرض توجد لجميع المؤسسات والمصانع أماكن عديدة مخصصة للاستراحة كما تقام معسكرات للاطفال ، وهى تدخل ضمن بنود ميزانية الحكومة للتامين الاجتماعى الذى وصل الى ٣٠٠ مليون روبل سنويا

للجمهورية حسب آخر مستوى . والعامل لا يدفع شيئا لصندوق التأمينات الاجتماعية ، ومن هذا الاعتماد يصرف على تسديد نفقات العلاج كما ينفق على النساء فى حالات الحمل وتكاليف الراحة الجزئية والكاملة وتكاليف الانتقال للراحة كذلك الاطفال فى معسكرات الرواد والأكل المناسب الذى يقرر للمريض والتكاليف اللازمة فى حالات الولادة ولدفن الموتى .

والمهمة الرابعة ، هى تربية النقابيين ، أخذا بقول « لينين » — أن النقابة هى مدرسة الشيوعيين — ولهذا الغرض توجد مؤسسات متعددة مثل دور الثقافة والنوادى والمراكز والزوايا وأماكن التعبئة الثقافية كالمكتبات والمراكز السينمائية ، وفى المكتبات تلقى محاضرات وتعرض أفلام وتؤلف الفرق الفنية للهواة ، وهى الان تصل الى عشرة الاف فرقة تضم ٢٠٠ الف نقابى . هذا الى جانب الاهتمام بالرياضة وقد وصل أعضاء جمعياتها الى ١٠٠ الف رياضى .

والمهمة الخامسة ، هى متابعة الحياة اليومية لعائلات العمال واحتياجاتها المعيشية من مساكن ومطاعم عامة .

الى جانب هذه المهام ، توجد مهام أخرى ، كما فى العلاقات الخارجية حيث تتولى ايفاد الوفود والبعثات السياحية واستقبال مثيلاتها من الخارج .

وتوجد ميزانية خاصة نقابية تبلغ ٣٤ مليون روبل تأتى من اشتراكات الاعضاء بمعدل ٨ ٪ من مرتب كل عامل نقابى ، وتوزع على نفقات الادارة ، ونفقات النشاط الثقافى والرياضى والبعثات والوفود — من والى — الجمهورية ، ولا يدخل فى ذلك التأمينات على العمل .

ويباشر الحزب الشيوعى الاشراف القيادى للاتحاد .

وقد اشترك الاتحاد فى المؤتمر الدولى لحماية النساء ببراغ ١٩٧٢ ؛ وفى طشقند ١٩٧٢ عقد مؤتمر عالمى اشتركت فيه ثمانى دول وفى ١٩٤٣ اشترك فى مؤتمر النقابات الدولية فى « فارنا » وفى سبتمبر من هذا العام (١٩٧٤) سيشترك الاتحاد فى الدورة الدولية لتنظيم العمل الدولى (MOT) ، وكذلك فى المؤتمر الدولى الذى سوف يعقد باليابان سيوفد الاتحاد ممثلا له من بين رؤساء النقابات المحلية .

ما اثر كل هذا على الصناعة فى أوزبيكستان ؟

فلنتذكر كيف كان حال الصناعة قبل الثورة ، لكى نرى صورة صحيحة للجهود التى بذلت فى اقامة الصناعة الحديثة ، ولا بأس من استعادة ذكرها الآن .

كان نصيب الصناعات اليدوية والزراعية من مجمل الانتاج الاجتماعى ٩ ٪ ولم تكن توجد أى صناعة كيمائية ولانسيجية ولا تعدينية ولا بناء آلات ولا صناعة الطاقة . أما نصيب الصناعة الثقيلة فكان ٢ ٪ من الانتاج

الصناعى . وكانت نسبة العمال الصناعيين تمثل ١ ٪ من مجموع الشغيلة .

وقد اعتمد فى التخطيط الأولى أن يوضع فى الاعتبار القطن كأساس من خصائص الانتاج الأوزبيكى . واتجه الاهتمام الى وضع استراتيجية عامة تقوم على :

اقامة منشآت للطاقة ، ومؤسسات للمكائن والآلات الزراعية ، والأسمدة الكيماوية ، ثم تكنيك وأجهزة الرى ، ثم معامل النسيج والمواد الغذائية . . وغيرها .

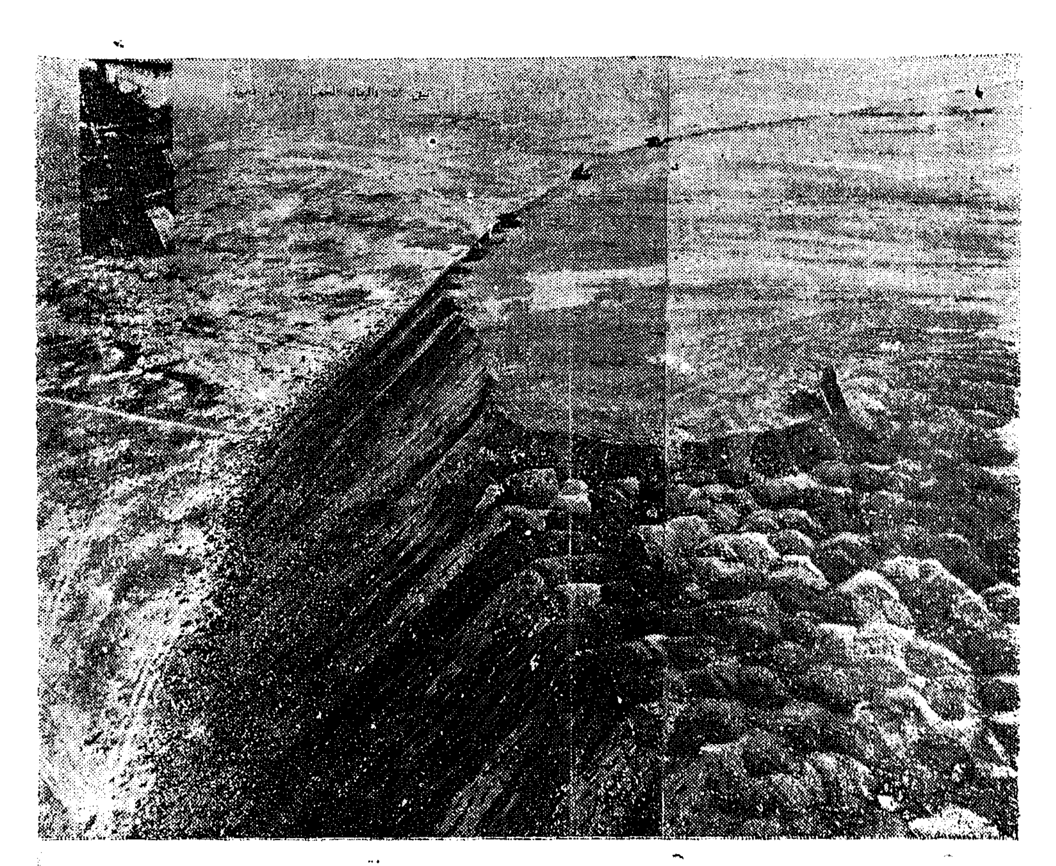
الا أن كل هذا المخطط يحتاج ـ لبدء التنفيذ ـ ايجاد المصانع ، واعداد الكوادر الصناعيين المدربين . ولم يكن فى أوزبيكستان منها شىء على الاطلاق . وقد حلت مسألة المصانع باجراءات فورية ، فمنذ صيف ١٩٢٠ وصلت الى أوزبيكستان الأجهزة والآلات من الاتحاد الروسى لتجديد الأرصدة الاساسية لمؤسسات غزل ولف الحرير بمنطقتى « مزغانه » و « مايمنيلان » ؛ وفى ١٩٢٢ نقلت من المناطق المركزية معامل النسيج والورق والاحذية والصابون والسليلوز ، ومن مدينة « ريئوتوفو » بمقاطعة موسكو ، نقلت فابريقة الغزل والنسيج التى سميت بعد ذلك « كراسنى فوسترك » ، كما نقل أيضا معمل النسيج فى « زارايسك » الذى كان أكبر مؤسسة فى مقاطعة ريازان » .

الا أن مشكلة اعداد الكوادر الصناعيين ظلت قائمة . فليس من الممكن نقل العمال من الجمهوريات الأخرى فى الاتحاد السوفييتى للعمل فى أوزبيكستان بينما مصانعهم فى حاجة اليهم ، ذلك لان الظروف السيئة للغاية التى مرت بها الصناعة فى الاتحاد السوفييتى بعد أن خربت حروب التدخل معظم المصانع طيلة ثلاث سنوات قاسية . ويزيد من صعوبة المشكلة انتشار الامية التى جعلت عملية اعداد العمال وتدريبهم مضاعفة الصعوبة . ويضاف الى هذا وضع المرأة والتى كان من الضرورى العمل على تحريرها من قيود العبودية الماضية ومهانتها ، ثم جذبها الى العمل الاجتماعى الانتاجى . لهذا تكلفت حملة محو الامية ميزانيات وأموالا كبيرة وصلت الى حد تخصيص خمس ميزانية الجمهورية لهذا الغرض طيلة سنوات التصنيع . كما نظم من أجل تحرير المرأة نضال عنيد وصبور ضد التقاليد البالية والمعوقة وعلى مدار سنين طويلة حتى تم تدريجيا كسب المرأة فى صف العمل الصناعى .

وقد تم اعداد الكوادر الصناعية بعدة طرق ، منها التعليم والاعداد الفردى ، ومنها الاعداد عن طريق الحلقات ، وكذلك التعليم فى مدارس المعامل والمصانع ، وأيضا اجراء الدورات التدريبية المختلفة ، والتحضير فى مدارس المهن الجماهيرية ، وغيرها من الاشكال المناسبة لكل حالة .

ومن خلال الدورات التدريبية فى المراكز الصناعية تم التوصل الى





تحتل صحراء « قزل قوم » — ومعناها « الرمال الحمراء » — مساحة واسعة من اوزبيكستان . وقد تبين ان هذه الرمال الحمراء ليست الا رمالا ذهبية. وقد ثبت ان الذهب ممتزج بمعادن أخرى ، وتوصل الخبراء الى استخلاص الذهب بوسائل حديثة . وفى هذه الصورة يرتفع على أرض هذه الصحراء جبل صناعى للخامات المحتوية على الذهب وتبدو السيارات الضخمة تصب محتوياتها الثمينة .

رفع مستوى كفاءة العمال الصناعيين وكانت النتائج طيبة . وقد ساهم فى تحقيق هذه النتائج الكوادر العمالية الروسية مما اكسب عمال أوزبكستان خبرة اضافية فى العمل التنظيمى الى جانب ارتفاع مستوى الانتاج التكنيكى .

ويكفى القاء نظرة على الارقام لنرى الدليل المقنع .

من سنة ١٩٢٦ وحتى ١٩٣٩ ، زاد عدد العمال بالاقتصاد الوطنى اربع مرات ، وزادت الصناعة ٣ر١١ مرة وزاد عدد المهندسين والعاملين بالاقتصاد الوطنى سبع مرات ، وارتفعت نسبة المشتغلين بالعمل الفكرى من ٥ر٣ ٪ الى ٨١ر١٩ ٪ .

وقبل الخطة الخمسية الاولى (١٩٢٨ ــ ١٩٣٢) كان عدد المهندسين والفنيين ٥٧٤ ، وفى نهايتها كان عدد المهندسين والفنيين ٢٤٤٣ ، باضافة ١٩٢ مؤسسة صناعية جديدة ، وفى نهاية الخطة الخمسية الثانية (١٩٣٣ ــ ١٩٣٨) وصل عدد المؤسسات الجديدة المضافة ١٨٩ مؤسسة ، ووصل نصيب القطاع الاشتراكى ٩٩ر٥ ٪ من الانتاج الصناعى .

وفى الخطة الثالثة (١٩٣٩ ــ ١٩٤١) وهى التى اختصرت بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، أضيفت ٣٤ مؤسسة صناعية جديدة فقط .

أما فى ناحية أعداد العمال وتدريبهم فنجد أنه فى سنة .

١٩٣٩ كان من بين كل ١٠٠٠ شخص عامل بالاقتصاد الوطنى ٦١ من ذوى التعليم العالى والمتوسط المهنى .

١٩٦٢ تعلم ١٠٠٠ عامل ومستخدم مهنا واختصاصات جديدة .

١٩٧٣ تخرج ٨٠٠٠ اخصائى (مهندس صناعى وبناء ونقل ومواصلات) .

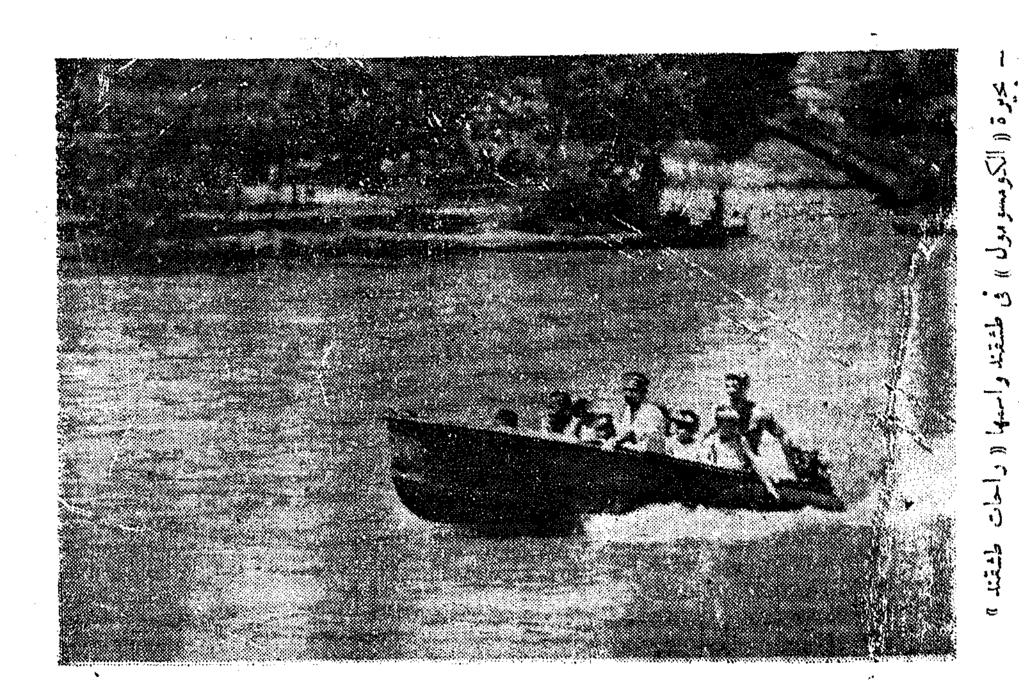
١٩٧٣ تعلم ٥٠٠ ألف عن طريق التعليم الفردى والحلقات والدورات التدريبية .

١٩٧٣ تم اعداد ٦٠ الفا من العمال والشبان الاكفاء .

وقد ازدادت ودعمت الامكانيات المالية لاوزبيكستان تبعا لمقاييس وعمق التحولات الاجتماعية بصورة كبيرة ، فقد كانت حصة المؤسسات فى الدخل القومى سنة ١٩٢٥ ٩ر٤ ٪ زادت فى ١٩٣٧ الى ٩٩ر٢ ٪ وهى تساوى ٣٢٢ مليون روبل سنة ١٩٢٥ ارتفعت الى ٢٠٤٥ر٩ روبل سنة ١٩٣٧ أما الانتاج الصناعى فقد زاد ٢٢٨ مرة منذ خمسين سنة .

وكان من أثر مضاعفة منسوب التطور الاجتماعى أن انشئت مدن حديثة جديدة لم تكن من قبل مثل « الفرين » و « تشيرتشيك » و « الماليك » و « بيك آباد » و « نوائى » و « زارافشاى » و « غزلى » و « تاخيياتاس » و « كونفراد » وغيرها . وكانت النتيجة أن تحولت أوزبيكستان من جمهورية التخلف الى جمهورية الطاقة وصناعة بناء الالات متعددة الفروع ، ونمت فيها صناعات التعدين والذهب والهندسة الكهربائية وبناء الطائرات والصناعات الاليكترونية بالاضافة الى صناعة بناء قوية . أن أكثر من ١٠٠ فرع انتاجى صناعى يضم ١٣٠٠ مؤسسة كبيرة هى الرصيد الفعلى الموجود الآن هناك وقد تضاعف انتاجها ١٦٠ مرة .

ويحتل القطن المكانة الاولى زراعة وحلجا . وتحتل المكانة الثالثة الانسجة الحريرية (الحرير الطبيعى) وفى المكانة الرابعة تتربع صناعة الاقمشة القطنية والاسمدة المعدنية والطاقة الكهربية والاسمنت بالنسبة للانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفييتى . وهذا الانتاج الصناعى يصدر الى أكثر من ٧٠ دولة ويتزايد الطلب على القطن والحفارات والجرارات ومحطات



– بحيرة « الكومسومول » فى طشقند واسمها « راحات طشقند »

الضخ والجلاخات ومنتوجات الراديو والكهرباء والمكائن الزراعية والادوات الصلبة القاطعة والادوية والعقاقير .. وغيرها .

ما أثر كل هذا على مستوى المعيشة ؟

كان دخل الاسرة فى سنة ١٩٢١ يتكون من أجور العمال ٦ر٢٨ ٪ ومن بقايا مدخرات وبيع اشياء ٤ر٤٨ ٪ ومن واردات أخرى مختلفة ٢٣ ٪ .

أما الان فان أجرة عمل الاسرة تشكل ٨٠ ٪ من دخلها و ٢٠ ٪ أرصدة الاستهلاك الاجتماعية وغيرها .

ان متوسط أجر العامل سنة ١٩٧٢ وصل الى ٦ر١٢٠ روبلا شهريا (الروبل يساوى خمسين قرشا مصريا تقريبا) وقد ارتفع فى عام ١٩٧٣ الى ١٢٧ روبلا شهريا .

كما زادت المنح والاعفاءات من رصيد الاستهلاك الاجتماعى – فى ١٩٧٣ بنسبة ٧ ٪ عن السنة السابقة ، منها الحصول على مجانية التعليم بكل مراحله ، ورواتب التقاعد والاعانات والمساعدات الطبية ، واعانات الحمل والوضع التى تساوى أجور العمل بدون التقيد بمدة الخدمة .

وفى ١٩٧٣ زادت مخصصات التغذية فى المدارس المهنية والتكنية عن سنة ١٩٧٢ من ٢١١ روبلا الى ٢١٨ روبلا للفرد .

وقد زادت فى السنوات الاخيرة دخول العمال الحقيقية بنسبة ٣ ٪ .



يوسف جان

ممثل معروف فى المسرح الشعبى الاوزبكى واسمه يوسف جان شكر جان . ولد عام ١٨٦٨ فى مدينة مارجيلان . ومنذ شبابه كان يحب الفن وكان يعيش فى وادى فرغانة فى هذه الايام ممثل كبير ومخرج للمسرحيات الشعبية يسمى سهدى مخصوم . وكان فى البداية راقصا ثم موسيقارا ثم فكاهيا . وفى ايام الحرب الاهلية كان يشتغل فى فرقة الدعاية المسرحية ، وعرضت هذه الفرقة مسرحيات على الشعب حول قضايا الثورة الملحة . وفى عام ١٩٢٦ ساعد فى تكوين فرقة للفن من مجموعة شعوب منطقة آسيا الوسطى . وهناك أسطوانات مسجلة بصوته ويستخدمها طلاب الفن لدراسة الفن الشعبى الاوزبكى . وقد توفى عام ١٩٥٩ فى مارجيلان .



المغنى الأوزبكستانى / خوجه عبد العزيز

ولد فى سمرقند فى ١٨٥٥ وكان يمارس الغناء منذ طفولته — وقد اعتنى به منذ خطواته الأولى مجموعة من المنشدين الذين اشتهروا بحفظ الأغانى وروايتها جيل بعد جيل . وعندما بلغ العشرين من عمره أصبح مغنيا وموسيقارا له شهرته فى سمرقند . كان متخصصا فى انواع معينة من الغناء . وفى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سافر إلى الخارج وحضر إلى مصر وسافر إلى الهند وإيران وافغانستان . وبعد تجواله فى هذه البلدان كتب عددا من الأغانى مثل « الجزائر » مستفيدا من الأغانى الشعبية للبلدان التى زارها .





رسام الشعب الأوزبكستانى / عبد الحق عبد اللاييف :

ولد بمدينة تركستان ١٩١٨ – تعلم فى إحدى مدارس العمال بطشقند حيث أكتشف أساتذته استعداداته الفنية – منذ عام ٣١ بدأ دراسته بمعهد الفنون بسمرقند وإن كانت شهرته قد بدأت فى الذيوع منذ عام ٣٤ . وفى سنة ٤٦ رسم لوحة للممثل خيدو ياتوف لعبت دورها فى اكتمال شهرته على نطاق البلاد ككل . قام برسم عديد من اللوحات للممثلين والمخرجين ومشاهير العمال وزراع القطن والكتاب . عرضت عديد من لوحاته خارج البلاد ويحتفظ ببعضها فى عدد من المتاحف السوفيتية وهو مولع برسم اللوحات المستمدة من موضوع حياة الشاعر الشهير فافولى وهو متخصص فى رسم الشخصيات

عيد القطن

حفر على الخشب للفنان « أ. ياتادوف »

مع الرفيق عبداللايف عبدالنبى

عضو مجلس الادارة لوزارة الزراعة

كان هذا اللقاء بحضور أربعة من المسئولين بالوزارة ، هم :

« عبد الوفيق كريموف كريموفتش » مدير الادارة للشئون الخارجية .

« واليخان صديقوف صديقوفيتش » رئيس ادارة التخطيط والاقتصاد بالوزارة .

« ايسايف رحيم سعيدوفيتش » رئيس ادارة زراعة القطن والمحاصيل الاقتصادية .

« باجاسيان سليمان يوسوبوفيتش » رئيس قسم ادارة الكولخوزات .

القطن هو عماد الانتاج الزراعى من قبل الثورة ، حيث كان يستخدم فى تزويد الصناعات القيصرية الخفيفة بالمواد الخام . وكان ثلثا الاراضى الصالحة للزراعة فى يد الاقطاعيين والبيكوات أغنياء الريف ، وفى نفس الوقت كان بيدهم أيضا ثلثا مصادر المياه . والى جانب هذه القلة . كان يعيش مليون ومائتا ألف عائلة من المزارعين لا يملكون من الأرض شبرا واحد . فقط يعملون فيها . وكانت وسائل العمل بدائية للغاية ، فهى لا تزيد فى أغلب الاحيان عن الفأس والمحراث الخشبى العتيق ، ولم يكن انتاج القطن يتجاوز ما بين ٤٠٠ ألف و ٥٠٠ الف طن بأى حال ، فالهكتار الواحد من الارض لم يكن ينتج أكثر من ٩٠٠ كيلو فقط من القطن ، أو ما يعادل طنا واحدا . هذه هى حال الزراعة فيما قبل الثورة ، ويضاف الى ذلك أن الحرب الامبريالية الاولى التى اشتعلت سنة ١٩١٤ ، وما تلاها من حرب اهلية ، كانت لها أثار واسعة فى استمرار الوضع المتأخر لبضع سنوات بعد ذلك .

وبقيام الثورة وضع أمام السلطة السوفييتية ــ كمهمة عاجلة ــ انشاء فورى للزراعة الحديثة وبخاصة فى مجال القطن بمنطقة « تركستان » باعتبار أن هذا المحصول مهم ومطلوب عاجل ، كالهواء للانسان ، لتزويد صناعات الغزل والنسيج وغيرها من الصناعات الاستهلاكية الخفيفة . وفى ١٧ مارس ١٩١٨ نشر القرار الذى أصدره « لينين » باعتماد خمسين مليون روبل لاعادة انشاء وتطوير شبكات الرى هناك ، وبخاصة فى الحقول « الجائعة » وقدمت تسهيلات عديدة للفلاحين المشتغلين بزراعة القطن ، من قروض وبذور وأيضا من الالات الزراعية المتاحة .

وفى ١٩٢٣ أمكن الارتفاع بمستوى الزراعة فبلغ الانتاج سبعة أضعاف ما كان عليه فى عام ١٩١٣ ، وفى ١٩٢٦ زاد ٢٢ ألف طن عن انتاج ١٩٢٣ ، وفى ١٩٣١ وصلت مساحة الارض الزراعية مليون هكتار ــ وهى مرحلة تأسيس ــ وهذا يعنى أن مساحة الارض المزروعة اتسعت الى ضعف حجمها قبل الحرب .

من أين جاء هذا التطور السريع فى زراعة القطن ؟

كان التوسع فى انشاء المزارع الجماعية « الكولخوزات » هو العامل الرئيسى لسرعة النمو هذه . فالعلاقات الزراعية الصغيرة كان تجميعها فى هذه المزارع الجماعية المنظمة يكسبها قوة انتاجية أكبر من حالتها وهى متفرقة مبعثرة ، وحتى سنة ١٩٣١ كان قد تم توحيد ٩٠ ٪ من هؤلاء المزارعين فى كولخوزات . وبهذا أمكن توفير الالات الزراعية المتطورة من المحاريث الميكانيكية وآلات الجر والبذر .

وفى ١٩٣٢ وضعت المهمة لاستقلال السياسة القطنية والوصول الى الاكتفاء الذاتى وعدم استيراد القطن من الخارج ، وذلك بوصول الانتاج الى ٨٠٠ ألف طن سنويا .

واتخذت عملية تطوير زراعة القطن مسارها بعد ذلك ، ففى ١٩٣٦ وصل الانتاج الى مليون ونصف مليون طن سنويا ، وفى ١٩٥٠ وصل الى مليونى طن بمعدل طنين و ١٠٠ كيلو فى الهكتار الواحد ، وفى ١٩٥٨ ارتفع الى ثلاثة ملايين طن سنويا . وفى ١٩٦٥ لاول مرة فى تاريخ زراعة القطن نفذ البرنامج مرتبطا بشهر أكتوبر ، ثم تحول بعد ذلك الى شهر مارس لعدم توافر آلات الحصد فزاد الانتاج عن معدله (٣ ملايين طن) الى ثلاثة ملايين و ٦٠٠ ألف طن فى السنة . وفى ١٩٦٦ وصل الانتاج الى أربعة ملايين طن ، بمعدل طنين ونصف الطن من الهكتار الواحد ، وهو ما يزيد عن انتاج ١٩١٣ بطن واحد سنويا بالنسبة للهكتار . وسنة ١٩٧٢ كانت سنة وفيرة للمحصول ، فالأرض كانت مساحتها المزروعة مليونا و ٦٨١ ألف هكتار ، وارتفع انتاج الهكتار الواحد الى طنين و ٨٠٠ كيلو ، وكان اجمالى المحصول أربعة ملايين و ٦١١ طنا . ثم جاءت سنة ١٩٧٣ حيث وصل الانتاج الى أعلى من ذلك ، حيث زاد الانتاج عن البرنامج المخطط بما يقرب من الف طن .

وتعتبر أوزبيكستان المصدر الاول لتوريد القطن بالاتحاد السوفييتى ، فقد وصل الانتاج السوفييتى كله الى ٧٦٦٢ مليون طن كان نصيب أوزبيكستان منها ٤٩٠٠ مليون طن وهو ما يعادل ٦٥ ٪ من الانتاج الاجمالى . وبهذا احتل الاتحاد السوفييتى مركز الصدارة فى انتاج القطن عالميا .

وليس فى الأمر أسرار على الاطلاق .



تشتهر البساتين الأوزبكية بأجود أنواع الفاكهة كالتفاح والمشمش والعنب حيث تلقى الأرض عناية بالغة لمضاعفة جودتها باستمرار

ذلك أن النظام الاشتراكى للاقتصاد الزراعى أوجد الكولخوزات والتى وصلت الى حوالى ١٠٠ كولخوز وأكثر من ٤٥٠ سوفخوز (مزارع حكومية) بالاضافة الى استخدام الالات فى الزراعة بنسبة كاملة (١٠٠ ٪) مما جعل ممكنا حصد ٥٥ ٪ من مجموع القطن (٤ ملايين و ٩٠٠ ألف طن) بماكينات الحصد وهو يساوى مليونين و ٦٠٠ ألف طن منها . وهذا يفسر سر التطور السريع لزراعة القطن .

لقد أخرجت أول ماكينة لحصد القطن سنة ١٩٤٩ حيث بدأ العمل باستخدام ٢٧٦ ماكينة من طراز M 48 M × ٢ أمكنها جمع المحصول من ٥٧٠٠ هكتار فقط .

ولكن الان توجد فى أوزبيكستان مناطق حصد فيها القطن بالماكينات بنسبة تتراوح بين ٦٠ ٪ الى ٧٠ ٪ بالنسبة للانتاج العام للجمهورية ، وكذلك فى أكثر من ١٠٠ كولخوز وسوفخوز بنسبة (٨٠ ٪ الى ٩٠ ٪) وفى أوزبيكستان تمكن بعض السائقين المهرة من حصد أكثر من ١٠٠٠ طن (للسائق الواحد) فى الموسم الواحد . هذا علاوة على الدور الذى أدته بنجاح ماكينة الحصاد الحديثة المسماه (أوزبيكستان) ذات الصفوف الأربعة . هؤلاء السائقون المهرة يوجد منهم أكثر من ٢٠٠ سائق أنتجوا ما بين ٢٥٠ الى ١٠٠٠ طن ، فى الموسم الواحد ، أى أن سائقا واحدا بماكينة ينتج ما يعادل انتاج ١٠٠ جامع يدوى .

والعامل الثانى فى سرعة التطور الزراعى هو استخدام الاسمدة الكيماوية ، حيث تنتج مصانع الجمهورية الاسمدة الكافية لحاجات الزراعة — الازوتية والفوسفورية — ومن تقارير معاهد الابحاث العلمية يصرف للهكتار الواحد ٣ اطنان ٢٥٠ كيلو أزوت ومن ١٥٠ — ١٦٠ كيلو أسمدة فوسفورية . وهذا يبرهن بالعمل والفعل على أن استخدام كيلو واحد من هذه الاسمدة يعطى ١٠ كيلو قطن زيادة .

والعامل الثالث هو دور شبكات الرى فى استصلاح أراض جديدة وريها وبخاصة فى المناطق الجائعة والحقول فى « سورخان شيرابات » وفى بداية سواحل نهر « سيحون » وفى وادى « فرغانة » وفى حقول « يازوان » ، كما أن هناك مهمة جديدة لاستصلاح الاراضى فى « قارش » الشبه صحراوية التى يزرع القطن فيها الآن . وتوجد الآن خطة لا نشاء كولخوزات جديدة خلال الخطة الخمسية الحالية التى ترمى الى استصلاح مليون هكتار فى المستقبل القريب .

بالاضافة الى كل هذا ، توجد شبكات رى للحفاظ على المياه الزائدة وتخزينها للسنة القادمة أو عند الاحتياج .

أن التخطيط الزراعى فى أوزبيكستان يتمثل دائما فيما قاله « لينين » :

(لكى نتمكن من أن نحصل من الزراعة على الحد الاقصى ، علينا ان نؤسس ونعتمد على الأساليب العلمية المعاصرة وعلى قوة المهندسين الزراعيين والاعتماد على الادارة العلمية .)

وهذا متوفر الآن فى وزارة الزراعة ، حيث يعمل من ٣٠٠ متخصص يقدمون مساعداتهم الكبيرة لكافة المنظمات المحلية والكولخوزات والسوفخوزات وصولا الى محاصيل مرتفعة من القطن وسائر المحاصيل وزيادة الثروة والانتاج الحيوانى والمواشى .

وغير زراعة القطن ، تنتج أوزبيكستان ٥٣ ٪ من « حرير دودة القز » الى جانب ٢٥ ٪ من الكتان و ٣٥ ٪ من الاغنام الصغيرة المعروفة باسم « الكاراكول » ،

الى جانب قوة كبيرة من العلميين مع ١٠ معاهد أبحاث علمية بها ١٠٨٩ متخصصا علميا ، من بينهم ١٨ دكتور علوم و ٤٣١ مرشحا للعلوم (بين ماجستير ودكتوراه) .

وللحصول على فرصة الترشيح للعلوم الزراعية يلزم اجتياز مرحلة دراسية فى دورات خاصة Pose graduate حيث يدرس أكثر من ٣٠٠ طالب يعدون رسالات الترشيح .

وتوجد ٤ معاهد عليا خاصة بالزراعة لم يكن هناك قبل الثورة وجود لأى منها . ويدرس بها ٢٢ ألف طالب ويعمل بها ١٢٣٠ مدرسا منهم ٢٣ دكتور علوم و ٤٤٩ مرشحا للعلوم . ويوجد للوزارة ٣٠ معهدا زراعيا متوسطا ومتخصصا ، وهى تخرج المهندسين والميكانيكيين فى تربية المواشى وفى الاقتصاد وغيرهما وهذه المعاهد من بين عشرين معهدا متوسطا متخصصا .

هذه المعاهد العليا والمتوسطة تقدم سنويا ١٠ آلاف متخصص زراعى ، منهم ٣٠٠٠ متخرج من معاهد عليا والباقى من معاهد متوسطة . واغلبهم يعملون بمجرد تخرجهم فى المزارع الجماعية ، ويوجد منهم الآن أكثر من ٦٠ الف زراعى بجميع فروع الزراعة من الادارة الى العمل بالأرض ، ومن بينهم نسبة — فى العمل المباشر . ولم يكن فى البلاد قبل الثورة منهم الا ثلاثة يحملون دبلومات .

وعندما سألت عن نظام المزارع الجماعية والفرق بين الكولخوز والسوفخوز قيل لى :

الكولخوز ، هو المزرعة الجماعية الاختيارية ، حيث يشترك العضو فيها بما يقدر ولو كان بحصان . وله ميثاق خاص يتم التصرف بمقتضاه فى حدود الارض وله مجلس عام حيث تدير الكولوخوز مجموعة من هذا المجلس ، وهذا المجلس يختار الرئيس فى نفس الوقت . وجميع وسائل العمل ملك جماعى للكولوخوز وليس للحكومة .

وادارة الكولخوز تفتح لها اعتماد حساب فى البنك الحكومى لتمويل العمليات المتبادلة مع غيرها من المنظمات . وفى نفس المجلس تختار لجنة لمتابعة ومراقبة أعمال الادارة وكذلك موظفين لفروع العمل . وتقترح الادارة اختيار مسئولين عن فرق التنفيذ بعد موافقة المجلس .

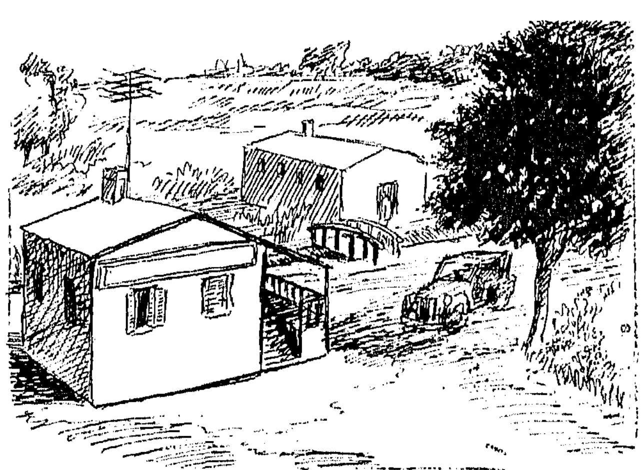
ولكل عضو من الفلاحين بالكولوخوز الحق فى زراعة مساحة ١٥ ٪ من الهكتار بما يشاء لحسابه الخاص الى جانب ما يعود عليه من ناتج العمل الجماعى الأساسى الذى وصل متوسط دخل العائلة الواحدة منه ٥٠٠ روبل سنويا .

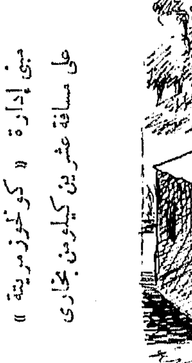
أما السوفخوز ، فهى منشآت حكومية زراعية تؤسس بموجب قرار حكومى ولهذا تكون وسائل الانتاج من أجهزة ومعدات ملكا للحكومة . ويتولى ادارة السوفخوز مدير مسئول فى يده كل السلطة .

وفى زيارة لمدينة « بخارى » تسنى لى أن أشاهد كولخوزا فى ضواحى المدينة يسمى « كولخوز مدينة » يتألف من ٢٦٠٠ هكتار من الأرض الزراعية ، يزرع منه ٢٠٠٠ هكتار قطنا و ٣٨٠ هكتار لانتاج العلف و ٧٥ هكتارا لزراعة الذرة . ويضم هذا الكولخوز ٧٥٠٠ نسمة من بينهم ٢٦٠٠ طلبة زراعة و ٣٠٠٠ يعملون بالزراعة و ٧٥٠ على المعاش ، هذا بالاضافة الى الأطباء والمدرسين والطلبة العاديين . وتوجد بالكولخوز (مدينة) ٤ مراكز للرعاية الطبية منها مركز للولادة واربع مدارس (٢ ثانوى دراسة ١٠ سنوات ، و ٢ ابتدائى دراسة ٨ سنوات) .

وينتج هذا الكولخوز القطن الذى كان محصوله فى السنة الماضية ٥٨٨٥ طنا ، ويجرى العمل لانتاج اعلى بحيث يعطى الهكتار ٤ اطنان ، وذلك بمناسبة اليوبيل الخمسين لاقامة الجمهورية . وقد وصل الدخل من القطن الى منسوب ٣ ملايين و ٨٤٥ ألف روبل فى السنة . واستخدمت الآلات لجنى القطن بنسبة ٥٠ ٪ حيث تحقق الآلة الواحدة ٤٠٠ طن علما بأن الجنى اليدوى من ٦ — ١٠ أطنان .

ولقد كانت زيارتى لهذا الكولخوز اضافة كبيرة الى ما عندى من معلومات عن نظام المزارع الجماعية . وكم وجدت تشابها كبيرا بين حياة الريف فى هذا الكولخوز وحياة الريف فى بلدنا . فبالبساطة الصادقة استقبلنا مدير الكولخوز « سعيدوف سعد الله » فاذا به شاب فى نهاية العقد الثالث تقريبا له الملامح المألوفة عند أهل الزراعة من الريفيين الذين تلوح الشمس بشرتهم ، وهو قليل الكلام كثير الترحيب كريم الضيافة ، فهو ما يكاد يحضر الشاى حتى يخرج ليعود ومعه أطباق الفاكهة ، ثم أرغفة الخبز الواسعة الحجم والتى يصل قطرها ٤٠ سنتيمترا مثل ما هو مألوف





مبنى إدارة « كولخوز مدينة »
على مسافة عشرين كيلومتر من بخارى



— « سعيدوف سعد الله »
مدير المزرعة الجماعية



— « حليمة نيكـــــــواه »
رئيسة مجلس سوفييت المنطقة

عندنا والذى يسمى « المرحرح » ولكنه هناك ليس رقيقا ، بل له سمك وبخاصة من الاطراف الدائرية .

وهناك ، حضرت سيدة رفيعة القوام صغيرة الجسم هادئة المظهر وقد عرفونى بها ، الرفيقة « حليمة نيكواه » وهى الرئيسة المنتخبة لمجلس السوفييت بالمنطقة التى تسمى « رباط كالماك » . وكانت مواظبة على هدوئها وصمتها حتى دار الحديث حول الزراعة والقطن ، فاذا بها — دون أن تفتقد ثباتها — تفيض بالحماس حول التحدى الذى أعلنته الجمهورية لكى يرتفع محصول القطن هذا العام الى الخمسة ملايين قنطار . وعندما تطرق الحديث عن فترة ما بعد الثورة مباشرة ووضع الفلاحين فى النظام السوفييتى الجديد كانت كلماتها تحمل رنين التجربة وحرارة الواقع . فقد ظلت تضرب الأمثلة عن حالة البؤس التى كان الفلاحون يعيشونها قبل الثورة وظلت آثارها مطبوعة عليهم الى فترة طويلة بعد الثورة ، وكيف أن تجربة المزارع الجماعية ما كان يمكن لها أن تحقق أى نجاح لولا أن هؤلاء الفلاحين الفقراء وجدوا فيها

الخلاص من حالة القهر المادى والتخلف المستمر ، فقد أدرك هؤلاء الأميون الذين لا يستمتعون بأى نوع من أنواع الثقافة والمعرفة ، لقد أدركوا بغريزتهم الثورية ، أن هذا هو طريق الخروج من أوضاعهم السيئة ، فالتفوا حول الثورة وأعطوها كل ما فى وسعهم من جهد وتأييد حتى حققت هذا المستوى المتطور فى أقل زمن ممكن .



— « همروقهـاروف » اهم الخبراء الزراعيين فى القطن

وعندما خرجنا للتجول فى الكولخوز ، صادفنا رجلا يوحى منظره بأنه سائق جرار أو سيارة نقل ، وعرفت أنه يسمى « همروقهاروف » وبعد أن تصافحنا ، عرفت أن لهذا الانسان قيمة كبرى فى الكولخوز . وقد أكدت الرفيقة « حليمة » بأن صحة هذا الانسان تمثل عندهم هدفا يجب المحافظة عليه ، لأنه الخبير العام للزراعة عامة وللقطن بصفة خاصة ، ولهذا يلزم رعايته تمام الرعاية . وتجولنا بين أشجار الفاكهة المختلفة والتى خصصت لها أجزاء قريبة من الطريق وهى مليئة بأشجار المشمش والتفاح والبرتوق ولها سور من الزهور وعباد الشمس والورود المتعددة الألوان .

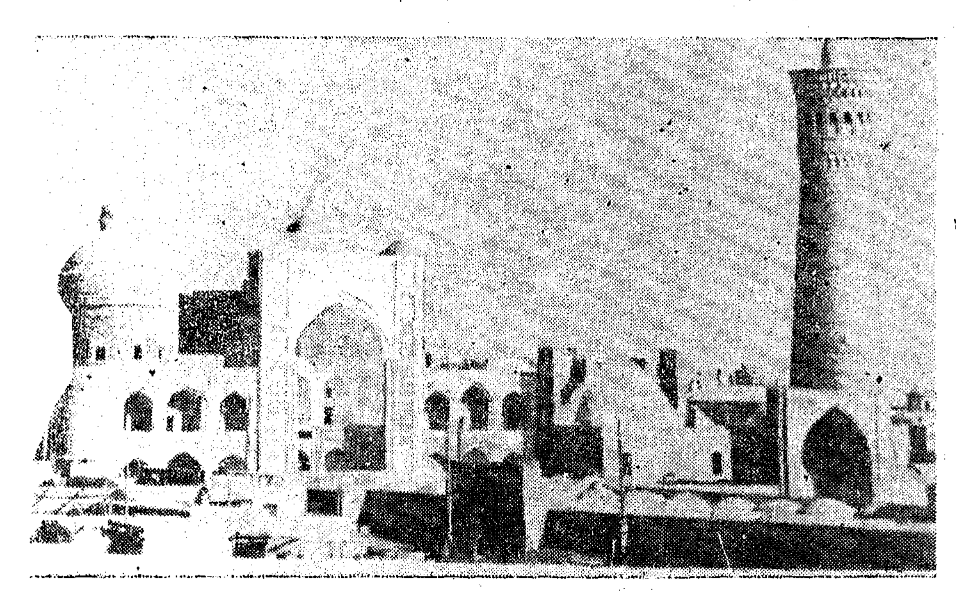
وكنت قد أحضرت معى بعض العقود الملونة والمكاحل والمناديل المزركشة بالترتر والتى تسمى فى مصر « ابو أوية » فقدمت هذه المجموعة للرفيقة « حليمة » كما قدمت لى طاقية أوزبيكية ومنديلا مزركشا وصممت على أن البسه كعادة الفلاحين هناك وذلك بربطه حول الوسط بحيث يكون المثلث متدليا من الخلف ، ففعلت ، وانصرفت وأنا على هذا الوضع وسط تحيات بالأيدى حتى غابت بنا السيارة فى طريق العودة الى بخارى .

وفى بعض الاجتهادات العلمية ، تفسير لمصدر اسم هذه المدينة ، بأن أصله فى اللغة السنسريتيه « فى خارى » ثم تحولت مع الزمن والتداول مع سائر الشعوب الى ابدال « فى » « فيو » ثم الى « بو » وأن « بخارى » تأتى

فى القدم بعد « بغداد » وأن بها من الاثار ما يرجع الى القرن التاسع الميلادى . وتعدادها الان ١٤٥ ألف نسمة وطقسها صحراوى (٣٠٠ يوم مشمس فى السنة) ويتألف سكانها من ٦٠ ٪ أوبيك و ٥ ٪ تاجيك والباقى يمثل ثمانين قومية مختلفة . وتنتج بخارى ٣٣ ألف طن من القطن طبقا لآخر أحصاء . وتنتج مصانع بخارى ١٠٩ ملايين متر مربع من مصنوعات القطن . وبها ١٩ مؤسسة متخصصة فى تربية (الكاراكول) وهى نوع من الخراف الصغيرة وقد نالت فى ١٩٦٥ الدبلوم الدولى فى معرض ليبزج ، وهذا النوع من الخراف منه فى بخارى ما يمثل ٤٥ ٪ من الموجود فى كل الجمهورية ، ويسمونه هناك « جوهرة الصحراء » كما يطلق نفس الاسم على بخارى باعتبارها ماسة فى اطار من الرمال .

وفى بخارى مائة حوض آبار لمياه الشرب . وقد شاهدت أحدها أمام جامع اسمه « بولو هاوس » أنشىء سنة ١٧١٢ ، وقد شاهدت فيه معرضا لرسوم أطفال المدارس حتى الصف الثامن .

وقد شاهدت مئذنة جامع مدرسة « ميرى آراب » التى يصل أساسها الى عشرة أمتار تحت الارض وترتفع فوقها ١٠٥ درجات حجرية حتى القمة ، وقد اشتهرت لكثرة المنتحرين من فوقها ، وقد بناها الشيخ عبد الله من اليمن فى القرن السادس عشر عندما كانت سمرقند عاصمة للاسلام ، وتجاورها مدرسة دخلتها فالتقيت بشاب أسمه « رحمت الله قاسم » وهو طالب بالمعهد



— مدرسة « ميرى آراب » والبرج الشهير الذى كان البائسون يصعدون إليه ويلقون أنفسهم منه

الدينى فى بخارى وسبق له أن درس بعض الوقت فى الجامع الازهر بالقاهرة ودعانا الى غرفته الصغيرة التى تواجه حوش المدرسة الداخلى . وقد افاض

علينا بالترحاب الشديد وهو يتحدث بلغة عربية لا يشك السامع اليها انها من مكان غير القاهرة ، وهو متعلق بمصر بصورة جامحة ، وقد ذكر لنا أنه بعد انتهاء دراسته هنا سوف يوفد فى بعثة الى الجامع الازهر بالقاهرة . وهو يحتفظ بعدد من الاشرطة المسجلة عليها أغان مصرية لشادية ونجاة الصغيرة وعبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم ، كما انه يجيد تلاوة القرآن ، وقد استمعنا اليه ، فاذابه يؤدى بانفعال وتأن واتزان ، وبكل فهم وكان اداؤه يكاد يطابق أسلوب الاستاذ القارىء الكبير الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ولا يختلف الا فى حدود فارق الحنجرة والتجربة . وعند انصرافنا طالبنا بأن نحاول تمكينه من قراءة المجلات والصحف المصرية لأنها لا تصل اليه بانتظام سوى « الشباب العربى » ثم سلمنى ظرفا بريديا مرسلا اليه بالطائرة وهو من ظروف المجلة .

وتوجهنا الى جامع « كاليان » حيث يصلى فيه ١٠ آلاف مسلم فى الأعياد والمناسبات . اما تحفة العمارة الاسلامية الأوزبيكية فهى ضريح « اسماعيل » فهو مشيد من قوالب صغيرة من الاجر القوى وتبدو من بعيد كأنها حوائط ملونة ، مع أن اللون لا يدخل فيها اطلاقا فهى بلون الطوب ذاته ، ويقال أن البلاط الذى استخدم فى البناء قد عجن بلبن الجمال حتى يأخذ صلابة وتحجرا . وهناك خلف الضريح تظهر بقايا سور المدينة القديم وهو بطول ١٢ كيلو متر وفيه ١١ بوابة كل واحدة منها باسم الطريق الخارج منها الى جهة من الجهات مثل بوابة « تاليباتش » و « سمرقند » و « كارش » . وهناك أيضا ضريح ومركز للسفن هو « تشاشى أيوب مزار » حيث توجد عين مياه كانت تنسب اليها خرافات عديدة مثل علاج العيون المريضة وشفاء المرضى ، ثم تبين بعد ذلك بالكشف والتحليل المعملى العلمى أن مياه هذه العين تحتوى على نسبة مرتفعة من اليود .

وعلى طول الطريق كانت لافتات معلقة تشير الى نسبة الانتاج الزراعى وقد سجلت منها بقدر ملاحقتى لسرعة السيارة :

٠٠٠ر٥٠٠ طن قطن — ٠٠٠ر٢٢ طن فول سودانى — ٠٠٠ر٥٤٢ طن فواكه — ٠٠٠ر٥٠٥ شمام — ٠٠٠ر٨٦٨ طن لبن — ٠٠٠ر٢١٨ طن لحم ٦٠٣ ملايين بيضة — ٠٠٠ر٨٥٠ طن خضار ..

وفى بخارى قناة قديمة تحيط بالمركز الداخلى وتصل الى اطرافها . وقد تهدمت وبدأت الاتربة تطمرها ، ولكنهم بدأوا يعيدون لهذه القناة شبابها بالطرق الحديثة وتسمى « قناة سخروت » وقد حفرت فى القرن التاسع ، والان يتم تغليفها بالاسمنت وتقام فوقها الجسور والكبارى للمرور .

وزرت بعد ذلك مبنى المحافظة الأثرى ، وهو الان متحف تاريخى ، وهو مقام فوق ربوة مرتفعة قليلا والصعود الى مدخله عن طريق درج يرتفع الى خمسة امتار وعند الباب يميل شمالا حيث دهليز يستمر فى الارتفاع ، وهو بمبان تعلوه وعلى جانب هذا الدهليز عدة أبواب صغيرة ولها أبواب مزدوجة من أسياخ الحديد وكانت تستخدم سجونا مركزية ، ونظرة واحدة اليها كفيلة بأن تعطى فكرة كاملة عن مدى القسوة التى كان يلقاها من تشاء السلطة وقتها أن تبطش به وتنكل ، فهو بعيد عن أى مقياس انسانى بعد السماء عن الارض . وبعد الخروج من دهليز البطش هذا وجدتنى فوق سطح المحافظة ، حيث متحف للفنون الجميلة يضم لوحات وتماثيل وكلها من الانتاج الذى جاء بعد الثورة . وبعد ذلك مررنا فى دهليز مكشوف يؤدى فى جانب منه الى قاعة غير مسقوفة كانت تستخدم فى الاستقبالات الرسمية وضعت فى صدرها منصة عالية لها سقف ضيق يحمله عمودان خشبيان مزخرفان . وبعد خروجنا من هناك صعدنا بضع درجات الى مساحة غير مغطاة ثم صالة فى المواجهة تؤدى اليها عدة درجات حجرية ، حيث اقيم متحف لما قبل الثورة . وهناك رسوم وصور تعبر عما كان يلاقيه المواطنون من تنكيل وقتل وتعذيب منها صورة جلد « صدر الدين عينز » على ظهره ٧٠ جلدة سنة ١٩١٧ ، والى جانب ذلك آلات التعذيب المختلفة وملابس الحكام المطرزة وبيانات واحصاءات عن جرائم القيصرية ضد شعوب آسيا الوسطى . ونزلنا من هذه البناية التى تعطى فكرة القلعة فى نفس الوقت .

وتوجد الآن فى « بخارى » ٣٥ مدرسة ابتدائية ، ٩ مدارس متخصصة ثانوية ، ومدرسة واحدة للمعلمين وأخرى مسائية للتدريب الهندسى ويتم سنويا تخريج ٧٠٠٠ معلم .

وفى كل سنة يتم انتقال ٥٠٠ عائلة الى مساكن حديثة .

وعندما كانت بخارى محصورة داخل السور قديما ، لم تكن بها أى مساحة تكفى لزراعة الخضرة والحدائق ، أما اليوم ، وبعد قيام الثورة فقد بدأت المساحة الخضراء تظهر وتتزايد داخل المدينة لتؤدى دورها فى تلطيف الجو القارى القائظ ولزيادة وسائل النزهة .

وتعتبر « بخارى » قبلة السياح من كل الأنحاء وفى كل فصول السنة ، ومع مرور الزمن تتزايد اعدادهم الى الدرجة التى دعت الى التفكير فى انشاء مطار دولى هناك بحيث تستقبل الطائرات مباشرة بدون الهبوط فى موسكو كما هو جار الآن .



— مدينة سمرقند لسنة ٢٥٠٠ « حفر على الخشب » للرسام ك . باشاروف

فى سمرقند

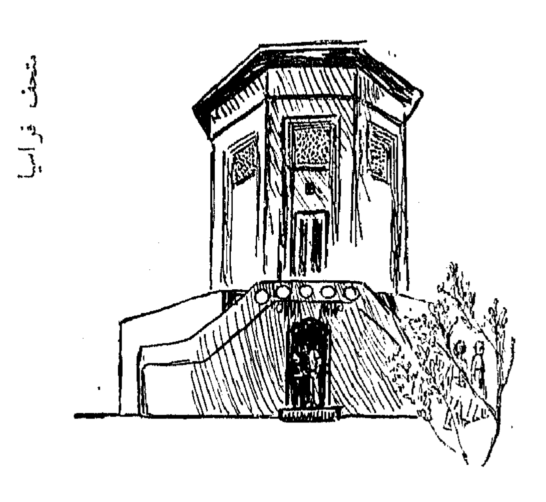
فى كثير من أنحاء الأرض مدن تحوط بتاريخها الأساطير وأشباه الخرافات ولكن تكاد سمرقند تكون أعجبها حقا ، حتى ليكاد الانسان يتصور ترابها وقد خلط بماء الأسطورة . فحيثما مشيت ستجد أثرا قديما تصاحبه قصة من الأساطير العجيبة . ولعل أول الحقائق الثابتة ، أن

سمرقند من أقدم مدن الأرض ، حيث أنها انشئت منذ ٢٥٠٠ سنة . وهى تقوم على أرض مساحتها ٢٩ كيلو متر مربع وتعدادها الآن يصل الى ٣٠٠ الف نسمة . وقد يكون من أسباب تعلق الاساطير بها هو التاريخ الغنى بالاحداث الضخمة التى عاشتها هذه المدينة والتى تعرضت لهجمات ضارية مدمرة منذ القدم . ففى سنة ٧٢٩ قبل الميلاد احتلها الاسكندر الاكبر ودمرها تماما ثم أعاد بناءها وجدد آبارها . وفى القرن الحادى عشر غزاها العرب وفى القرن الثالث عشر اجتاحتها جحافل المغول بقيادة « جنكيزخان » الذى دمرها بكاملها وقتل من أهلها ٣٠٠ ألف نفس وأسر ٣٠ ألفا من الاهالى .

وتستحق « سمرقند » أن يطلق عليها أسم « متحف التاريخ » ، فلكل أثر من آثارها حكايات ترتبط فى أذهان العالم بأسماء مشهورة ، مثل « تيمورلنك » ولنبدأ ببعض الآثار .

متحف « فراسيا » وهو مقام على قمة ربوة عالية نصل اليها بدرج حجرى وسط أشجار الورود والزهور وأشجار الزينة المتوسطة الارتفاع . وهو بناء مقام من طابقين ، حيث يوجد فى الطابق الأراضى مجموعة من الصور المختلفة من فوتوغرافية الى رسوم زيتية ورسوم بالريشة ، مع مخطوطات اصلية ، وكلها حول احدى العبقريات التى ساهمت فى بناء الحضارة الانسانية . وهى شخصية « أوليغ بك » حفيد « تيمورلنك » وهو الذى تولى الحكم بعد وفاته . وكان مهتما بالفلك وبالارصاد . والمخطوطات الموجودة بالمتحف تؤكد ما وصل اليه « أوليغ بك » من توفيق علمى ظهرت حديثا الدلائل على صحته . ففى لوحة يوجد غلاف لكتاب من مطبوعات « أوكسفورد » باسم (جداول مواضع ثوابت الطول والعرض) باللغة العربية ، وفى داخل الكتاب تسجيل لاكتشافه لعدد من النجوم والكواكب عددها ١٠١٨ ، وكذلك سجل لعدد ٦٠٨٣ من مدن العالم وقتها ، وفيه ما يفيد أنه أكتشف بالعلم والتجربة والمتابعة أن طول السنة هو ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٠ دقائق وثمانى ثوان ، وقد جاء بعد ذلك بزمن طويل العالم الانجليزى « نيوكومب » ليؤكد أن الفارق بين هذا التقدير وما وصل اليه التحقيق العلمى الحديث لا يزيد الا دقيقة وثانية ، فما وصل اليه « أوليغ بك » صحيح فى الايام والساعات ، ولكن صحة طول الدقائق هى تسعة بدلا من عشرة والثوانى ستة بدلا من ثمانية . أن الذى توصل اليه « أوليغ بك » منذ خمسة قرون ونصف يصح اعتباره عملا خارقا للعادة ومعجزا فى نفس الوقت . ولكن هذا ما حدث بالفعل . الى جانب هذا توجد رسوم للمرصد الذى بناه لاجراء تجاربه العلمية والذى توجد باقى آثاره فى مكان مجاور للمتحف فوق الربوة وهو الجزء الذى نجا من الدمار بعد أن تآمر ابن أوليغ بك مع بعض القادة على قتله ونفذوا مؤامرتهم ثم دمر كل شيء أمكن تدميره ، وقد

سجل أحد الرسامين على لوحة زيتية صغيرة الحجم (٤٠ × ٦٠ سنتيمترا) عملية اعدام العالم الكبير « أوليغ بك » وهى من معروضات هذا المتحف .
وفى المتحف تعرض الأدلة العلمية الكافية لاثبات أن الجمجمتين اللتين عثر عليهما « لتيمور وحفيده أوليغ بك » ومعهما صورة فوتوغرافيـة للأستاذ العالم الباحث الاثرى والنحات « جيراسيموف » ، هذا الى جـانب عديد من المطبوعات المترجمة لأعمال « أوليغ بك » باللغات الأوروبية جميعها .
وفى الطابق الثانى من المتحف تعرض بعض الاثار القديمة من أسلحة وملابس وأدوات . وأمام المتحف يوجد شاهد لمقبرة يحيط به سور صغير من أسياخ الحديد وهو يضم رفات أول من قام بأعمال الحفر والبحث عن الاثار وهو الاستاذ « فيادكين » المتوفى سنة ١٩٣٢ .
وقبل أن أغادر هذه الربوة التاريخية ، ألقيت نظرة على المدينة التى كانت تبدو منبسـطة فى منخفض الوادى ورأيت المكـان الـذى وقف أمام ربواته المرتفعة جنكيزخان قبل اجتياحها ، بينمـا كان هناك تمثال كبير أقيم حديثا « لأوليغ بك » وهو ينظر نحو الأفق .
وذهبنا الى ربوة أخرى فى طرف آخر من أطراف سمرقند القديمة ، حيث توجد « مدينة الموتى » وهناك وقفت « ايناس » الفتاة الجميلة التى



المتحف

قامت بدور الدليل السياحى لنا ، لتحكى قصة هذه المدينة .. مدينة الموتى .
أنه عندما جاء العرب بقيادة « قثم بن عباس » كانت نظرة الناس اليه باعتباره غازيا تجعله محل كراهية ، وبينما كان « قثم » يصلى فوق هذه الربوة ، جاءه شاب متحمس لوطنه وضربـه بالسيف ضربـة فصلت رأسه عن جسده ، وكان وقتها ساجدا ، ثم أخذ رأسه ودفنها تحت سفح الربوة فنبت حولها بستان مزدهر ، وسمع الناس هاتفا يقول لهم :
من يريد التقرب الى الله فليدفن بجوارى فوق هذا التل .

وعندما سألتها ، كيف تقول أنه بعد أن ضربه الشاب بالسيف استمر يصلى ، قالت لى وكأنها لا تدافع عن هذا القول :

هكذا تقول الرواية ، ولكنى لم أشاهد ما حدث بعينى ، أنا فقط انقل ما يقال . وقد فسرت هذا بتصور بسيط لما حدث ، وهو أن الساجد اذا ضربت رقبته ، فمن الممكن أن يظل ساجدا ، وهذا يفسر أنه استمر يصلى .

وفى هذه المدينة عديد من الأضرحة المشيدة على الهندسة الاسلامية الأوزبيكية حيث تغطيها نقوش بالسيراميك البديع الألوان والزخارف فى كل بوصة من مساحاتها ، وكأنها خلية نحل جميلة الألوان ويشترك الخط العربى الحسن التنظيم فى تسجيل بعض الآيات القرآنية والأسماء والتواريخ والحكم المأثورة . والعجيب أن أحد الأضرحة مكتوب عليه اسم الفنان الذى زخرفه واسمه « الأسطى على بخارى » ولا يوجد أى أثر لاسم صاحب الضريح . وهناك وجدت قبر « بوروندوك » أحد قواد تيمورلنك وهو بسيط بالنسبة لغيره . كما تتعدد كتابات أسماء الفنانين والمزخرفين الذى



« إيناس » المترجمة الحسناء

اشتغلوا فى هذه الأضرحة ، مثل « الأسطى على من كارشى » والأسطى زكريا الدين من سمرقند » . ويوجد قبر لزوجة تيمورلنك « طومان آكا » وهى من اذربيجان وقد بنت ضريحها قبل أن تموت .

أما ضريح « قثم » فهو أضخمها كلها وله باب من ضرفتين كان فى عهده مغطى بالذهب ويسمى « مدخل الجنة » وهو يؤدى الى بهو متسع فى نهايته باب على اليمين تصعد اليه بعدة درجات ليؤدى الى صالة واسعة كانت مسجدا وقد بناه « تيمورلنك » فى القرن الرابع عشر وكان منقشى بالسيراميك من الأرضية الى الحوائط والسقف . وفى الجهة المقابلة للمدخل

شباك من الخشب المعشق تتخلله فراغات صغيرة ومنتشرة فى مساحته تظهر من خلفه أضواء غرفة المدفن حيث يوجد قبر « قثم » . وبجوار هذا الشباك باب منخفض الارتفاع وهو مغلق دائما ولا يفتح الا فى الاعياد الدينية لكى يدخل الجمهور ليؤدى صلاة العيد أمام القبر للتبرك .

وعند العودة كنت على وشك نزول الدرج الحجرى الواسع (٨ أمتار) والذى يصل عدد درجاته الى الخمسين درجة ، عندما نادتنى « ايناس » وطلبت منى أن أنزل درجة درجة وأن أحصى عددها ، كما هو متبع بين الزائرين هناك ، ولكنى كنت قد وصلت من الارهاق الى حد رغبت فيه أن تحملنى طائرة الى الفندق حتى أخلع ملابسى وأهرب من القيظ الشديد وأنام ، فلم انفذ هذه النصيحة ، وقفزت الدرج قفزا حتى وصلت الى السيارة فألقيت بجسمى على مقعدها الوثير .

وصممت على أن نذهب الى تناول الغداء وبعض الراحة ثم نواصل جولتنا ، وقد كان ما أردت .

وكانت الزيارة الثانية ، لمكان أثرى كبير تبدو عليه آثار التدمير وعوامل الزمن ، ولم تبق فيه سوى ثلاثة جوانب ، تقوم عليها حوائط ضخمة ، وفى تقديرى أن مساحة هذه المنطقة الأثرية تكاد تصل الى ٤٠٠ × ٤٠٠ متر . وفى الجوانب الثلاثة يصل سمك الحوائط الى خمسة أمتار من الطوب الأجر ، وفى كل حائط بوابة عالية شاهقة يصل ارتفاعها الى حوالى العشرين مترا واتساعها تسعة أمتار ، والمسافة التى فى الوسط مليئة بأكوام من الطوب المنهار ، وبينما كنت واقفا أتأمل المكان كانت « ايناس » تحكى لى ما تردد عن هذا الأثر :

عندما كان تيمورلنك فى حملة غزو الهند ، طلبت زوجته « بيبى خانوم » أن يبنى لها مسجدا كبيرا فى « سمرقند » ودفعت كل جواهرها لهذا الغرض . وكان المهندس الشاب الذى تولى هذا العمل يحب « بيبى خانوم » وكانت المبانى التى أقامتها تهبط وتغوص فى الأرض ، ويبدو أن السبب هو أن



« بيبى خانوم » كانت تتعجل اتمامه ولهذا لم يكن الأساس بالعمق الكافى معماريا . وقد سألته « بيبى خانوم » عن سبب تأخيره وهددته بالقتل . ولانه كان يخشى أن يكشف لها عما فى قلبه وامنيته أن يقبلها ، أحضر كوبتين وقال لها :

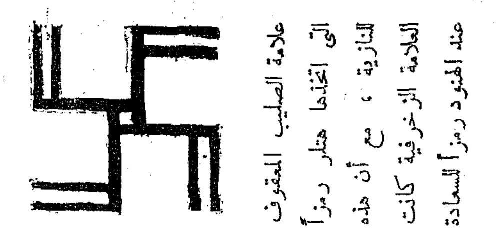
اذا شربت واحدة فانه لا يحدث شيء ، ولكن اذا أنا شربت الثانية احترق بالحب .

وعندما عاد « تيمورلنك » عرف بما حدث ، ولم يصـدق أن يحدث هذا لزوجته ، وأرسل فى طلب المهندس الذى اختفى ولم يظهـر لـه أثر ، فأراد أن يحول بين زوجته وبين أن يرى وجهها أحد غيره ، فأمر بأن ترتدى النساء الحجاب منذ ذلك الحين .

وبينما كنت أستعرض ما قالته « ايناس » ومدى معقوليته ، اذا بها تعلن لى بأن هذه الحكاية التى شاعت زمنا طويلا قد انتهت ، وأما الحقيقة فهى ان السراى بنتها « بيبى خانوم » أما الجامـع فقد بنـاه « تيمورلنك » بمناسبة فتحه للهند وكان فى الاصل أربعة جوامع على الجهات الأربع ، ولكنه اهتز قبل الانتهاء من بنائه وتداعت أجزاء منه .

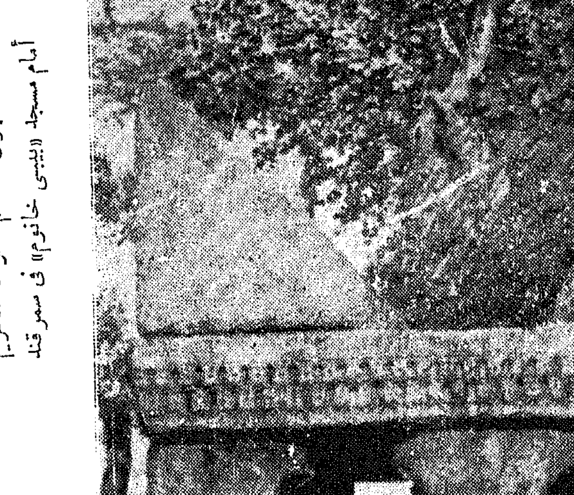
وفى الميدان الذى يتوسط هذا المكان توجد قاعدة عرضها ثلاثة أمتار اقيمت عليها منضدة حجرية فوقها صفحتان من الحجر أعـدت لتوضع فيها نسخة من القرآن للتلاوة منها فى الاحتفالات الدينية والمناسبات الكبيرة .

وما أن انتهينا من هذه المشاهد حتى نقلتنا السيارة الى أثر ثالث على مقربة من هنـاك ، حيث مساحة أصغر بعض الشىء من سابقتها ، مقـام على ثلاثة من أضلاعها عمارات ثلاث ، كل واحدة عبارة عن مدرسـة . وقد بنى المدرسة الاولى « أوليغ بك » وهى أيضا عبارة عن مساحة حائطية عالية جدا تتوسطها بوابة ضخمـة ، وعلى جانبيهـا مئذنتـان ، وكلهـا مغطاة



علامة الصليب المعقوف التى اتخذها هتلر رمزاً النازية ، مع أن هذه العلامة الزخرفية كانت عند الهنود رمزاً للسعادة

بالسيراميك ويغلب عليه الألوان الزرقاء . وكانت فى زمانها محاطة بسوق تجارى ، وفى القـرن الخامس عشر كـانت تضم ٥٢ تلميـذاً ، وبجوارها كانت بيوت المدرسين . وكانت مكشوفة ولهذا كان البرد شديدا الى درجة تمنع المدرس من الالتفات ، ولهـذا لم يكن لهـا شأن يذكـر . ويقابـل هذا الجامع ، جامع آخر بنفس الحجم ولكنه أكثر فخامة وقد بناه « يالابختوش » فى القرن السابع عشر وهو فى الجهة الشرقيـة من الميـدان ، خلف هـذا الحائط ، توجد بنايات من طابقين على شكل مربع يتوسطهـا حوش حجرى ، وفى هذه البنايات حجرات للدراسة ومأوى للطلبة والمدرسين ، وتتسع لأكثر من ١٠٠ تلميذ . وأعجب أثر أمام هذه المدرسة ، هو قبر لا يكـاد يرتفـع عن الأرض لاكثر من قدم واحدة ، وهو للجزار الذى كان يقدم ذبائحه للمدرسة بدون مقابل سوى أن يدفن أمامها ، وكان له ما اراد . وعلى واجهة المدرسة نقوش



مسند حجري ضخم للقرآن الكريم
أمام مسجد «بيبي خانوم» في سمرقند

وزخارف ، منها أسدان على قمة اليمين واليسار ، ولهذا سميت المدرسة باسم « شيردور » أي « ذات الأسود » . وفي هذه المدرسة تعلم حمزة حليم زاده نيازي ، كما ان مدرسة « أوليغ باك تعلم فيها المفكر الكبير « على شيرنوائي » .

وقد لفت نظري نقش واحد يتوسط الزخارف ، وهو على هيئة تصميم الصليب المعقوف الذي اتخذه هتلر رمزا للنازية ، وتعجبت ، وسالت عن معناه ، فقيل لي أن الهنود كانوا يتخذونه رمزا للسعادة ، وهو بالطبع أثر قديم .

أما المدرسة الثالثة ، فهي تسمى « تيللاكورس » ومعناها « المصنوعة من الذهب » وقد شيدت بعد المدرسة الثانية بسبعة عشر عاما وقد بدأ انشاءها نفس الشخص ، ولكنه توفي قبل اتمامها فظلت معطلة عن الاتمام ولم يستفد منها ، وكانت مغطاة بمساحات زخرفية كثيرة باللون الذهبي .

ووسط هذه المدارس ، يوجد ميدان واسع لا يشغله اي شيء من المباني ، وهو مرصوف بالحجارة السوداء والبيضاء وهذا الرصف حديث . ولو نظرت اليه من ارتفاع كاف فمن الممكن أن تقراء على حجارته رقم السنة التي قامت فيها الثورة « ١٩١٧ » .

ولهذا الميدان ذكرى فى تاريخ المنطقة ، ففيه عقد أول مؤتمر عام وحضره « كالينين » حيث تم اعلان قيام الجمهورية .

وقد حدث فى هذا المؤتمر ، وبعد أن سمع الالوف من الناس المبادىء التى قامت عليها الثورة ، وكان من بينها تحرير المراة ، أن تحمست احدى النساء المحجبات — وكلهن كن محجبات — فخلعت حجابها واحرقته أمام الملا . وفى اليوم التالى وجدت مقتولة بيد زوجها . وكانت النتيجة أن اندلعت بين النساء موجة من الاحتجاج والشعور الغريزى بالحق الانسانى لهن ، فاجتمع منهن مئات ، ثم تجمعن فى نفس المكان وخلعن عنهن الحجب ثم حرقنه فى مشهد كبير ، معلنات وقوفهن الى جانب قرار تحرير المرأة ومواجهة الرجال المتخلفين حضاريا بالتحدى الى آخر مدى . ولم تقتل منهن بعد ذلك واحدة .

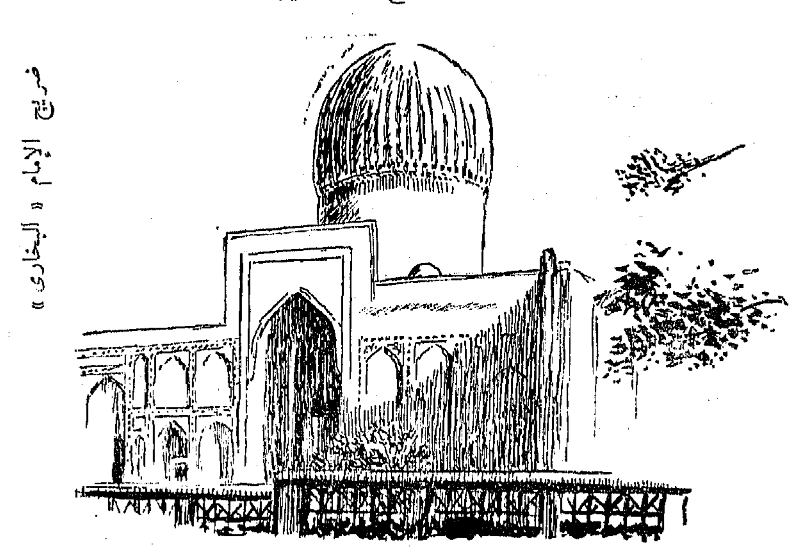
وبينما كنت اغادر المكان ، اخذت أتأمل هذه الأحداث ، واتأمل كيف يكون الانسان مستعدا لتقديم أغلى ما يملك — وهى حياته — فى سبيل التعبير عن حق من حقوقه ، بعد أن كان راضخا لأوضاع تعود عليها منذ ولد يمضغ آلامها صامتا ، حتى انطلقت فى سمائه دعوة للتحرر من سيطرة التقاليد البالية ، فاذا هذا الكائن الذى عاش أجيالا يتوارث العبودية ، يهب لينفض عنه غبار الاجيال ، وكأنها غفوة يوم أو ليلة فحسب .

ومن الاثار الهامة فى « سمرقند » ضريح الكبار واسمه « جور امير » أو ضريح الأمراء . وقد بناه تيمور لابنه الأكبر « محمد سلطان » الذى كان يرجو أن يخلفه فى الملك ، ولكنه مات وهو فى الثانية عشرة من عمره . وقد تم بناؤه فى سنة ، ولكن تيمورلنك لم تعجبه القبة ، وأراد هدمه وبناء غيره كما يرى ، ولكن أوليغ بك وذوى الرأى عارضوا هذا ، وانتهى الأمر ببناء قبة ثانية اكبر فوق القبة التى لم تعجبه ، وقد توفى تيمورلنك فى « اوترار » فى جمهورية « كازاخستان » وهو فى طريقه الى غزو الصين ، ويقال أنه مات باحد امراض رشح البرد ، فعاد به « أوليغ بك » ودفنه فى هذا الضريح ، وفى حديقة الضريح يوجد مكعب حجرى من الرخام الرخيص وبه زخارف ، امرش تيمورلنك .

ودخلنا الضريح ، فاذا بالقبة من الداخل مزخرفة بأشكال دقيقة الصنع من الذهب ومكتوب فيها (سعيد ذلك الذى يرفض الحياة قبل أن ترفضه) وقد تكلفت هذه القبة ٢٢٠٠ جرام من الذهب ، ويتدلى من القبة مصباح من الجواهر النفيسة ، أما الأرض فمغطاة بالرخام . وتحت القبة مباشرة توجد خمس قطع من الصخر علامات على خمسة مقابر ، الأولى قبر « مرسيت بيركبه » الأب الروحى لتيمورلنك وهو فى المقدمة ، وخلفه قبر تيمورلنك ، من حجر اخضر غامق جلبه من الهند أوليغ بك ، وبجواره قبر لولدى تيمور

« ميران شاخ » و « شاخ روخ » وعلى بعد متــر ونصف يوجد قبر « امــير سعيد أمير » الساقى الخاص لتيمورلنك . والقبر الخامس لابنــه « محمد سلطان » .

وقد حدث أن « شيخ نادر الايرانى » غزا « سمرقند » وأخــذ الحجر



ضريح الإمام « البخارى »

الأخضر من فوق قبر تيمورلنك ، ونظرا لثقله حطمه الى قطعتين وعاد به الى بلده ، وفى منتصف الطريق مات ، فأعيد الى مكانه فورا .

وعند اكتشاف المقبرة ، تم رفع الشواهد التى عليها فلم يعثر فيها على جثث بل كانت فارغة . وظل البحث والتنقيب حتى أمكن العثور على مقابــر أخرى بنفس النظام ولكن على عمق أربعة أمتار تحتها مباشرة فى قبر يوصل اليه درج حجرى . وقد وجد على قبر تيمورلنك الحجرى نقوش فيها تحذير لكل من يعبث بقبره أنه سيصاب بالمتاعب وتجتاح الحروب العــالم ، وكان ذلك يوم ٢١ يونية ١٩٤١ ، وعندما رفع غطاء القبــر وجــدت فيــه جثة تيمورلنك وفى اليوم التالى اجتاحت جحافل النازية حدود الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية . وقد استمرت الدراســات العلميــة على رفات تيمورلنك ثم أعيد الى مكانه وأقفل القبر فى فبراير ١٩٤٣ ، والعجيب أنه فى هذه الفترة من الزمن وبعد قليل ، بدأت معركة ستالينجراد تأخذ مجراها الذى انتهى بمحاصرة « فــرن ياولوس » وأسر مئــات الألوف مــن القوات النازية ، واعقبها الهجوم الكاسح الذى انتهى بدخول برلين والقضاء النهائى على النازية فى عقر دارها .

وغير هذا من الأماكن الأثرية فى سمرقند ، شاهدت السوق التجارية القديمة ، وهى مقامة تحت قباب متجاورة تكون فى مجموعها سطحا تغطى المحلات المعدة لبيع الانتاج المحلى ، حيث المنسوجات الحريرية وصناديق

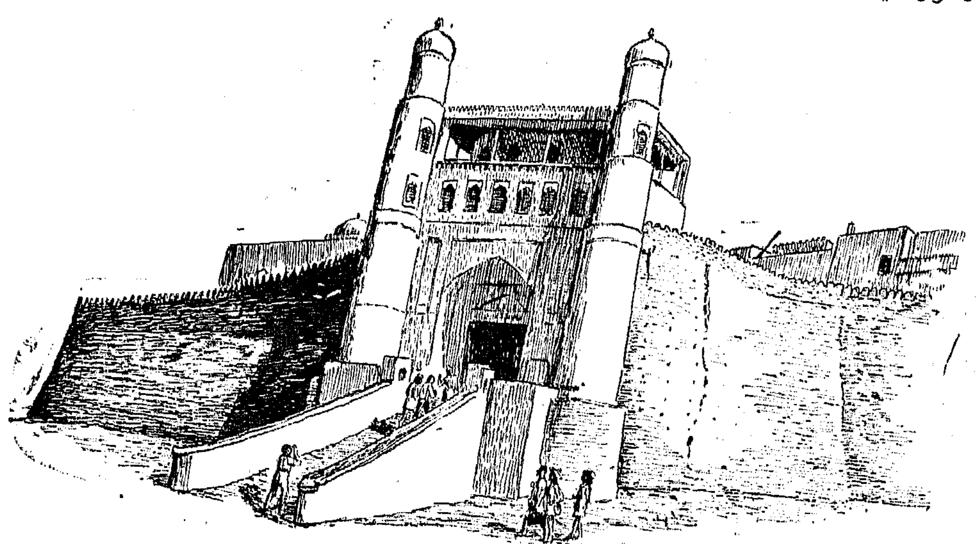
الملابس التى تشبه تماما صناديق ملابس الفلاحين فى مصر ، وتنتشر الى جانب هذه الاثار وفى أنحاء من المدينة عدة آبار عجيبة الشكل والتكوين فالبئر تتكون من أربعة أضلاع عرض كل ضلع عشرون مترا تقريبا وفى كل ضلع درجات حجرية تتجه مائلة نحو الوسط ، بحيث يكون قاع البئر فى حدود عشرة أمتار أو أكثر قليلا لكل ضلع ، وكانت فى زمانها مصدر المياه فى المدينة حيث ينزل الناس لملء الاوانى منها .

ولكن سمرقند ليست مدينة الماضى فقط ، ففيها الآن حركة تعمير وتطوير نشطه . فهناك ٦ معاهد عليا ، وبها جامعة تشمل ١١ قسم دراسة تخصصية ، فيها خمسون ألف تلميذ ، وبها معهد عمارة يضم ٦ أقسام ومعهد طبى (أنشىء ١٩٣٠) يدرس به ٦٠٠ طالب مسلم ومعهد بيداوجى لمعلمى الجمهورية ، الى جوار مدارس مهنية عديدة ومدارس عليا ، ومعسكرات صيفية للأطفال .

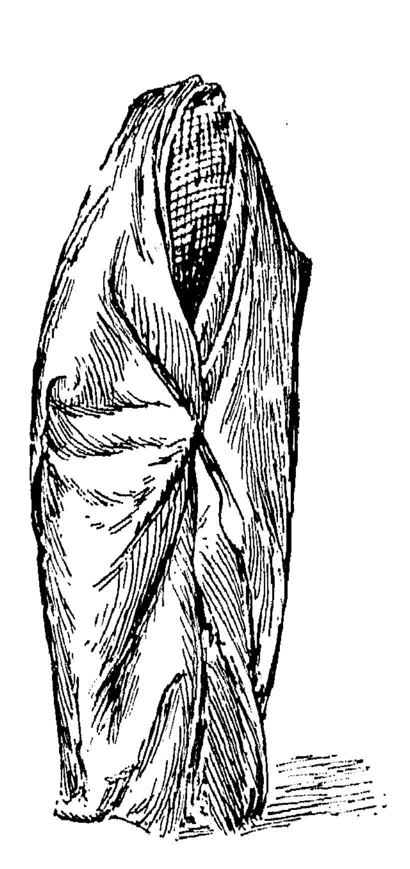
وكانت فى سمرقند مكتبة واحدة أنشأها « فارسوف » سنة ١٩٠٨ . والآن بها ١٦ مكتبة (دار كتب) أكبرها مكتبة الجامعة التى تحتوى على عدة آلاف من المجلدات .

ولم يكن فى سمرقند الا ١٩ طبيبا قبل الثورة ، أما الآن فانه لكل ٨٠٠٠ مواطن يوجد ٦٥ طبيبا . ولم يكن هناك الا مستشفيان اثنان ، والآن يوجد أكثر من ١٠٠ مستشفى .

وفى كل سنة يضاف الى المساكن ٢٠٠ ألف متر مربع من العمارة الحديثة . وتصدر فى سمرقند جريدة « طريق لينين » باللغتين الأوزبيكية والروسية .



— مبنى المحافظة القديم مركز السلطة القيصرية فى قمع شعوب المنطقة حيث السجن داخله



صدق أو لا تصدق .. كان هذا هو ....

عن النصف الحلو

احيانا اتصور نفسى فى أيام الحكم القيصرى لبلاد آسيا الوسطى ، وانا سائر فى احدى الطرقات ليلا ، واواجه شبحا فى الظلام يتحرك أمامى ، ويتملكنى الخوف فأسارع بالالتجاء الى أقرب مكان بعيد عن طريقه حتى يمر ويبتعد . والآن اضحك من نفسى بعد أن عرفت أن هذا الشبح لم يكن سوى امرأة أوزبيكية بالملابس القومية .

لقد عاشت المرأة الأوزبيكية أسوأ نوع من الحياة قبل الثورة ، ففى ظروف القهر الاستعمارى القيصرى وانحطاط مستوى المعيشة الى أدنى مستوى ، كانت المرأة تحمل ــ بجانب كل هذا ــ وضعا عبوديا مهينا أهدر آخر ما تبقى لديها من قيمة أنسانية . فهى بالنسبة لأبيها ــ ثم لزوجها ــ تعتبر متاعا من ضمن ممتلكاته الخاصة . لهذا فرض عليها أن ترتدى عباءة فضفاضة داكنة اللون من الصوف والوبر الرخيص تغطيها من قمة رأسها الى اخمص القدمين ، وفى مكان الوجه فتحة ضيقة ينسدل وراءها نسيج من شعر الخيل ، وبهذا تختفى كلها داخل هذا الرداء . وكان محرما عليها أن تخرج الى الطريق ــ اذا دعت الضرورة لذلك ــ الا وهى داخل هذا

الحجاب الكلى . أما حياتها فى البيت ، فهى لا تظهر لأى رجل سوى زوجها ، وهى محرومة من رؤية الطريق لأن البيوت لم يكن لها نوافذ على الشارع غير الباب الوحيد . وهذا الوضع كان ينفذ بأقصى درجات الصرامة والقسوة وما كان ممكنا اغفاله تحت أى ظروف .

فى مثل هذه الظروف ، لم يتجاوز عدد النساء القادرات على القراءة والكتابة سوى ٢٩٥٢ متعلمة . ومن بين نساء ناحية « ناربای » فى مقاطعة « سمرقند » البالغ عددهن ٢٣٢٢١ امرأة لم يتلق التعليم الاولى سوى ١٤ امرأة .

هذا هو الوضع الذى جاءت الثورة فوجدت المرأة الأوزبيكية عليه . ولعلها تجربة فريدة فى بابها من بين تجارب الشعوب ، جديرة بالنظر والمعاينة ، ولنبدأ بقول « ماركس » فى هذا الصدد :

(أن تطوير المجتمع لا بد وأن يرتبط بما يمكن أن تقدمه المرأة) .

وجاء المخطط ليضع تصميما نموذجيا مفصلا على ظروف حياة المنطقة . وكانت البداية ، فأنشئت شبكة من النوادى النسائية الخاصة فى جميع أرجاء الجمهورية ، وخصصت لادارة هذه النوادى كوادر من النساء المدربات على الادارة والارشاد الصحى والتعليم ، نظمت حملة جذب للنساء لا رتياد هذه النوادى بغرض الاستماع الى قراءات من المجلات والصحف الدورية ، ثم أضيف الى انشطة هذه النوادى تعليم النساء أصول التفصيل والخياطة ، والى جوار ذلك اقيمت أمسيات لسماع الموسيقى والغناء الى جانب مناقشة النساء فى مشكلات تربية الاطفال . وكانت المرأة الأوزبيكية تحضر محجبة وبخاصة فى المرحلة الاولى للسلطة السوفيتية .

وعندما وصل مستوى التعود على الحياة الاجتماعية الجديدة مرحلة معقولة عندئذ فقط أنشئت للنساء مدارس لتعليم القراءة والكتابة . وقد اظهرت عملية انشاء شبكة واسعة من المدارس النسائية الخاصة للقراءة والكتابة ، أن الحاجة ملحة لايجاد عدد كبير من المعلمات . ولهذا استخدمت هذه المدارس ذاتها فى اعداد المعلمات كخطوة أولى ، ثم أعقبها انشاء دور خاصة للمعلمات ومعاهد للتثقيف وقد نظمت بالجمهورية فى العام الدراسى ١٩٢٠ ــ ١٩٢١ حيث كانت النساء يحصلن على تعليم ثانوى ، وهؤلاء كان لهن دور كبير فى التدريس داخل عشرين مدرسة . ففى عام ١٩٢٣ ــ ١٩٢٤ مثلا ، كانت تدرس فى دار المعلمات بطشقند ٦٣٠ امرأة ، ثم اشتركن جميعهن مع الطالبات فى حملة مكافحة الأمية بين النساء .

وفى العام الدراسى ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ كان تعداد المتعلمات ١٠.٥ آلاف امرأة . ولم تكن غرف التدريس تكفى للاعداد الكبيرة الراغبة فى محو الأمية . ففى سمرقند كان النقص قد وصل الى ١٩٢٠ غرفة تدريس . ولم تكن الجمهورية الوليدة بقادرة على اعداد أبنية جديدة ، لاهتمامها

باعادة بناء الاقتصاد الوطنى الذى دمرته الحروب . فاستخدمت المبانى الصالحة نوعا ما ، كالنوادى القروية ونوادى المشروعات والمؤسسات ... وما الى ذلك . وفى كثير من الأحوال كانت الدروس تلقى فى « الشايخانات الحمراء » — وهى أماكن فى المنتزهات لتناول الشاى مثل المقاهى فى مصر — وكذلك فى بعض بيوت الأفراد . ذلك أن الشعب ذاته ، وبعد أن استشعر انتماء النظام الجديد له واهتمامه بمصالحه ، قدم بمبادرة أصيلة مساعدات كبيرة للتغلب على مصاعب هذا النقص ، ومثالا على ذلك — أن الفلاحين فى ناحية « يانفيكورغان » بمقاطعة « انديجان » أقاموا ست عشرة بناية مدرسية تحتوى على ثمانين غرفة ، وذلك فى سنة ١٩٢٨ . ومن هذه الأمثلة يوجد العديد .

واليوم ، يكفى أن نلقى نظرة سريعة على أى مكان فى جمهورية أوزبيكستان ، فى العاصمة طشقند كما فى كل جهة من أطراف الريف ، لنرى الدليل الكافى على أن المرأة قد تحررت تماما من ربقة الماضى وأسره وانها تحقق وجودها الاجتماعى والانتاجى فى عديد من المجالات . فهى فى مجال الطب تشكل اغلبية كبيرة ، وتحتكر المرأة — او تكاد — جميع الخدمات فى مجال التجارة ، وتساهم نسبة ملحوظة من النساء فى ادارة المرور وقيادة الترام ، وفى المزارع يساهم بعضهن فى قيادة الجرارات والآلات الزراعية والحاصدة . اما فى المصانع فالمرأة الاوزبيكستانية تشارك الرجل فى كثير من المجالات التى تناسب قدراتها . هذا الى جانب مجالات الهندسة والانشاءات المعمارية ومعامل الابحاث البترولية والكيمائية . أما فى مجال الفنون ، فالمرأة السوفييتية قد خطت مراحل كبيرة وحققت نجاحا مرموقا وبخاصة فى الفنون الشعبية مثل الرقص القومى المتعدد الالوان وأيضا فى الباليه والموسيقى الكلاسيكية والمسرح والسينما .

والمرأة الأوزبيكية تبدو انيقة المظهر بدون اسراف او مبالغة ، فمن النادر ان ترى امرأة تجرى لاهثة وراء الموضة الحديثة ، بل انهن يعتمدن على ذوقهن الخاص فى اتخاذ مظهرن وبكل بساطة ، مع الاهتمام بتصفيف الشعر بغير افتعال وتزايد ، ويشذبن أضافرهن ويصبغنها بالألوان الطبيعية . وتنتشر بينهن الفساتين الحريرية الصنع والتى تنتجها الجمهورية وكانت من قبل ممنوعة على النساء الفقيرات . وتكاد زخارفها تتشابه بين جميع النساء ، كما أن تفصيل هذا الفستان من أبسط ما يكون . فهو بدون حزام فى الوسط ليناسب حرارة الجو ، وله أكمام تصل الى ما قبل الرسغ وهو غير فضفاض ، ويطول الفستان الى ما تحت الركبة .

وخلاصة القول ، أن المرأة الاوزبيكية ، رغم جمالها المعتدل ، وذوق ملبوسها السليم ، فانها تستولى على احترام من يشاهدها قبل أى شيء .

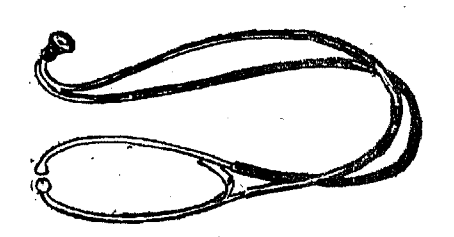


فى صحة الشعب

ظهرت فى منطقة آسيا الوسطى أسماء لعدد من العلماء الذين يسجل لهم تاريخ الطب جهودا وانجازات علمية أضافت الى المعرفة الطبية الكثير مثل « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى » (٨٦٥ - ٩١٠ ميلادية) ويطلق عليه فى الغرب اسم « رازيس » وله مائتا مؤلف فى الطب . وأيضا « أبو على بن سينا » (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

وابتداء من القرنين الثانى عشر والثالث عشر حتى القرن التاسع عشر ، اصيبت العلوم الطبية بانحطاط نتيجة للحروب والغزو المغولى ١٢١٩ مما أدى الى انحطاط اقتصادى كبير اتبعه انحطاط ثقافى أيضا ، وتدهورت الظروف الصحية الى الدرك الادنى .

وفى ١٨٦٨ م افتتح فى طشقند أول مستشفى عسكرى لأفراد القوات المسلحة الروسية . وبعد مرور ربع قرن على احتلال روسيا للبلاد ، أنشىء ٣٣ مستشفى تتسع لعدد ٢٠٤٠ سريرا (منهـا ١٣ مستشفى تضم ٢٤١ سريرا لخدمة ٣ ملايين فرد) وخصص العشرون مستشفى الباقية للجيش الروسى وموظفى القياصرة .



ومن ١٨٩٥ الى ١٩١٣ كان المخصص للخدمة الطبية فى تركستان من ٣ الى ٤ كوبيكات للفرد الواحد سنويا . وحتى قيام الثورة كـان فى رقعة تركستان الحالية ٦٥ مستوصفا تضم ٩٧٦ سريرا و ٣٤ صيدلية و ١٠٢ من الأطباء (بواقع طبيب واحد لكل ٣٤ الف شخص) و ٢٣٤ مساعد طبيب ومولد . ولهذا كانت تنتشر الأوبئة وأمراض التراخوما والسـل والجدرى والتيفود والـدرن الرئوى والجرب ، وكـان احصاء ضحاياهـا يصل الى عشرات الالوف ، ولعل أخطر هذه الأوبئة كانت الملاريا . ففى ١٨٧٢ اصيب من الكوليرا فى منطقة « تشيناز » قرب طشقند ٣٩٧٨ مـات منهم ٢٠١٠ مرضى بنسبة ٦٣٫٥ ٪ ومن الجنود بنسبة ٣٢٫٦ ٪ . وفى ١٨٩٢ اصيب بنفس الوباء فى طشقنـد اعـداد كبيرة ومـات خلال ٨ سنوات منهم ٣٩٦٥ مريضا . وفى سنة ١٩١٤ كان فوق رقعة أوزبيكستان الحاليـة ١٠٢ من الأطباء و ٦٥ مستوصفا و ٣٩ مستشفى (٩٩٨ سريـرا) أمـا مـراكز الاستشارات النسائية على قلتها والتى فتحتها الطبيبات الروسيات ، فلم يكن باستطاعتها أن تقوم بدور ملحوظ فى حماية الامومـة والطفولـة ، فقد كانت نسبة الوفيات مرتفعة للغاية بين الاطفال والنساء عند الوضع .

وقد بدأ تغيير هذا الوضع بعـد قيـام الثورة حيث أنشىء فى جامعة الدولة بطشقند التى انشئت سنة ١٩٢٠ معهد للطب ، ونتيجة لعدم وجود أستاذ واحد قدمت من موسكو مجموعة من الاساتذة والاطباء المتمرسين . وفى ١٩٢٢ خصص مبلـغ ٦٥ الف روبـل ذهبى لشراء أجهـزة مختبرات ومراجع من ألمانيا . وفى الفترة منذ انشاء معهد الطب وحتى انفصل واصبح كلية مستقلة بذاتها (من ١٩٢٠ حتى ١٩٣١) تخرج منهـا الفـا طبيب كان

لهم اثر فعال فى مكافحة الأوبئة والأمراض وفى اعداد كوادر علمية وابحاث ودراسات علمية وكذلك فى تأسيس القاعدة الاكلينيكية ، بالاضافة الى اعداد كوادر متوسطة تعمل بالطب . وفى ١٩٢٤ بدأت الحملة الطبية تؤتى ثمارها بسرعة وبخاصة ضد الأوبئة الخطيرة (الكوليرا والطاعون) وحمى التيفوس الطفحى ومرض الديشتا (وهو مرض جلدى سريع الانتشار) وقد أصيب منه فى بخارى وحدها ما نسبته ٢٠ ٪ من سكانها .

وفى ١٩٢٣ تم تجفيف أحواض المياه ومناطق تجمعها الثابت ، وفى ١٩٣١ تم القضاء على المرض وأعلن فى ١٩٦٢ القضاء التام النهائى على الملاريا فى جميع أنحاء جمهوريات الاتحاد السوفييتى .

وفى ١٩٣٠ افتتح فى سمرقند معهد للطب .

فى ١٩٥٥ افتتح فى انديجان معهد آخر للطب .

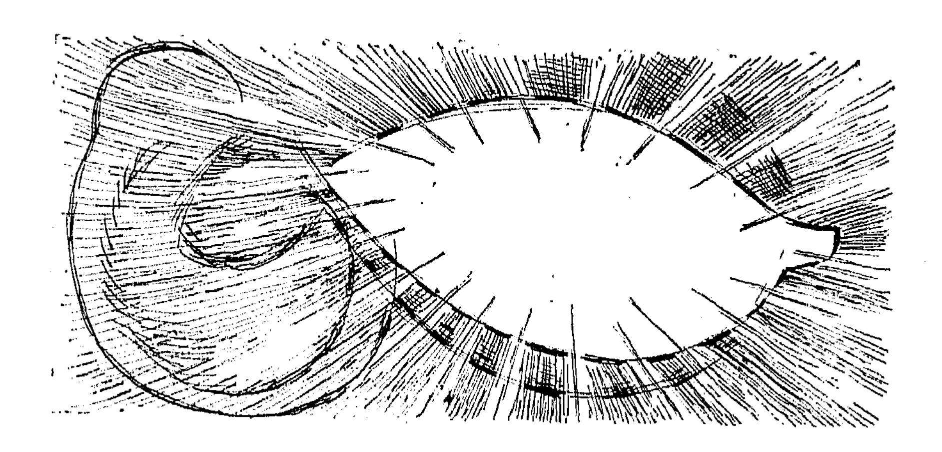
وفى ١٩٦٧ افتتح فى طشقند معهد للصيدلة . ومن هذه المعاهد تخرج حتى عام ١٩٦٧ من الأطباء ٢٤٢٤٤ طبيبا ، وفى يناير ١٩٧٣ كان يوجد فى جميع المعاهد العليا والابحاث العلمية ٢١٣ دكتورا فى العلوم الطبية والبيولوجية بالاضافة الى ٢٧ دكتورا فى فلسفة هذه العلوم .

ويمكن مقارنة التطور الصحى الذى حققته الثورة فى أوزبيكستان بهذه الأرقام :

على اساس طبيب واحد لكل ١٠ آلاف فرد ، كان فى انجلترا سنة ١٩٦٠ نسبة ١٠٫٧ طبيب وفى فرنسا سنة ١٩٦٣ نسبة ١١٫٢ طبيب ، وفى تركيا سنة ١٩٦٢ نسبة ٢٫٤ طبيب وفى أوزبيكستان سنة ١٩٦١ نسبة ١٨٫٣ طبيب ، وهذا احصاء يدل على مدى الانجاز الذى تحقق فى سنوات معدودة .

وقد وصل منسوب متوسط حياة الانسان فى ١٩٦٧ الى ٦٩ سنة .





سمعت ... ثم رأيت

كان اول علمى بالخبر فى صبيحه يوم منذ ثمانى سنوات وبضع شهور . ولم يكن فيما نشرته الصحف ما يحمل تفصيلات أكثر من « أن طشقند تعرضت لزلزال عنيف » أما عن الخسائر والدمار ، فلم أعرفهما الا بعد ذلك بيوم أو اكثر . ولأننا فى مصر لا نتعرض للزلازل كثيرا ، واذا حدث زلزال فانه يكون زلزالا هينا رحيما . لهذا فقد مررت بالخبر كأنه كارثة عادية .

ولكن ، لم تمض أيام حتى عرفت أن الزلزال كان عنيفا ، وأنى أستعيد الآن الصورة التى انطبعت فى مخيلتى من وقتها ، وما زالت ماثلة كأنها وقعت منذ لحظات .

فى فجر السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٦٦ والناس نيام ، وعقرب الساعة يقترب من الدقيقة الثالثة والعشرين بعد الساعة الخامسة ، وما يكاد يثبت على هذه الدقيقة ، حتى اهتزت الأرض لبضع دقائق هزات قوية ، ثم هدأت قليلا . وهب النيام مذعورين ، ثم تلاشت المفاجأة وأدركوا بخبرتهم أن الخطر قائم ، فهرعوا من مساكنهم الى الخارج ، ولكن الطبيعة لم تكن هدأت ، فعاود الزلزال هزاته بعد ذلك وهى تتزايد عنفا وطولا حتى وصلت الى ألف هزة عنيفة . وعندما أفرغت الارض ما فى جعبتها من فورة . كانت عدة آلاف من الافدنة قد تهدمت وتساوت مع الارض تماما ، وكانت عشرات الألوف من العائلات تقف بعيدا عن منطقة الدمار ترقب بيوتها وهى تتحول الى أكوام من الصخور والأخشاب والحدائد .

شيء واحد لم يكن موجودا بين المواطنين من ضحايا الطبيعة ، ذلك هو الجزع . ولو أن هذه الكارثة حدثت قبل ذلك الوقت بنصف قرن ،

لكان من المحتم أن يجزعوا لأنهم بحكم تجاربهم يدركون أن الاستعمار القيصرى لن يهتم كثيرا بما حدث من دمار ، بقدر اهتمامه باعادة بناء قصور البكوات من عملاء الحكم القيصرى وتشييد دور الحكومة ونوادى مرحهم ومتعتهم ولا شيء غير هذا . أما الشعب المحكوم فليس له أى حق اكثر من أن يعيش كسكان الكهوف وأن يعيد بنفسه بناء بيوته كيفما يشاء .

بلا ادنى مبالغة كان هذا هو الذى يحدث لو أن الزلزال تقدم موعده نصف قرن .

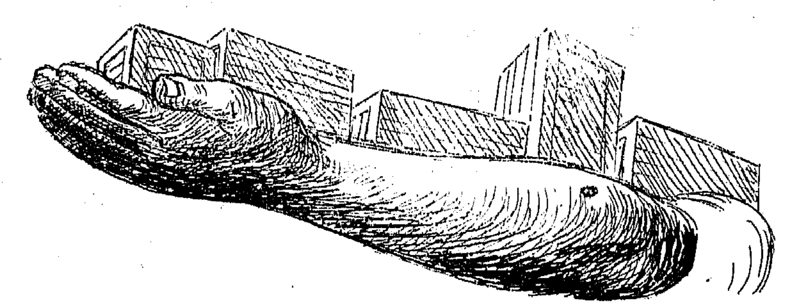
ولكنه — لحسن الحظ — تأخر هذا النصف قرن ، ليقع فى عصر جديد ، تقوم فيه الاشتراكية العلمية بدلا من التسلط الاستعمارى القيصرى ، فالآن يحكم الكادحون ، بدلا من طبقة الاقطاعيين والمستبدين .

لهذا ، كنت والطائرة تحملنى وتقترب من الأراضى الأوزبيكية أتساءل بينى وبين نفسى : ترى ماذا سأرى على أرض طشقند ؟ كم بيتا أمكن بناؤه ، وكم مؤسسة وكم مدرسة وكم مستشفى ... ؟ الى آخر هذه التساؤلات .

وآخيرا ، وصلت الطائرة ، ولمست قدماى أرض مطار طشقند ، بينما اخذت عيناى تتجول حولى دون أن تتبين غير انشاءات عادية مما يوجد فى كل مطار . وانتظرت حتى نصل المدينة والتى تبعد قليلا عن المطار .

وكانت مفاجأة حقيقية لى ، عندما كانت السيارة تطوى الطرقات المرصوفة داخل العاصمة طشقند وأنا أرى على طول هذه الطرقات مئات من العمارات الحديثة الضخمة وسط مئات من الحدائق الوارقة العالية الأشجار ، ومئات من النافورات المتعددة الاحجام والاشكال جميلة التصميم تنتشر فى الميادين كما تتناثر أيضا داخل البساتين والمتنزهات .

حقا أنه العجب .

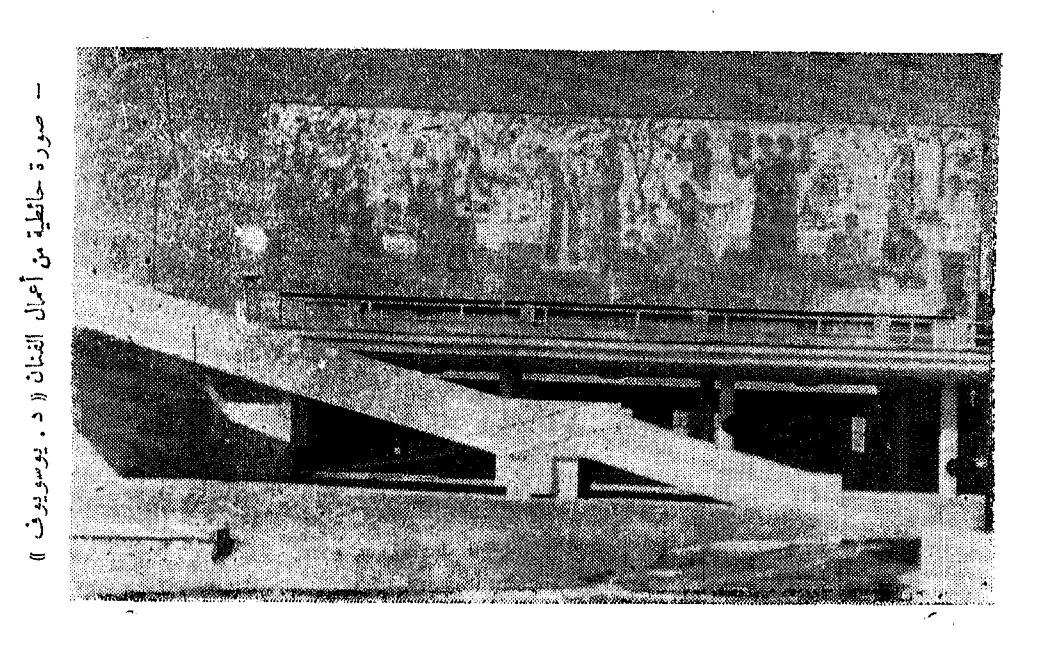


لقد مضت ثمانى سنوات فقط ، فاذا بمدينة عملاقة مترامية الأطراف تقوم وكأنها المارد الخرافى الجبار الذى نقرأ عنه فى الاساطير . ولم تظل دهشتى طويلا ، بعد أن عرفت ما حدث .

فما كادت الكارثة تقع ، حتى هبت جميع الجمهوريات الاشتراكية الأربع عشرة التى تؤلف الاتحاد السوفييتى تقدم العون المطلوب للعاصمة

الشقيقة ، والعون من كل نوع ، من الغذاء ومواد البناء والاسعافات الطبية والملابس والأثاث .... الى الأجهزة العلمية والدراسية من كتب وكراريس . لقد كان بحق مثالا رائعا للتضامن الأخوى بين جمهوريات الاتحاد السوفييتى . ولكى نضع أمام أعيننا صورة لهذه المعاونة الأخوية ، يكفى القول بأنه لم تمض ثلاث سنوات على وقوع الزلزال المدمر حتى أمكن انتقال ٨٠ ألف عائلة الى مساكن جديدة ، وشيدت مدارس تضم ٦٥ ألف مقعد ومؤسسات للاطفال تحتوى على ٣٢ الف مقعد ، بالاضافة الى عديد من مؤسسات العلاج والثقافة والتجارة والخدمات العامة . والى جانب كل هذا ، انشئت المدينة الأوليمبية وقصر للرياضة ومجموعات من معاهد التعليم العالى ، بخلاف العشرات من الحدائق العامة والمتنزهات وأماكن اللهو .

ولهذا ، فان طشقند ، اعترافا بروح الأخوة والتعاون الرائع الذى لقيته من سائر الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، فانها اطلقت اسماء هذه الجمهوريات على عديد من شوارعها واحيائها ، وقد رايت لافتاتها تحمل اسماء « موسكو فى » و « لينينجرادى » و « كييفى » و « بيلوروسى » و « اوكرانى » وهكذا .



صورة حائطية من أعمال الفنان « د . يوسوبوف »

واليوم ، بعد مرور السنوات الثمانى على الكارثة ، تتمتع طشقند بمولدها الجديد ، وكأنها وهى تستعد للاحتفال بمرور الفى سنة على انشائها

فى ٢٨ سبتمبر ، كأنما شاءت لها الظروف أن تتزين كـالعروس بالمنشآت الجديدة التى أبدعت القرائح الفنية فى تخطيطها على آخـر مـا وصلت اليه الهندسة المعمارية من ابداع .

وقد كان لهذا الزلزال ـ غير فضل اعادة بناء طشقند ـ فضل آخر . ففى هذه العاصمة العريقة الشابة انشىء أحـدث معهـد لأبحاث الزلازل ، حتى يتمكن من السيطرة على الاضطرابات الأرضية بالعلم الحديث .

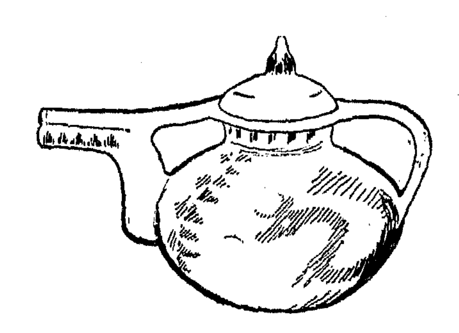
وبهذه المناسبة ، كنت على موعد فى المبنى الجديد لرئاسة الوزراء فى فى ميدان لينين وكانت الساعة الحادية عشرة والنصف ظهر يوم الثلاثاء ٣٠

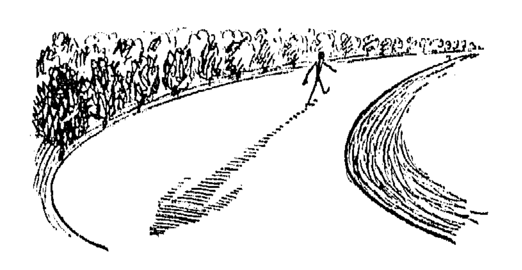


يوليو الماضى عندما شاهدت عشرات الموظفات والموظفين يخرجون زرافات من باب المبنى الشاهق الارتفاع . ومن أحاديثهم عرفت أن زلـزال وقـع منذ قليل واستمر لمـدة خمس دقـائق وأنهـم شعـروا وهـم فى الأدوار العليا بالتأرجح . وعندما التقينا فى موعدنا داخل المبنى قيـل لنا أن هـذ المبانى حديثة ومصممة بحيث تقاوم الزلازل ، فهى مؤسسة على هيكل من الحديد وبهندسة علمية مجربة .

هذا ما رأيت بعد أن كنت سمعت .

وهكذا زال عجبى ، ليحل مكانه اعجابى .





طريق الى الجنة

وجدنا أنفسنا نحن الثلاثة « بوريس وناريمان وأنا » فى أطراف طشقند وكان الوقت ظهرا والشمس فى أوج شدتها ، فاتجهنا نحو حديقة اسمها حديقة « بابيوا » أى الانتصار . وكان البرنامج الذى أعده « ناريمان » لزيارة معرض المنجزات الصناعية الزراعية قد تعذر تنفيذه بسبب اغلاق مبنى العرض للترميمات السنوية . وكانت محنة ناريمان فى هذا الجو القائظ تتضاعف لانه كان يقدم الاعتذارات عن عدم تحضيره لزيارة المعرض بشكل كاف ، وكنت أشارك « بوريس » فى دفعه الى مواصلة الاعتذار بطريقة ــ أو بأخرى ، فناريمان هذا يشجع المرء على مداعبته لخفته ... . ووجدنا أنفسنا نسير بغير برنامج سبق اعداده ، بل بشكل تلقائى ، وكانت الظلال الوارفة قد اعادت الينا بعض الرفق الذى كدنا نفقده تحت سطوة الشمس ولهيبها .

ولم يكن أمامنا أن نختار بين الطرق العديدة تحت هذه الغابة المرتفعة الأشجار ، لان الطرق جميعها كانت تتشابه مع بعضها ، وهى تبدو كأنها دروب طبيعية خطتها أقدام الناس بدون أن يكون للهندسة دور فيها ، فمشينا فى أوسعها ، وكان من حولنا يمينا وشمالا عديد من المناضد المثبتة فى الأرض وكذلك مقاعدها وعلى بعضها يجلس أشخاص بعضهم يستذكر فى كتاب والبعض الآخر يتسامر ، والهدوء يخيم على المكان . وشاهدت على جانبى الطريق صورا فوتوغرافية للقادة العسكريين من الأوزبيك والروس المقيمين فى طشقند والذين استشهدوا فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية وكان عددهم ٢٦ يحملون جميعا أرفع وسام عسكرى فى الاتحاد السوفييتى وهو وسام « النجمة الذهبية » وكان أول اسم هو

للجنرال الأوزبيكى « صابر رحيموف » الذى اشترك فى معركة ستالينجراد واستشهد فى مارس ١٩٤٥ .

أن مثل هذه اللوحات تدل على الاهتمام الذى تحرص عليه الدولة والحزب فى ضرورة تذكير الشباب الذى لم يعان نفسه ظروف الحرب وويلاتها وكم يتكلف الدفاع عن الوطن من أرواح غالية ، وليدرك أن الحياة التى يعيشها فى ظروف الاستقلال الوطنى لم تتحقق بغير ثمن ، وأن السلام لا يمكن ضمانه بغير التأهب للدفاع عنه دائما .

فالعدو الذى مات واحد وهو النازية ، ولكن هناك أعداء آخرين ما زالوا أحياء طالما بقى على الأرض استعمار واستعماريون وامبرياليون يحلمون باستعادة سيطرتهم على العالم واستئناف نشاطهم غير الانسانى فى قهر الشعوب واستغلال ثرواتها ، ولذلك فهم يتربصون الفرص ، بل ويحاولون صناعتها كلما كان هذا ممكنا ، من أجل معاودة ما فشل فى تحقيقه هتلر . ولهذا تقوم السياسة الاعلامية السوفييتية على منطق واضح لكل ذى ادراك ، وهو أن المسالم القوى الواعى أحق بالحياة الحرة من المستسلم الضعيف . وهو منطق بسيط ومقنع .

وشاهدت نوعا آخر من اللافتات تحمل صورا فوتوغرافية كبيرة لأبرز العمال والموظفين الذين يحمل كل منهم لقب « بطل العمل الاشتراكى » .

وفى نهاية الطريق كانت هناك بركة كبيرة ـــ تكاد تصبح بحيرة ـــ تموج بالحياة ، شباب بملابس السباحة وفتيان وفتيات يشغلون جانبا من بداية البحيرة ، وعلى الشاطىء أقيم سقف يظلل تحته مساحة لتناول الطعام والمشروبات المثلجة .

وعلى طول هذا الشاطى شاهدت « شايخانات » ومطاعم ومقاه خشبية يجلس فوقها المتفرجون على البحيرة التى يتوسطها تمثال كبير لعروس البحر ، والزوارق البخارية تمرق من حوله ذهابا وجيئة .

وأسلمنا هذا الشاطىء الى دغل آخر كثيف الاشجار كسابقه ، وفى موضع منه شاهدت ارجوحة على هيئة طائرتين مرفوعتين الى أعلى عامود ضخم وهى عندما تدور يصدر منها صوت يظل يتزايد حتى يصبح كأنه ازيز الطائرة ، والطائرتان تدوران بسرعة كبيرة نسبيا مما يعطى للأطفال تجربة الطيران من أولها . وكم وددت لو أن هذه الفرصة كانت أتيحت لى عندما كنت صغيرا .

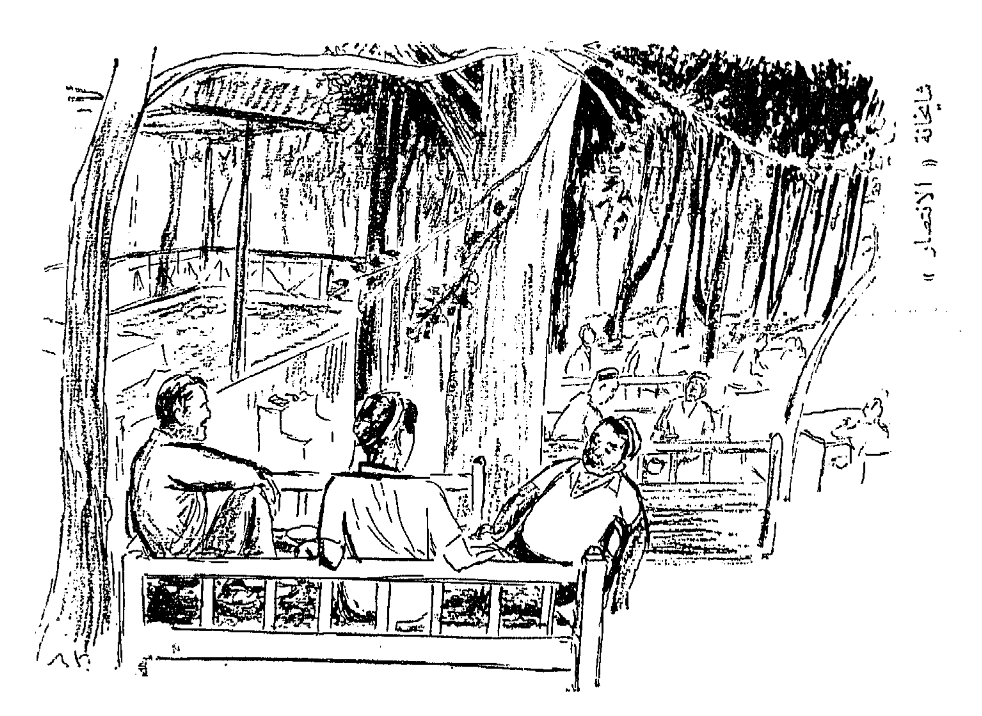
وبغير توقع وجدت أمامى منظرا شد انتباهى له من أول نظرة . رأيت وسط الاشجار العالية مساحة من الحديقة وضعت فيها ارائك كبيرة يبلغ طول الواحدة مترين فى مترين ، ولها حاجز من جوانبها الثلاثة يجلس عليها المواطنون يتحدثون ويشربون الشاى ، وللتو حضرت فى ذهنى صورة سبق أن قرات عنها فى قصص ألف ليلة وليلة ، عندما كان رجل فقير .



الشاى الأخضر فى إحدى الشايخانات

يسير فى يوم قائظ فاذا به أمام بستان وارف الظلال فدخله وسار فى دروبه فاذا به يرى أريكة مفروشة بالوسائد فتمدد عليها واستسلم لنوم عميق وسط حفيف الشجر حين يداعبها النسيم ورفرفه العصافير وزقزقتها ، ثم هب من نومه مذعورا على صوت يقترب فاختبأ خلف الأريكة واخذ يطل برأسه خلفه على موكب مقبل بين الاشجار لحسناء محمولة على محفة بين أربعة من الزنوج المفتولى العضل ومن حولها جوقة من الحسان يعزفن على آلات موسيقية الحانا عذبه ، وعندما اكتشفوا أمر الرجل المختبىء امسكوا به ، وأفقت من هذا الشرود ، بعد أن عثرنا على أريكة فى أقصى « الشايخانة » مفروشة ببساط فوقه « طبلية » مربعة فجلسنا حولها ونحن نجيل أبصارنا فى الجو اللطيف الذى كنا فيه .

ولم يمضى وقت يذكر على مجىء الشاى الأخضر حتى لمح « بوريس » شخصا يعرفه مع بعض أصحابه . وقد تعرفنا عليه ــ وهو يعمل بمحطة اذاعة طشقند ــ وشاركونا فى جلستنا ، أو بالاصح ، اصبحنا نحن ضيوفهم . فقد لقيت منهم استقبالا جميلا وترحابا صادقا حقيقيا ، وهذه من الصفات الأساسية للشعب الأوزبيكى فانت اذ طرقت أى باب تصادفه فانه بمجرد فتح الباب تلقى الترحاب القلبى وحسن الاستقبال . وكان على أن اعانى من



شايخانة « الأنصار »

هذه الضيافة ونحن فى الشايخانة ، ذلك أنى كنت قد تناولت أفطارى متأخرا ، فلما جاء عامل الخدمة يحمل صينية نحاسية كبيرة فوقها تل من الارز واللحم يسمونه « الىلاف » حاولت الاعتذار عن المشاركة فى الأكل ، فسمعت مضيفنا يقول نفس الذى نقوله فى مصر وبخاصة فى الصعيد :

(تبقى كبيرة .. لازم تشارك ولو بأى مقدار .)

واشتركنا فى استعراض التشابه بين عادات شعبينا . وانتقلت احاديثنا من موضوع لآخر ، حتى اظهرت اعجابى لهذا المكان ومقارنته بجو الف ليلة وليلة ، فقال احدهم ، أنه يتذكر الآن كلمة قالها زعيم لأحد الأحزاب الشيوعية فى اوروبا ، حول واجبات العمل الاشتراكى ، وأنها تحويل الدنيا الى ما يشبه الجنة التى يحلم بها الناس المتدينون بعد الموت وان الواجب ان تقام على الأرض بتحقيق العدالة الاجتماعية .

وقد استعرضت معهم خلال الحديث جوانب التطور فى الحياة الأوزبيكية بعد الثورة ، ابتداء من القضاء على الامية تماما ، وتحرير المرأة ، والحفاظ على المستوى الصحى اللائق لحياة الناس ، وحق العمل لكل قادر ، الى رعاية الطفولة والشباب ، والتى تصب فى نهاية الأمر عند رفع مستوى معيشة الشعب الأوزبيكى .

واختتم حديثه بتعليق حسم المناقشة حين قال :

واضح ان هذه التجربة الفريدة دليل عملى على أن أقامة الجنة على الأرض امل ممكن ، وان يتحقق الآن فى بلادنا الاشتراكية هو بداية لذلك .

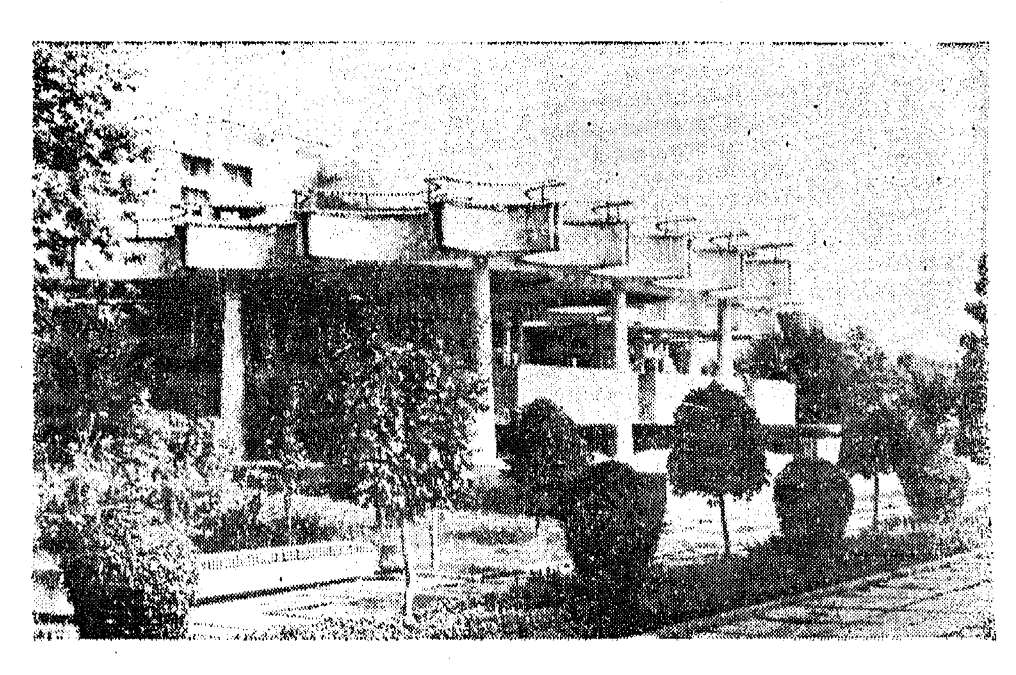
والتفت أحدهم وهو يشير الى المنظر الذى حولنا ويقول أن الاختلاف بين هذا والف ليلة وليلة هو أن البساتين هنا متاحة للشعب وللشغيلة وليست لطبقة الاغنياء وحدهم .

• التضامن الاشتراكى

تعتبر التجربة الأوزبيكية فى بناء الاشتراكيـة مثالا واضحـا على ما يمكن أن يحققه التعـاون الاخوى بين جميـع الجمهوريـات السوفيتية . فالثورة الاوزبيكية قد استفادت أكبر فائدة من دعم الجمهوريـات الأخرى فى الاتحاد السوفييتى — وبخاصة جمهورية روسيا — فى التخلص من حكم الرجعية المحلية هناك ، وفى القضاء على قوى الثورة المضادة التى اشعلت نار الحرب الأهليـة ، وفى التخطيط للتحول نحو الاشتراكيـة فى الصناعة والزراعة والثقافة ومحو الأمية وسائر احتياجات التحول الاساسية .

وعندما وقع زلزال ١٩٦٦ هبت الجمهوريات السوفييتية لتمد يدها بالعون المطلوب حتى أعيد بناء طشقند فى زمن خيالى وعلى أحدث طراز فى العـالم .

فبفضل هذا التضامن الأخوى قامت الجمهورية الاشتراكية السوفييتة فى أوزبيكستان ، وبفضله تتم كل انجازات التطور العلمى ايضا .



شايخانة حديثة فى قلب طشقند

لهذا ، فــان النظرة الواعيــة التى تسود وتنتشر بين جموع الشعب
الأوزبيكى تضع الأهمية الأولى فى حياتها اليقظة ،
التضامن هذه ، حماية لما تم انجازه ، وأملا فى مز

ولنأخذ مثالا على ذلك .

فالمعروف أن أربعة أخماس أراضى آسيا الوسطى صحار غير مزروعة وغير قابلة للزراعة لعدم توفر الماء الكــافى . وقــد أعلن أخيرا عن مشروع جبار ، لتحويل مياه سيبيريا التى تتألف مــن ثلاثة أنهــار هى (أرطيش ، وأوب ، ويانيسيه) وبدلا من أن تصب فى بحر الشمال يتم توجيهها جنوبا حتى جنوب « كازاخستان » لتنضم الى نهر « سيحون » فى منطقة طشقند ثم تتجه نحو « سمرقند » وتتجمع فى نهــر « زرفشــان » ، ثم تنعطف شمالا فى مجرى النهر القديم « اقجه دريا » ثم تنضم أخيرا الى نهر « جيحون » عن طريق قناة طولها ثلاثة آلاف كيلو متر بعرض مــن ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر وبعمق بين ١٢ و ١٥ مترا . أن مثل هذا المشروع سوف يقلب موازين القوى الانتاجية بالمنطقة تماما . فسوف يساعد على استصلاح ملايين الهكتارات ، كما سيضيف الى الرقعة المسكونة عديدا من المدن لا بد وأن تنشأ فى الأراضى التى كانت صحارى غير مأهولة بالسكان من قبل .

هذا علاوة على الانشاءات الصناعية التى ستقــام على طول القناه ، مثل مصانع الأسمنت والتجهيزات الصناعية الأخرى التى تدخــل فى بناء القناة . فكل هذه المراكز الصناعية سوف تقام لتعمــل ــ حتى بعــد انشاء القناة ــ وهذا اضافة كبيرة الى مؤسسات الانتاج الصناعى .

فضلا عن أن هذه المراكز الصناعية سوف تقام فى جمهوريات أخــرى سوفييتية ، وهى التى تمر القناة فى أراضيها .





أرض الأساطير

• أسطورة الكارناى

فى بعيد الزمان كان يعيش رجل فقير وله ولدان ، وعندما حان وقت موته دعا ولديه وقال لهما :

ياولدى قريبا ستكونان وحدكما ، وارجو أن تعيشا فى صداقة وتعاون معا وقت الشدة .

ثم مات ، وعلى الفور بدأ النزاع بين الأخوين على الميراث .

وفى يوم من الأيام ، رأى الأخ الأصغر فى منامه حلما هذا ملخصه :

اقترب منه ابوه وقال له ــ يابنى أرجو منك أن تعطى لأخيك الكبير كل شىء لأنه يعول الأسرة وانت خذ « الكارناى القديم » (وهو مزمار كبير) واذهب وتجول فى الدنيا وانفخ فيه لأصحاب الهموم والسرور ، وستحصل بهذا على سعادتك .

وعندما استيقظ من النوم ، نفذ الأخ الصغير وصية والده وأعطى جميع ما يملك الى أخيه ، ثم أخذ « الكارناى » وانصرف .

وذات ليلة وجد نفسه فى حفرة تحت سطح الجبل فقرر أن ينام فيها تلك الليلة ، ولم يكن يعرف أن الشياطين تسكن فيها وانها تخفى داخلها كنوزا وجواهر وذهبا . ولما أظلم الليل تجمع الشياطين فى المغارة واخذت تتحدث بافتخار عن الذى عمل فى هذا اليوم .

أنا ــ هكذا قال الشيطان الأول ــ ذهبت بعقل ابنة أحد الملوك وحتى

لا يمكن من علاجها ، خصصت اثنين من الجن الغير مرئيين لكى يرقباها ليل نهار حتى لا يؤثر أى دواء فى علاجها .

وقال الشيطان الثانى وكيف يمكن تخليصها من مرضها ؟

فأجاب الشيطان الأول ــ عندما يدوى صوت « الكارناى » بقربها فجأة ، يخاف الجنيان ويهربان ، وتعود البنت الى طبيعتها فى صحة جيدة .

وجاء كبير الشياطين وصاح ــ بوف .. بوف .. أنا أشم رائحة انسان .. ألا يشعر أحدكم بذلك ؟



وتفرق الشياطين بالمغارة وسحب الى وسطها الشاب وهو يرتعد خوفا . وصاح كبير الشياطين :

ــ سنمزقه الآن أربا أربا .

ولكن الشاب لم يرتبك وتناول الكارناى ونفخ فيه ، فارتبكت الشياطين وقذفت بما تحمل من أموال وكنوز الى الارض وفرت هاربة .

وفى الصباح اشترى الشاب من المراعى أربعين جملا وأربعين حمارا

وشحن صناديق وأوعية الجواهر فوق ظهورها وعاد الى بيته ورأى أخاه في حزن عميق جالسا على باب البيت وهو يندب حظه بعد أن ضاعت أمواله وأصبح فقيرا وأولادهم جياع . فطمأنه الأخ الصغير وقدم الى أخيه الأكبر الأموال الكثيرة ثم انصرف حاملا مزماره ـ « الكارناى » ليواصل تجوله في أنحاء الأرض .

وهكذا أخذ ينتقل من قرية الى اخرى وهو ينفخ بالكارناى في حفلات الزفاف حتى وصل الى مدينة يغمرها الحزن وتعيش في صمت عميق ، وعرف أن السبب هو أن بنت الملك ووحيدته مريضة منذ سنين ، لا تأكل ولا تشرب ولا تنطق بكلمة ولم تشاهد على وجهها ابتسامة ، ولذلك أمر الملك بمنع الأغاني والألعاب والضحك والأفراح ، كما أنه وعد بأن يتنازل عن نصف ملكه لمن يقدر على شفائها بعد أن عجز كل الأطباء عن ذلك .

وسمع الشاب هذه الكلمات فذهب الى القصر وقال للملك :

ـ سأعالج ابنتك .

واخذه الملك الى حيث رأى الأميرة راقدة ، فطلب الشاب من الحاضرين ان ينصرفوا جميعا ، فلما خرجوا تناول مزماره ثم نفخ فيه بقوة ، وما كاد الجنيان يسمعان صوت الكارناى حتى تملكهما الخوف فانطلقا هاربين ، وعاد للأميرة صوابها وصحتها كما كانت .

وعرض عليه الملك نصف مملكته ، ولكن الشاب رفض الأملاك وطلب من الملك ان يسمح له بالنفخ في مزماره على الشعب الذى حرم سنين طويلة من سماع الموسيقى .

وانتشر خبر شفاء الاميرة في جميع أرجاء المملكة وبدأ الأمراء يتوافدون



على قصر الملك لطلب يد الأميرة ، ولكنها كانت ترفض لأن قلبها تعلق بالشاب الذى انقذها .

ياابنتي ـ قال لها الملك الأب بحزن ـ لقد شاب شعري وليس لى وريث . وليس هناك حل سوى أن تذكرى اسم الشاب الذى يناسب مقامى وعرشي ليتزوجك .

وردت الأميرة ـ يا أبى . أصدر امرك الى جميع الرجال الساكنين فى أراضينا أن يمروا تحت شباك القصر وسوف اختار الذى يناسبنى .

ووافق الملك ، وبدأ رجال البلد يمرون تحت شباك القصر ولكن لم يقع اختيارها على أحد . وسأل الملك :

هل بقى هناك آخرون ؟

وقال الحراس ـ قد مر جميع الرجال ما عدا الشـاب الفقير عازف الكارناى .

ودعا الملك الشاب وسأله عن سبب تخلفه عن المرور مع الرجال تحت القصر .

وقال الشاب ـ قد مر أمام عيون الأميرة أغنى وأشهر الفرسان وقد رفضتهم جميعهم . أما انا عازف الكارناى الفقير فكيف أجرؤ على الدخول فى منافسة مع الأغنياء .

ولكن الملك رفض أن يسمع حجته وأمره بالمشى تحت شباك الأميرة .

وما كادت نظرات الأميرة تقع عليه حتى قذفت اليه بزهرة ، وهذا هو التعبير عن قبولها له .

واستمر الاحتفال أربعين يوما وأربعين ليلة فى زفاف عازف الكارناى والأمـيرة .





أسطورة ماء الخلود

فى قديم الزمان احتل الاسكندر ذو القرنين العالم بأجمعه ولكن فى احدى غزواته بدات جروحه تؤلمه وشعر بدنو أجله فدعا أحد الاطباء المصاحبين له وقال :

ـ قد حان أجلى ولكننى لا أريد ان أموت . بل أريد أن أعيش وأظل ملكا على البلاد التى فتحتها الى الأبد ، فابحثوا عن العقاقير التى تمد فى عمرى وتطيله قرونا وقرونا .

وفكر أشهر واذكى الأطباء فى ذلك ثم نصح الاسكندر بأن يشرب من ماء الحياة الذى يتدفق من باطن الجبل فى عين تقع بالاراضى البعيدة ، وقال أن من يتذوق منها قطرات معدودة يعيش الى الأبد .

وأمر الاسكندر فحملوه على محفة واخذ الجنود يسرعون به فى طريق يمر داخل غابة من الاشجار الظليلة تحميه من اشعة الشمس المحرقة ، كما كانت النباتات الشائكة تحميه من الرياح الساخنة اللافحة ، حتى وصلوا الى جوار العين فوضعه الجنود ثم انصرفوا .

واستيقظ الاسكندر وغرف الماء بالمغرفة الذهبية وما كاد يقربها من شفتيه حتى ظهر أمامه رجل نحيل أشيب محنى الظهر وقال هامسا :

ـ يابنى ، اذا شربت الماء من هذا المصدر فسوف تصبح خالدا .

فرد الاسكندر بحدة ـ ولكنى أريد ذلك .

وقاطعه العجوز ـ لا تستعجل يابنى . أولا استمع الى حكايتى . فمنذ ثلاثة آلاف سنة سيطرت بجيوشى على جميع الدول التى كانت موجودة

فوق الأرض وقتها وكان العالم كله تحت قدمي ، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ على أن يرفع نظره نحوي . وفي ذلك الحين قررت أن أكون خالدا لكي أظل آمرا وأحكم الشعوب والدول . وشربت من هذا المصدر . وما كاد يمر ١٠٠ سنة فقط حتى أصبح اسمي ملعونا في كل البلاد . والآن عندما اقترب من الناس وأذكر لهم اسمي يبصقون في وجهي ويطلقون على ألقاب « السفاح وقاطع الطرق » وذلك لأني نشرت الشرور في وجه الأرض كما فعلت أنت .

وفجأة اختفى العجوز وبقي الاسكندر غارقا في تفكير عميق ، وأخذ زجاجة صغيرة كان قد ملأها بالماء ووضعها في قميصه عند صدره ونادى على الجنود أن يحملوه للعودة الى داره . وكان الموت ينتظر الاسكندر في الطريق .

وبعد قليل توقف الجنود ووضعوا محفة الاسكندر في ظل ثلاثة أشجار « القره أغاتش » (ومعناها الشجر الأسود) وأخرج الاسكندر القارورة من صدره ، ثم تراجع عن شرب ماء الخلود ، وسكبه على الأرض .

ومرت القرون على هذه الأرض ، فاذا بالأشجار الثلاث السوداء تخضر أوراقها وسط الحقول الظامئة لتهدى المسافرين المرهقين من شدة الحر ولتمنحهم بعض الظلال والمأوى .

ان تعلق الأوزبيكيين بالأساطير واهتمامهم بتناقلها جيلا بعد جيل : عادة قديمة نشأوا عليها وتوارثوها أبا عن جد ، ذلك أنها كانت دائما تحتوى على نوع من الحكمة يسترشد به الناس في تربية أولادهم ويستخلصون منها



مبادىء انسانيـــة وأخلاقيـــة . ولست معنيـــا بدراســـة محتوى هاتين الأسطورتين باستفاضة ، ولكنى أعرض بهما نموذجا يفيد فى التعـــرف على الصفات التى يتميز بها الشعب الأوزبيكى ، من عراقة تاريخ وانجذاب نحو الخير للبشرية ، كما تدل اسطورة ماء الخلود . وكمـــا تدل على قوة الفن والثقافة وعمق التأثير فى نفوسهم ، وهو بعض ما تـــدل عليـــه اسطورة الكارناى . وأكاد أتصور اليوم الذى تختفى من حيـــاة النـــاس تماما كل الأساطير ولا تصبح سوى مجرد تفسير الماضى والبحث عن الغـــرائب التى عاشت فى ظلها الشعوب السابقة . أكاد أتصور أن الأسطورة عندما تختفى فسوف تحـــل محلهـــا بالضرورة اسطورة مـــن نـــوع جديـــد ، اسطورة الاشتراكية التى قامت فى أوزبيكستان وفرضت وجودهـــا لتغير من مصير ملايين البشر وتنقلهم مـــن عصر التخلف والتأخـــر الى العلم والتكنولوجيا الحديثة ، فى زمن كان أهل الخبرة والتجربة من العلماء يعتبرونـــه ـــ ومـــا زالوا يعتبرونه ـــ أمرا فى حكم المستحيل ولكنه تحقق بالفعل .

وهذه هى المعجـــزة .



من رسومات الفنان الاوزبيكى شنخيز آخمروف







دار « نافع » للطباعة ت ٩٠٠١١٨ — رقم الايداع بدار الكتب ٥٤٤٩/١٩٧٤

صدر أخيرا :

١ ـ الصهيونية ودورها فى السياســة العالمية
تأليف ـ هايمان لومر
ترجمــة ـ محمــد مستجير مصطفى

٢ ـ مخطوطات كارل ماركس
ترجمــة ـ محمــد مستجير مصطفى

٣ ـ الحروب والسكان
تأليف ـ ب . أورلانيس
ترجمة ـ سعد رحمى ـ أحمد القصير

٤ ـ الامن الاوروبى والشرق الاوسط
تأليف ـ حسين فهمى

٥ ـ التعايش السلمى وحركة التحرر الوطنى
تأليف ـ حمدى عبد الجواد

٦ ـ الامن الاسيوى والشرق الاوسط
تأليف ـ فؤاد عبد الحليم

٧ ـ القرية المصرية
تأليف ـ فتحى عبد الفتاح

الناشر : دار الثقافة الجديدة

٣٢ شارع صبرى ابو علم ـ القاهرة
ت ٥٨٧٨٠ ـ ٥٨٤٧١

شيء من التاريخ

المسلمون فى أوزبكستان بخير

الثقافة مع الرغيف

مصارعة الزلازل

المسلمون ، التقوى

الشايخانة = المقهى

مات الاستعمار القيصري تحيا الاشتراكية

سرقة الأعمى مع إسماعيل

سمرقند عمرها ٢٠٠٠ عام

صحراء من الذهب

الزعفرانية في بيت جماهيري قوة

نفذ أمر القاضي ولا تفعل مثله

الإمام البخاري

مع ابن سينا

مراسيم دفن الأمية

مع الفارابي

مع الموسيقار العالمي مختار أشرفي

مع أساطير

دار الثقافة الجديدة الثمن ٤٠ قرشاً